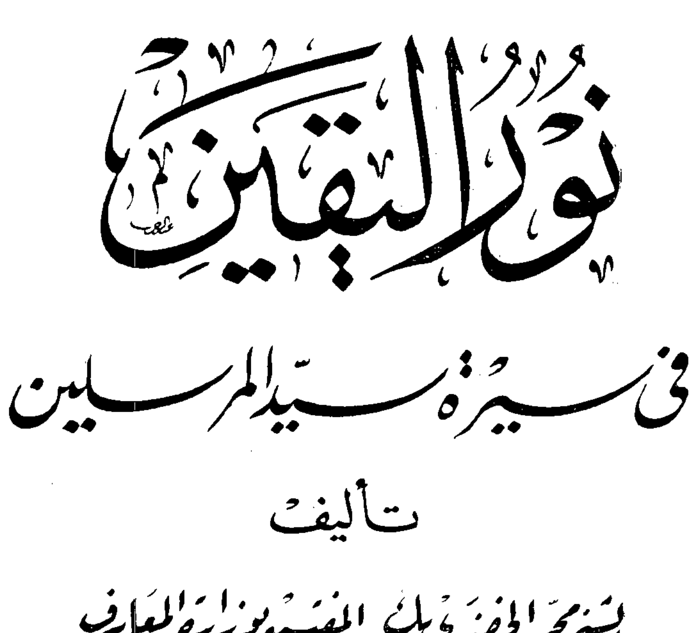


الشيخ محمد الخضري بك المفتش بوزارة المعارف
ومدرس التاريخ الاسلامى بالجامعة المصرية سابقا

الطبعة الرابعة

١٣٤٤ — ١٩٢٦

تطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر
لصاحبها مصطفى محمد

مطبعة مصطفى محمد
صاحب المكتبة التجارية بشارع محمد على بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يامن أوضحت لنا سبل الهداية : وأزحت عن بصائرنا غشاوة الغواية : ونصلي ونسلم على من أرسلته شاهداً ومبشراً ونذيراً : وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً . وعلى الأصحاب الذين هجروا الاوطان يبتغون من الله الفضل والرضوان . والانصار الذين آووا ونصروا وبذلوا الأعزاز الدين ماجمعوا ومماادخروا

﴿أما بعد﴾ فيقول محمد الخضري ابن المرحوم الشيخ عفيفي الباجوري كنت أجد من نفسي منذ النشأة الاولى ارتياحاً لقراءة تواريخ السالفين وقصص الغابرين وأجدها لعقل الانسان أحسن مهذب وأنصح معلم وكنت أرى في تاريخ نبينا عليه الصلاة والسلام وما لقيه من أذى قومه حينما دعاهم إلى الحق وعظيم صبره حتى هجر أوطانه وبلاده ـ أعظم مرب لأفكار المسلمين فانه يدلهم على مايجب اتباعه ومايلزم اجتنابه ليسودوا كما سادسابقوهم، وخصوصاً مايتعلق بالحكام من اجتذاب النفوس النافرة والتأليف بين القلوب المختلفة وما يتعلق بقواد الجيوش من تأليف الرجال وإحكام المعدات حتى يتم لهم النصر على أعدائهم وما يتعلق بالعامة من اتحاد قلوبهم وصيرورتهم يداً على من سواهم فكنت أجد من قراءتها ارتياحاً عظيما وكانت نفسي كثيراً ماتأسف على ترك المسلمين لها !فقلما أجد من يشتغل بها ولكني كنت أقدم لهم العذر بتطويل الكتب المؤلفة في هذا الموضوع فلما قدمت مدينة المنصورة جمعتني النوادي مع محمود بك سالم القاضي بمحكمة المنصورة المختلطة فوجدت منه علما بدينه تقف دونه فحول الرجال وتتأخر عن مسابقته

فيه الابطال فقلما توضع مسألة دينية الا وجدته مبرزاً فيها مفصحاً عن الجواب عنها أما علمه بسيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم فعنده منها الخبر اليقين وكنت كثيراً ما أسمعه يتشوف لعمل سيرة خالية من الحشو والتعقيد تنتفع بها عامة المسلمين فقلت بالله لقد وافق هذا السيد الكريم ما فى نفسى ولكنى كنت أرى فى عزيمتى قصوراً عن تنفيذ رغبته وتتميم أمنيته فان المقام عظيم وصعوباته أعظم ولكن لم أر من الامر بداً تلقاء ما كنت أسمعه من كبار رجال المنصورة فانهم أكثروا من الامانى لعمل هذا الكتاب العميم النفع الجزيل الفائدة فقمت معتمداً على الله راجيا منه أن يوفقنى لما فيه رضاه، وواصلت السير بالسرى حتى بلغت المنى فجاء بحمد الله سهل المنال عذب المورد تنتفع به العامة وترجع اليه الخاصة : وقد كان موردى فى تأليفه القرآن الشريف وصحيح السنة مما رواه الامامان البخارى ومسلم ولم أخرج عنهما إلا فيما لا بد منه من تفهيم العبارات فكان يساعدنى الشفاء للقاضى عياض والسيرة الحلبية والمواهب اللدنية للقسطلاني وإحياء علوم الدين للغزالى هذا وأسأل الله من فيض فضله أن يوفق أئمتنا وأمراءنا للاقتداء بسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإحياء معالم دينه حتى يؤيدوا بروح من عند الله وقد آن أن نشرع فيما قصدناه . مستعينين بحول الله فنقول

﴿النسب الشريف﴾

السيد الأكرم الذى شرف الناس بوجوده هو (محمد بن عبد الله) من زوجه آمنة بنت وهب الزهرية (١) القرشية (إبن عبد المطلب) من

(١) من بنى زهرة بن كلاب من قريش

زوجه فاطمة بنت عمرو المخزومية (١) القرشية وكان عبد المطلب شيخا معظما فى قريش يصدرون عن رأيه فى مشكلاتهم ويقدمونه فى مهماتهم (إبن هاشم) من زوجه سلمي بنت عمرو النجارية (٢) الخزرجية (إبن عبد مناف) من زوجه عاتكة بنت مرة السلمية (٣) (إبن قصى) من زوجه حبي بنت حليل الخزاعية (٤) وكان إلى قصى فى الجاهلية حجابة البيت وسقاية الحاج وإطعامه المسمى بالرفادة والندوة وهي الشوري لا يتم أمر إلا فى بيته واللواء لا تعقد راية لحرب الا بيده ولما أشرف على الموت جعلها فى يد أحد أولاده عبد الدار لكن: بنو عبد مناف أجمعوا رأيهم على أن لا يتركوا بنى عمهم عبد الدار يستأثرون بهذه المفاخر وكاد يفضي الامر إلى القتال لولا أن تدارك الامر عقلاء الفريقين فأعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة فدامتا فيهم إلى أن انتهتا للعباس بن عبد المطلب ثم لبنيه من بعده أما الحجابة فبقيت بيد بنى عبد الدار وأقرها لهم الشرع فهي فيهم إلى الآن وهم بنو شيبة بن عثمان بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وأما اللواء فدام فيهم حتى أبطله الاسلام وجعله حقا للخليفة على المسلمين يضعه فيمن يراه صالحاً له وكذلك الندوة وقصى (بن كلاب) من زوجه فاطمة

---

(١) من بنى مخزوم بن يقظة بن مرة من قريش

(٢) من بنى النجار من الخزرج والخزرج إحدي القبيلتين اللتين كانتا تقيمان بالمدينة وهما الاوس والخزرج وهما اخوان وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاً أنصارا

(٣) من بني سليم بن منصور إحدي قبائل قيس عيلان بن مضر

(٤) من بني خزاعة ابن عمر وإحدى قبائل قمعة بن إلياس بن مضر وهم الذين كانوا يتولون البيت قبل قريش

بنت سعد وهي يمانية من أزد شنوءة (إبن مرة) من زوجه هند بنت سرير من بني فهر بن مالك (بن كعب) من زوجه وحشية بنت شيبان من بني فهر أيضا (إبن لؤي) من زوجه أم كعب مارية بنت كعب من قضاعة (ابن غالب) من زوجه أم لؤي سلمى بنت عمرو الخزاعي (إبن فهر) من زوجه أم غالب ليلى بنت سعد من هذيل، وفهر هو قريش – في قول الاكثرين – وكانت قريش اثنتي عشرة قبيلة بنو عبد مناف وبنو عبد الدار بن قصي وبنو أسد بن عبد العزى ابن قصي وبنو زهرة بن كلاب وبنو مخزوم بن يقظة ابن مرة وبنو تيم ابن مرة وبنو عدى بن كعب وبنو سهم بن هصيص ابن عمرو بن كعب وبنو عامر بن لؤي وبنو تيم بن غالب وبنو الحارث بن فهر وبنو محارب بن فهر والمقيمون منهم بمكة يسمون قريش البطاح والذين بضواحيها قريش الظواهر (إبن مالك) من زوجه جندلة بنت الحرث من جرهم (إبن النضر) من زوجه عاتكة بنت عدوان من قيس عيلان (إبن كنانة) من زوجه برة بنت مر بن إد (إبن خزيمة) من زوجه عوانة بنت سعد من قيس عيلان (إبن مدركة) من زوجه سلمي بنت أسلم من قضاعة (إبن الياس) من زوجه خندف المضروب بها المثل في الشرف والمنعة (إبن مضر) من زوجه الرباب بنت جندة بن معد (إبن نذار) من زوجه سودة بنت عك (إبن معد) من زوجه معانة بنت جوشم من جرهم (إبن عدنان)

هذا هو النسب المتفق على صحته من علماء التاريخ والمحدثين أما النسب فوق ذلك فلا يصح فيه طريق غاية الامر أنهم أجمعوا على أن نسب الرسول

صلى الله عليه وسلم ينتهى إلى إسماعيل بن ابراهيم أبي العرب المستعربة نسب شريف كما ترى آباء طاهرون وأمهات طاهرات لم يزل عليه السلام ينتقل من أصلاب أولئك إلى أرحام هؤلاء حتى اختاره الله هاديا مهديا من أوسط العرب نسباً فهو من صميم قريش التي لها القدم الاولى فى الشرف وعلو المكانة بين العرب ولا تجد فى سلسلة آبائه الا كراما ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة وكذلك أمهات آبائه من أرفع قبائلهن شأناً ولا شك أن شرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة وكل اجتماع بين آبائه وأمهاته كان شرعياً بحسب الاصول العربية ولم ينل نسبه شيء من سفاح الجاهلية بل طهره الله من ذلك والحمد لله

(زواج عبد الله بآمنة وحملها)

كان عبد الله بن عبد المطلب من أحب ولد أبيه اليه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وسنه ثماني عشرة سنة وهى يومئذ من أفضل نساء قريش نسباً وموضعا ولما دخل عليها حملت برسول الله صلي الله عليه وسلم ولم يلبث أبوه أن توفي بعد الحمل بشهرين ودفن بالمدينة عند أخواله بنى عدي بن النجار فانه كان ذهب بتجارة الى الشام فأدركته منيته بالمدينة وهو راجع ولما تمت مدة حمل آمنة وضعت ولدها فاستبشر العالم بهذا المولود الكريم الذي بث فى أرجائه روح الآداب وتمم مكارم الاخلاق وقد حقق المرحوم محمود باشا الفلكى أن ذلك كان صبيحة يوم الاثنين تاسع ربيع الاول الموافق لليوم العشرين من

ابريل سنة ٥٧١ من الميلاد وهو يوافق السنة الاولى من حادثة الفيل (١) وكانت ولادته فى دار أبى طالب بشعب بنى هاشم وكانت قابلته الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف، ولما ولد أرسلت أمه لجده تبشره فأقبل مسروراً وسماه محمداً ولم يكن هذا الاسم شائعا قبل عند العرب ولكن أراد الله أن يحقق ماقدره وذكره فى الكتب التى جاءت بها الانبياء كالتوراة والانجيل فألهم جده أن يسميه بذلك انفاذا لامره وكانت حاضنته أم أيمن بركة الحبشية أمة أبيه عبد الله وأول من أرضعه ثويبة أمة عمه أبى لهب

(الرضاع)

وكان من عادة العرب أن يلتمسوا المراضع لمواليدهم فى البوادى ليكون أنجب للولد وكانوا يقولون إن المربى فى المدن يكون كايل الذهن فاتر العزيمة فجاءت نسوة من بنى سعد بن بكر يطلبن أطفالا يرضعنهم فكان الرضيع المحمود من نصيب حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية واسم زوجها أبو كبشة وهو الذى كانت قريش تنسب له الرسول صلى الله عليه وسلم حينما يريدون الاستهزاء به فيقولون هذا ابن أبي كبشة يكلم من السماء ودرت البركات على أهل ذاك البيت الذين أرضعوه مدة وجوده

---

(١) حادثة شهيرة حصلت بمكة فأرخت بها العرب كعادتهم هم وكل أمة فى التاريخ بالامور المهمة وقد ذكر القرآن هذه الحادثة فى سورة الفيل وحاصلها أن ملكا من ملوك الحبشة الذين امتلكوا اليمن بعد حمير أغار على مكة وقصد هدم كعبتها وكان معه فيل عظيم لم يكن العرب رأوا مثله فاكراما للنبي المنتظر وغيرة على بيته الكريم جعل الله كيد الاعداء فى تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول وأراح قريشاً من عناء مقاومتهم اهـ

بينهم وكانت تربو عن أربع سنوات (١)

(حادثه شق الصدر)

وحصل له وهو بينهم حادثة مهمة وهي شق صدره واخراج حظ الشيطان منه فأحدث ذلك عند حليمة خوفاً فردته الى أمه وحدثتها قائلة بينما هو واخوته في بهم لنا خلف بيوتنا اذ أتى أخوه يعدوا فقال لى ولابيه ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه (٢) فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه منتقعا لونه (٣) فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له مالك يابني؟ فقال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو؟؟ قال نعم فأقبلا يبتدراني فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيئا فأخذاه وطرحاه ولا أدرى ماهو

(وفاة آمنة وكفالة عبد المطلب ووفاته وكفالة أبى طالب)

ثم إن أمه أخذته منها وتوجهت به إلى المدينة لزيارة أخوال أبيه بنى عدي بن النجار وبينما هي عائدة أدركتها منيتها فى الطريق فماتت بالابواء (٤) فحضنته أم أيمن وكفله جده عبد المطلب ورق له رقة لم تعهد له فى ولده لما كان يظهر عليه مما يدل على أن له شأنا عظيما فى المستقبل وكان يكرمه غاية الاكرام ولكن لم يلبث عبد المطلب أن توفى بعد ثمانى سنوات من عمر الرسول صلى الله عليه وسلم فكفله شقيق أبيه أبو طالب فكان له رحيماً وعليه غيوراً وكان أبو طالب مقلاً من المال فبارك الله له فى قليله وكان الرسول صلى الله عليه

---

(١) السيرة الحلبية (٢) يحركانه بسوط (٣) شبيها بالنقع وهو التراب (٤) قرية بين مكة والمدينة وهى اقرب الى المدينة

وسلم فى مدة كفالة عمه مثال القناعة والبعد عن السفاسف التى يشتغل بها الاطفال عادة كما روت ذلك أم أيمن حاضنته فكان إذا أقبل وقت الاكل جاء الاولاد يختطفون وهو قانع بما سييسره الله له

(السفر إلى الشام)

ولما بلغت سنه عليه السلام اثنتى عشرة سنة أراد عمه وكفيله السفر بتجارة الى الشام فاستعظم الرسول صلى الله عليه وسلم فراقه فرق له وأخذه معه وهذه هى الرحلة الاولى ولم يمكثوا فيها إلا قليلا وقد أشرف على رجال القافلة وهم بقرب بصرى (١) بحيرا الراهب فسألهم عما رآه فى كتبهم المقدسة من بعثة نبي من العرب فى هذا الزمن فقالوا إنه لم يظهر الآن وهذه العبارة كثيراً ما كان يلهج بها أهل الكتاب من يهود ونصارى قبل بعثة الرسول ﴿فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ (٢)

(حرب الفجار)

ولما بلغت سنه عليه السلام عشرين سنة حضر حرب الفجار وهى حرب كانت بين كنانة ومعها قريش وبين قيس وسببها انه كان للنعمان ابن المنذر ملك العرب بالحيرة (٣) تجارة يرسلها كل عام الى سوق عكاظ (٤) لتباع له وكان يرسلها فى أمان رجل ذى منعة وشرف فى قومه ليجيزها فجلس يوما وعنده

---

(١) قرية على الحدود بين بلاد الشام و بلاد العرب (٢) سورة البقرة

(٣) بلدة غرب الفرات كان يقيم بها ملك العرب من قبل ملوك فارس فتحها خالد بن الوليد فى السنة الثانية عشرة (راجع تمام الوفاء) (٤) سوق كانت تعقدها العرب كل عام لتعرض فيها تجاراتها وما قاله فصحاؤها من قصائد الفخر وما اشبه ذلك

البراض بن قيس الكناني وكان فاتكا خليعاً خلعه قومه لكثرة شره وعروة ابن عتبة الرحال فقال من يجيزلى تجارتي هذه حتى يبلغها عكاظ؟؟ فقال البراض أنا أجيزها على بني كنانة فقال النعمان إنما أريد من يجيزها على الناس كلهم فقال عروة أبيت اللعن (١) أكلب خليع يجيزها لك؟! أنا أجيزها على أهل الشيح والقيصوم من أهل نجد (٢) وتهامة (٣) فقال البراض أوتجيزها على كنانة ياعروة قال وعلى الناس كلهم فأسرّها في نفسه وتربص له حتى اذا خرج بالتجارة قتله غدراً ثم ارسلو رسولا يخبر قومه كنانة بالخبر ويحذرهم قيساً قوم عروة وأما قيس فلم تلبث بعد أن بلغها الخبر أن همت لتدرك ثأرها حتى أدركوا قريشا وكنانة بنخلة (٤) فاقتتلوا ولما اشتد البأس وحميت قيس احتمت قريش بحرمها وكان فيهم رسول الله ثم إن قيساً قالوا لخصومهم إنا لا نترك دم عروة فموعدنا عكاظ العام المقبل وانصرفوا الى بلادهم يحرض بعضهم بعضاً فلما حال الحول جمعت قيس جموعها وكان معها ثقيف وغيرها وجمعت قريش جموعها من كنانة والاحابيش وهم حلفاء قريش وكان رئيس بني هاشم الزبير بن عبد المطلب ومعه إخوته أبو طالب وحمزة والعباس وابن أخيه النبي الكريم وكان على بني أمية حرب بن أمية وله القيادة العامة لمكانه في قريش شرفاً وسناً وهكذا كان على كل بطن من بطون قريش

---

(١) تحية عربية ومعناها من مفاخر العرب وهي اشبه في ذلك بعوارض اوربا لان باعدت كل ما استحق المذمة (٢) هو المرتفع من بلاد العرب وهو وسطها (٣) هو ما انخفض من سواحل البلاد العربية والشرقي منها يسمى البحرين والفاصل بين نجد وتهامة الحجاز في الغرب واليمامة في الشرق (٤) موضع بين مكة والطائف

رئيس ثم تناجزوا الحرب فكان يوما من أشد أيام العرب هولا ولما استحل فيه من حرمات مكة التي كانت مقدسة عند العرب سمى يوم الفجار وكادت الدائرة تدور على قيس حتى انهزم بعض قبائلها ولكن أدركهم من دعا المتحاربين للصلح على أن يحصوا قتلى الفريقين فمن وجد قتلاه أكثر أخذ دية الزائد فكانت لقيس زيادة أخذوا ديتها من قريش وتعهد بها حرب بن أمية ورهن لسدادها ولده أبا سفيان وهكذا انتهت هذه الحرب التي كثيراً ماتشبه حروب العرب تبدؤها صغيرات الامور حتى ألف الله بين قلوبهم وأزاح عنهم هذه الضلالات بانتشار نور الاسلام بينهم

(حلف الفضول)

وعند رجوع قريش من حرب الفجار تداعوا لحلف الفضول فتم في دار عبد الله بن جدعان التميمي أحد رؤساء قريش وكان المتحالفون بنى هاشم وبنى المطلب ابنى عبد مناف وإبنى أسد بن عبد العزى وإبني زهرة ابن كلاب وابني تيم بن مرة تحالفوا وتعاقدوا أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه حتى ترد إليه مظلمته وقد حضر هذا الحلف رسول الله عليه السلام مع أعمامه وقال بعد أن شرفه الله بالرسالة (لقد شهدت مع عمومتي حلفاً فى دار عبد الله بن جدعان ماأحب أن لى به حمر النعم ولو دعيت به فى الاسلام لأجبت) وذلك لأنه عليه السلام مبعوث بمكارم الاخلاق وهذا منها وقد أقر دين الاسلام على كثير منها يرشدك الى هذا قوله عليه السلام (بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) وقد دعا

بهذا الحلف كثيرون فأنصفوا

(رحلته إلى الشام المرة الثانية)

ولما بلغت سنه عليه السلام خمساً وعشرين سنة سافر الى الشام المرة الثانية وذلك أن خديجة بنت خويلد الاسدية (١) كانت سيدة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم إياه فلما سمعت عن السيد من الامانة وصدق الحديث مالم تعرفه فى غيره حتي سماه قومه الامين إستأجرته ليخرج فى مالها الى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره فسافر مع غلامها ميسرة فباعا وابتاعا وربحا ربحاً عظيما وظهر للسيد الكريم فى هذه السفرة من البركات ما حببه فى قلب ميسرة غلام خديجة

(زواجه خديجة)

فلما قدما مكة ورأت خديجة ربحها العظيم سرت من الامين عليه السلام وأرسلت اليه تخطبه لنفسها وكانت سنها نحو الاربعين وهي من أوسط قريش حسباً وأوسعهم مالاً فقام الأمين عليه السلام مع أعمامه حتى دخل على عمها عمرو بن أسد فخطبها منه بواسطة عمه أبى طالب فزوجها عمها وقد خطب أبو طالب فى هذا اليوم فقال: الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضيء (٢) معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعله لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا حكام الناس ثم ان ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل شرفاً ونبلا وفضلا وإن كان فى المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل

---

(١) من بنى اسد بن عبد العزى بن قصي (٢) اصل

وعارية مستردّة وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة في كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق (كذا) وعلى ذلك تم الامر: وقد كانت متزوجة قبله بأبى هالة توفي عنها وله منها ولد إسمه هالة وهو ربيب المصطفى عليه السلام

﴿ بناء البيت ﴾

ولما بلغت سنه عليه السلام خمساً وثلاثين سنة جاء سيل جارف فصدع جدران الكعبة بعد توهينها من حريق كان أصابها قبل فأرادت قريش هدمها ليرفعوها ويسقفوها فانها كانت رضيمة (١) فوق القامة فاجتمعت قبائلهم لذلك ولكنهم هابوا هدمها لمكانها فى قلوبهم فقال لهم الوليد بن المغيرة أتريدون بهدمها الاصلاح أم الاساءة قالوا بل الاصلاح؟ قال إن الله لا يهلك المصلحين وشرع يهدم فتبعوه وهدموا حتى وصلوا الى أساس إسماعيل وهناك وجدوا صحافا نقش فيها كثير من الحكم على عادة من يضعون أساس بناء شهير ليكون تذكرة للمتأخرين بعمل المتقدمين ثم ابتدؤا فى البناء وأعدوا لذلك نفقة ليس فيها مهر بغيّ ولا بيع ربا وجعل الأشراف من قريش يحملون الحجارة على أعناقهم وكان العباس ورسول الله فيمن يحمل وكان الذى يلي البناء نجار رومى إسمه باقوم وقد خصص لكل ركن جماعة من العظماء ينقلون اليه الحجارة وقد ضاقت بهم النفقة الطيبة عن إتمامه على قواعد إسماعيل فأخرجوا منها الحجر وبنوا عليه جداراً قصيراً علامة على أنه من الكعبة ولما تم البناء ثمانى عشرة ذراعا بحيث زيد فيه عن أصله تسع أذرع ورفع الباب عن الارض بحيث لا يصعد اليه إلا بدرج أرادوا وضع

---

(١) بناء رضيم مبني بالصخر اهـ من اساس البلاغة

الحجر الاسود موضعه فاختلف أشرافهم فيمن يضعه وتنافسوا فى ذلك حتى كادت تشب بينهم نار الحرب ودام بينهم هذا الخصام أربع ليال وكان أسن رجل فى قريش إذ ذاك أبو أمية بن المغيرة المخزومي عم خالد بن الوليد فقال لهم ياقوم لا تختلفوا وحكموا بينكم من ترضون بحكمه فقالوا نحكم أول داخل فكان هذا الداخل هو الامين المأمون عليه الصلاة والسلام فاطمأن الجميع له لما يعهدون فيه من الامانة وصدق الحديث وقالوا هذا الامين رضيناه هذا محمد لانهم كانوا يتحاكمون اليه إذ كان لا يدارى ولا يمارى فلما أخبروه الخبر بسط رداءه وقال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم وضع فيه الحجر وأمرهم برفعه حتى انتهوا إلى موضعه فأخذه ووضعه فيه وهكذا انتهت هذه المشكلة التي كثيراً مايكون أمثالها سبباً فى انتشار حروب هائلة بين العرب لولا أن من الله عليهم بعاقل مثل أبى أمية يرشدهم إلي الخير وحكيم مثل الرسول صلى الله عليه وسلم يقضي بينهم بما يرضي جميعهم ولا يستغرب من قريش تنافسهم هذا لأن البيت قبلة العرب وكعبتهم التي يحجون اليها فكل عمل فيه عظيم به الفخر والسيادة وهو أول بيت وضع للعبادة بشهادة القرآن الكريم قال تعالى فى سورة آل عمران (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا) وكان يلي أمره بعد ولد إسماعيل قبيلة جرهم فلما بغوا وظلموا من دخل مكة اجتمعت عليهم خزاعة وأجلوهم عن البيت ووليته خزاعة حيناً من الدهر ثم أخذته منهم قريش فى عهد قصي بن كلاب وبسببه أمنوا فى بلادهم فكانت قبائل العرب تهابهم وإذا احتموا به كان حصناً أميناً من اعتداء العادين وامتن الله عليهم بذلك فى تنزيله فقال فى سورة القصص (أولم يروا أنا جعلنا

حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم) .

(معيشته عليه السلام قبل البعثة)

لم يرث عليه السلام من والده شيئاً بل ولد يتيماً عائلا فاسترضع في بني سعد ولما بلغ مبلغاً يمكنه معه أن يعمل عملا كان يرعى الغنم مع إخوته من الرضاع في البادية وكذلك لما رجع إلى مكة كان يرعاها لأهلها على قراريط كما ذكر ذلك البخاري في صحيحه ووجود الانبياء في حال التجرد عن الدنيا ومشاغلها أمر لا بد منه لانهم لو وجدوا أغنياء لألهتهم الدنيا وشغلوا بها عن السعادة الأبدية ولذلك ترى جميع الشرائع الالهية متفقة على استحسان الزهد فيها والتباعد عنها وحال الانبياء السالفين أعظم شاهد على ذلك فكان عيسى عليه السلام أزهد الناس في الدنيا وكذلك كان موسى وإبراهيم وكانت حالتهم في صغرهم ليست سعة بل كلهم سواء تلك حكمة بالغة أظهرها الله على أنبيائه ليكونوا نموذجا لمتبعيهم في الامتناع عن التكالب على الدنيا والتهافت عليها وذلك سبب البلايا والمحن وكذلك رعاية الغنم فما من نبي إلا رعاها كما أخبر عن ذلك الصادق المصدوق في حديث للبخاري وهذه أيضاً من بالغ الحكم فان الانسان اذا استرعى الغنم وهي أضعف البهائم سكن قلبه الرأفة واللطف تعطفاً فاذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق كان لما هذب أولا من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي فيكون في اعدل الأحوال .

ولما شب عليه السلام كان يتجر وكان شريكه السائب بن أبي السائب وذهب بالتجارة لخديجة رضي الله عنها الى الشام على جعل يأخذه : ولما شرفت خديجة بزواجه وكانت ذات يسار عمل في مالها وكان يأكل من نتيجة عمله وحقق الله ما امتن عليه به في سورة الضحى بقوله جل ذكره (ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك

ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى) فالا يواء والاغناء قبل النبوة والهداية بالنبوة هداه للكتاب والايمان ودين ابراهيم عليه السلام ولم يكن يدرى ذلك قبل . قال تعالى فى سورة الشورى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ماالكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا)

﴿ سيرته في قومه قبل البعثة)

كان عليه السلام أحسن قومه خلقاً وأصدقهم حديثاً وأعظمهم امانة وأبعدهم عن الفحش والاخلاق التى تدنس الرجال حتي كان أفضل قومه مروءة وأكرمهم مخالطة وخيرهم جوارا واعظمهم حلما وأصدقهم حديثاً فسموه الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة الحميدة والفعال السديدة من الحلم والصبر والشكر والعدل والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء حتى شهد له بذلك ألدّ أعدائه النضر بن الحارث من بنى عبد الدار حيث يقول قد كان محمد فيكم غلاما حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم ساحر !! لا والله ماهو بساحر : قال ذلك فى معرض الاتفاق على ما يقولونه للعرب الذين يحضرون الموسم حتى يكونوا متفقين على قول مقبول يقولونه : ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان قائلا هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قال لا فقال هرقل ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله : وردذلك فى أول صحيح البخارى وقد حفظه الله فى صغره من كل أعمال الجاهلية التى جاء شرعه الشريف

بضدها (١) وبغضت اليه الاوثان بغضاً شديداً حتى ما كان يحضر لها احتفالا أو عيداً مما يقوم به عبادها وقال عليه السلام (لما نشأت بغضت اليّ الاوثان وبغض اليّ الشعر ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الامرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ثم ما هممت بسوء بعدهما حتى أكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة أسمع عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست لذلك فضرب الله على أذني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس ولم أقض شيئا ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك) وكان عليه السلام لا يأكل ما ذبح على النصب (٢) وحرم شرب الخمر على نفسه مع شيوعه في قومه شيوعا عظيما وذلك كله من الصفات التي يحلي الله بها أنبياءه ليكونوا على تمام الاستعداد لتلقي وحيه فهم معصومون من الادناس قبل النبوة وبعدها أما قبل النبوة فليتأهلوا للامر العظيم الذي سيسند اليهم وأما بعدها فليكونوا قدوة لاممهم : عليهم من الله أفضل الصلوات وأتم التسليمات

(ما أكرمه الله به قبل النبوّة)

أول منحة من الله ما حصل من البركات على آل حليمة الذين كان مسترضعا فيهم فقد كانوا قبل حلوله بناديهم مجدبين فلما صار بينهم صارت غنيماتهم تؤوب من مرعاها وإن أضراعها التسيل لبنا ويرحم الله البوصيري حيث يقول في همزيته

واذا سخر الاله أناساً … لسعيد فانهم سعداء

---

(١) الشفاء للقاضي عياض (٢) هى حجارة تنصب تصب عليها دماء الذبائح وتعبد

ثم أعقب ذلك ماحصل من شق صدره واخراج حظ الشيطان منه وليس هـذا بالعجيب على قدرة الله تعالى فمن استبعـد ذلك كان قليـل النظر لا يعرف من قوة الله شيئا لان خرق العادات للانبياء ليس بالامر المستحدث ولا المستغرب ومن المـكرمات الالهية تسخير الغمامة له فى سفره الى الشام حتى كانت تظله فى اليوم الصائف لا يشترك معه أحد فى القافلة كما روى ذلك ميسرة غلام خديجة الذى كان مشاركاله فى سفره وهذا ماحببه الى خديجة حتى خطبته لنفسها وتيقنت أن له فى المستقبل شأنا ولذلك لما جاءته النبوة كانت أسرع الناس ايمانا به ولم تنتظر آية أخرى زيادة على ماعلمته من مكارم الاخلاق وماسمعته من خوارق العادات ومن منن الله عليه ما كان يسمعه من السلام عليه من الاحجار والاشجار (١) فـكان اذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بناء ويفضى الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر إلا سمع الصـلاة والسـلام عليك يارسول الله وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً وقد حدث بذلك عن نفسه وليس فى ذلك كبير اشكال فقد سخر الله الجمادات للانبياء قبله فعصا موسى التقمت ماصنع سحرة فرعون بعد أن تحولت حية تسعى ثم رجعت كما كانت ولمـا ضرب بها الحجر نبع منه الماء اثنتى عشرة عينا لـكل سبط من أسـباط بنى اسرائيل عـين وكذلك غيره من الانبياء سخر الله لهم ماشاء من أنواع الجمادات لتدل العقلاء على عظيم قدرهم وخطارة شأنهم

(تبشير التوراة به)

أنزل الله التوراة على موسى محتوية على الشرائع التى تناسب أهـل ذلك

---

(١) السيرة الحلبية

الزمن ونوه فيها بذكر كثير من الانبياء الذين علم الله أنه سيرسلهم فمما جاء فيها تبشيراً برسولنا الكريم خطابا لسيدنا موسى عليه السلام (١) (وسوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين أخوتهم وأجعل كلامى فى فمه ويكلمهم بكل شيء آمره به ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به باسمى فأنا الذى أنتقم منه فأما النبي الذى يجترىء على بالكبرياء ويتكلم باسمي بما لم آمره به أوباسم آلهة أخري فليقتل واذا أحببت أن تميز بين النبي الصادق والكاذب فهذه علامتك ان ماقاله ذلك النبي باسم الرب ولم يحدث فهوكاذب يريد تعظيم نفسه ولذلك لاتخشاه) ويقول اليهود ان هذه البشارة ليوشع بن نون خليفة موسي عليه السلام مع أنهم كانوا ينتظرون فى مدة المسيح نبيا آخر غير المسيح فانهم (٢) أرسلوا ليوحنا المعمدان (يحي) يسألونه عن نفسه فقالوا له أنت ايليا فقال لافقالوا أنت المسيح فقال لافقالوا أنت النبي فقال لافقالوا امابالك اذا تعمد اذا كنت لست ايليا ولاالمسيح ولاالنبي فهذه تدل على أن التوراة تبشر بايليا والمسيح ونبي لم يأت حتي زمن المسيح ثم ان التوراة تقول فى صفة النبي انه مثل موسي وقد نصت فى آخر سفر التثنية على أنه لم يقم في بنى اسرائيل نبى مثل موسي وورد فى هذه البشارة أن النبي الذى يفترى على الله يقتل ويشبه ذلك فى القرآن قوله تعالى في سورة الحاقة (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنامنه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) (٣) ونبينا صلى

---

(١) الاصحاح الثامن سفر التثنية
(٢) الاصحاح الاول من انجيل يوحنا
(٣) عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه

الله عليه وسلم مكث بين أعدائه الالداء من مشركين ويهود ثلاثا وعشرين سنة يدعوهم فيها الى الله ومع ذلك عصمه الله منهم وأنزل عليه تطمينالخاطره في سورة المائدة (والله يعصمك من الناس) أكان يعجز الله وهو القادر على كل شيء أن يعاقب من ينسب اليه مالم يقله وهو الذي قال في سورة الشورى (أم يقولون افترى على الله كذباً فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور) وقد أخبرتنا هـذه البشارة عن العلامة التي نعرف بها صدق النبي من كذبه وهي الاخبار بما سيأتي وقد أخبر النبي عليه السلام عن أشياء كثيرة فحدثت كما أخبر عنها ومنها مالا ينفع معه الحدس والتخمين كالاخبار بأن الروم سيغلبون بعـد أن قهرهم الفرس قهراً شديداً حتى كادوا يحتلون القسـطنطينية عاصمة ملكهم فالاخبـار اذاً بأن الروم سـيردون ما فقد منهم بعـد بضع سنين لا يكون إلا من عند الله ولذلك استغرب به جداً بعض المشركين من قريش وراهن على ذلك أبا بكر الصديق رضى الله عنـه وقد حقق الله الخبر فاستحق الصديق الرهن وهذا قليل من كثير سيأتيك تفصيله ان شاء الله تعالى

وروى القاضى عياض فى الشفاء أن عطاء بن يسار سأل عبدالله بن عمرو ابن العاص عن صفة رسول الله عليه السلام فقال أجل والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صـفته فى القرآن: ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب(١) فى الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن

---

(١) شديد الصوت

يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صما وقلوباً غلفاً

وروي مثله عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه وهو الذى كان رئيس اليهود فلم تعمه الرياسة حتى يترك الدين القويم وكذلك كعب الاحبار وفى بعض طرق الحديث ولا صخب فى الاسواق ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة مقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى إمامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأسمي به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس: وقد أخبر عليه السلام عن صفته فى التوراة فقال وهو الصادق الامين عبدي أحمد المختار مولده مكة ومهاجره بالمدينة أو قال طيبة وأمته الحمادون الله على كل حال

(تبشير الانجيل)

بشر عيسي عليه السلام قومه فى الانجيل بالفار قليط ومعناه قريب من محمد أو أحمد ويصدقه فى القرآن قول الله تعالى فى سورة الصف (واذ قال عيسي بن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) وقد وصف المسيح هذا الفارقليط بأوصاف لا تنطبق الا على نبينا فقال انه يوبخ العالم على خطيئته وانه يعلمهم

جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع وهذا ما وردفى القرآن الكريم فى سوة النجم (وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى) وقد وردفى انجيل برنابا الذى ظهر منذ زمن قريب وأخفته حجب (١) الجهالة ذكر اسم الرسول عليه السلام صراحة

(حركة الافكار قبل البعثة)

وهذا يسهل لك فهم الحركة العظيمة من الاحبار والرهبان قبيل البعثة فكان اليهود يستفتحون على عرب المدينة برسول منتظر فقد حدث عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا انما دعانا للاسلام مع رحمة الله تعالى لنا ما كنا نسمع من أحبار يهود كنا أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لاتزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وارم فكثيراً ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله محمداً أجبنا حين دعانا الى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه فآمنا وكفروا وانما قال لهم اليهود نقتلكم معه قتل عاد وارم لان من صفته عليه السلام فى كتبهم أن هذا النبى يستأصل المشركين بالقوة ولم يكونوا يظنون أن الحسد والبغى سيتمكنان من أفئدتهم فينبذون الدين القيم فيحق عليهم العذاب فى الدنيا والآخرة : وكان أمية بن أبى الصلت المتنصر العربي كثيرا ما يقول انى لاجد فى الكتب صفة نبى يبعث في بلادنا : وحدث سلمان الفارسى رضى الله عنه عن نفسه أنه صحب قسيساً فكان يقول له ياسلمان ان الله سوف يبعث رسولاً اسمه أحمد يخرج من جبال تهامة علامته أن يأكل الهدية ولا يأكل

---

(١) ترجم الى العربية وهو الآن مطبوع بمصر

الصدقة: وهذا الحديث كان من أسباب اسلام سلمان ولما راسل عليه السلام ملوك الارض لم يهن كتابه الا كسرى الذي ليس عنده علم من الكتاب أما جميع ملوك النصارى كالنجاشي ملك الحبشة والمقوقس ملك مصر وقيصر ملك الروم فأكرموا وفادة رسله ومنهم من آمن كالنجاشي ومنهم من ردرداً لطيفاً وكاد يسلم لولا غاية الملك كقيصر ومنهم من هادى كالمقوقس ولم يكن عليه السلام في قوة يرهب بها هؤلاء الملوك اللهم ماذاك إلا لانهم يعلمون أن المسيح عليه السلام بشر برسول يأتى من بعده ووافقت صفات رسولنا ما عندهم فأجابوا بالتي هي أحسن: أما ماسمع من الهواتف والكهان قبيل زمنه فهو مالا يدخل تحت حصر وليس بعدما ذكرته لك زيادة لمستكثر ومع ذلك كله فالاعمال التي جاد الله بها على يديه والاقوال التي أتانا بها أعظم مقو لحجته ومؤيد لدعوته وسيأتي عليك بيان ذلك كله بأجلى بيان فتأمله ترشد هداك الله الى الصراط السوى

﴿ بدء الوحي ﴾

لما بلغ عليه السلام سن الكمال وهي أربعون سنة أرسله الله للعالمين بشيراً ونذيراً ليخرجهم من ظلمات الجهالة الى نور العلم وكان ذلك في أول فبراير سنة ٦١٠ من الميلاد كما أوضحه المرحوم محمود باشا الفلكي تبين بعد دقة البحث أن ذلك كان في ١٧ رمضان سنة ١٣ قبل الهجرة وذلك يوافق يوليو سنة ٦١٠ وأول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يري رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وذلك لما جرت به عادة الله في خلقه من التدريج في الامور كلها حتى تصل الى درجة الكمال ومن الصعب جداً على البشر تلقى الوحي من الملك لاول مرة ثم حبب اليه عليه السلام الخلاء ليبتعد عن ظلمات هذا العالم وينقطع عن الخلق الى الله فان

في العزلة صفاء السريرة وكان يخلو بغار (١) حراء فيتعبد فيه الليالي ذوات العدد فتارة عشراً وتارة أكثر إلى شهر وكانت عبادته على دين أبيه ابراهيم عليه السلام ويأخذ لذلك زاده فاذا فرغ رجع الي خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فبينما هو قائم في بعض الايام على الجبل اذ ظهر له شخص وقال أبشر يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله الى هذه الامة ثم قال له اقرأ قال ما أنا بقارىء فانه عليه السلام أمي لم يتعلم القراءة قبلا فأخذه فغطه بالنمط الذى كان ينام عليه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله فقال إقرأ فقال ما أنا بقارىء فأخذه فغطه ثانية ثم أرسله فقال اقرأ قال ما أنا بقارىء فأخذه فغطه الثالثة ثم أرسله فقال (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) فرجع بها عليه السلام يرجف فؤاده مما ألم به من الروع الذى استلزمته مقابلة الملك لاول مرة فدخل على خديجة زوجه فقال زملوني (٢) زملوني لتزول عنه هذه القشعريرة فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي لان الملك غطه حتى كاد يموت ولم يكن له عليه السلام علم قبل ذلك بجبريل ولا بشكله فقالت كلا والله مايخزيك الله أبداً انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فلا يسلط الله عليك الشياطين أو الاوهام ولامراء أن الله اختارك لهداية قومك ولتتأكد خديجة مما ظنته أرادت أن تتثبت ممن لهم علم بحال

---

(١) جبل على مقربة من مكة

(٢) لفوني في ثوب

الرسل ممن اطلعوا على كتب الأقدمين فانطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل ابن عم خديجة وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمى فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال يا ابن أخى ماذا ترى فأخبره عليه السلام خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى نزل الله على موسى لانه يعرف أن رسول الله الى أنبيائه هو جبريل ثم قال ياليتنى فيها جذعاً (شاباجلداً) إذ يخرجك قومك من بلادك التى نشأت بها لمعاداتهم إياك وكراهيتهم لك حينما تطالبهم بتغيير اعتقادات وجدوا عليها آباءهم فاستغرب عليه السلام ما نسب لقومه مع ما يعلمه من حبهم له لاتصافه بمكارم الاخلاق وصدق القول حتى سموه الأمين وقال أومخرجي هم قال لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الاعودي : وقد نطق بذلك القرآن الكريم قال تعالى في سورة ابراهيم (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا) ولتمام تصديق ورقة برسالة الرسول الأكرم عليه السلام قال وان يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزرا (معضدا) ثم لم يلبث ورقة أن توفى

(فترة الوحى)

وفتر الوحي مدة لم يتفق عليها المؤرخون وأرجح أقوالهم فيها أربعون يوماً ليشتد شوق الرسول للوحي وقد كان فان الحال اشتد به عليه السلام حتى صار كلما أتى ذروة جبل بدا له أن يرمي نفسه منها حذراً من قطيعة الله له بعد أن أراه نعمته الكبرى وهي اختياره لأن يكون واسطة بينه وبين خلقه فيتبدى له الملك قائلا أنت رسول الله حقا فيطمئن خاطره ويرجع عما عزم عليه حتى أراد الله أن يظهر

للوجود نور الدين فعاد اليه الوحي

﴿ عود الوحي ﴾

فبينما هو يمشي إذ سمع صوتاً من السماء فرفع اليه بصره فاذا الملك الذي جاءه بحراء جالس بين السماء والارض فرعب منه لتذكر ما فعله في المرة الاولى فرجع وقال دثروني دثروني فأنزل الله تعالى عليه (يا أيها المدثر قم فأنذر) حذر الناس من عذاب الله ان لم يرجعوا عن غيهم وما كان يعبد آباؤهم (وربك فكبر) خصه بالتعظيم ولا تشرك معه في ذلك غيره (وثيابك فطهر) لتكون مستعداً للوقوف بين يدي الله اذ لا يليق بالمؤمن أن يكون مستقذراً نجساً (والرجز فاهجر) أي اهجر أسباب الرجز وهو العذاب بأن تطيع الله وتنفذ أمره (ولا تمنن تستكثر) ولا تهب أحداً هبة وأنت تطمع أن تستعيض من الموهوب له أكثر مما وهبت فهذا ليس من شأن الكرام (ولربك فاصبر) على ما سيلحقك من أذى قومك حينما تدعوهم إلى الله

﴿ الدعوة سراً ﴾

فقام عليه السلام بالامر ودعا لعبادة الله أقواماً جفاة لا دين لهم الا أن يسجدوا لاصنام لا تنفع ولا تضر ولا حجة لهم الا أنهم متبعون لما كان يعبد آباؤهم وليس عندهم من مكارم الاخلاق الا ما كان مرتبطاً بالعزة والانفة وهو الذي كثيراً ما كان سبباً في الغارات والحروب واهراق الدماء فجاءهم رسول الله بما لا يعرفونه فذوو العقول السليمة بادروا الى التصديق وخلع الاوثان ومن أعمته الرياسة أدبر واستكبر كيلا تسلب منه عظمته : وكان أول من سطع عليه نور الاسلام خديجة بنت خويلد زوجه وعلي بن أبي طالب ابن عمه وكان مقيماً عنده

يطعمه ويسقيه ويقوم بأمره لأن قريشاً كانوا قد أصابتهم مجاعة وكان أبو طالب مقلاً كثير الاولاد فقال عليه السلام لعمه العباس بن عبد المطلب ان أخاك أباطالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا اليه لنخفف من عياله تأخذ واحداً وأنا واحداً فانطلقا وعرضا عليه الامر فأخذ العباس جعفر بن أبي طالب وأخذ عليه السلام علياً فكان في كفالته كأحد أولاده الى أن جاءت النبوة وقد ناهز الاحتلام فكان تابعاً للنبي في كل أعماله ولم يتدنس بدنس الجاهلية من عبادة الأوثان واتباع الهوى وأجاب أيضاً زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي مولاه عليه السلام وكان يقال له زيد بن محمد لانه لما اشتراه أعتقه وتبناه وكان المتبنى معتبراً كابن حقيقي يرث ويورث وأجابت أيضاً أم أيمن حاضنته التي زوجها لمولاه زيد . وأول من أجابه من غير أهل بيته أبو بكر بن أبي قحافة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي القرشي كان صديقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة يعلم ما اتصف به من مكارم الاخلاق ولم يعهد عليه كذباً منذ اصطحبا فأول ما أخبره برسالة الله أسرع بالتصديق وقال بأبي أنت وأمي أهل الصدق أنت أشهد أن لا إله الا الله وأنك رسول الله . كان رضي الله عنه صدراً معظماً في قريش على سعة من المال وكرم الاخلاق وكان من أعف الناس سخياً يبذل المال محبباً في قومه حسن المجالسة ولذلك كله كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة الوزير فكان يستشيره في أموره كلها وقال في حقه (ما دعوت أحداً الى الاسلام الا كانت له كبوة غير أبي بكر) وكانت الدعوة الى الاسلام سراً حذراً من مفاجأة العرب بأمر شديد كهذا فيصعب استسلامهم فكان عليه السلام لا يدعو الا من يثق به ودعا أبو بكر إلى الاسلام من يثق به من رجال

قريش فأجابه جمع (منهم) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموى القرشي ولما علم عمه الحكم باسلامه أوثقه كتافاً وقال ترغب عن دين آبائك إلى دين مستحدث !!! والله لا أحلك حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان والله لا أدعه ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته في الحق تركه وكان كهلاً يناهز الثلاثين من عمره (ومنهم) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي القرشي وأمه صفية بنت عبد المطلب وكان عم الزبير يرسل الدخان عليه وهو مقيد ليرجع إلى دين آبائه فقواه الله بالثبات وكان شاباً لا يتجاوز سن الاحتلام (ومنهم) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب الزهرى القرشي وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسماه عليه السلام عبد الرحمن (ومنهم) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب الزهرى القرشي ولما علمت أمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية باسلامه قالت له يا سعد بلغني أنك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف من الحر والبرد وان الطعام والشراب علىّ حرام حتى تكفر بمحمد وبقيت كذلك ثلاثة أيام فجاء سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه أمر أمه فنزل في ذلك تعليما قول الله تعالى في سورة العنكبوت (ووصينا الانسان بوالديه حسناً وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) وصاه جل ذكره بوالديه وأمره بالاحسان اليهما مؤمنين كانا أو كافرين أما اذا دعواه للاشراك فالمعصية متحتمة لان كل حق وان عظم ساقط هنا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم قال إلى مرجعكم من آمن منكم ومن أشرك فأجازيكم حق

جزائكم وفي ختام هـذه الآية فائدتان التنبيه على أن الجزاء الى الله فلا تحـدثه نفسك بجفوتهما الاشرا كهما والحض على الثبات فى الدين لئلا ينال شر جزاء في الاخرى (ومنهم) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة التيمى القرشي وقد كان عرف من الرهبان ذكر الرسول وصفته فلما دعاه أبو بكر وسمع من رسول الله ما نفعه الله به ورأى الدين متيناً بعيداً عما عليه العرب من المثالب بادر إلى الاسلام (وممن) سبقوا إلى الاسلام صهيب الرومى وكان من الموالى وعمار بن ياسر العنسى وقد قال رضى الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه الا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر وكذلك أسلم أبوه ياسر وأمه سمية (ومن) السابقين الاولين عبدالله بن مسعود كان يرعى الغنم لبعض مشركى قريش فلما رأى الآيات الباهرة وما يدعو اليه عليه السلام من مكارم الاخلاق ترك عبادة الاوثان ولزم رسول الله وكان رضي الله عنه كثير الدخول على الرسول لا يحجب ويمشى أمامه ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس أدخلهما في ذراعيه (ومن) السابقين الاولين أبو ذر الغفارى وكان من أعراب البادية فصيحاً حلو الحديث ولما بلغه مبعث رسول الله قال لاخيه اركب الى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا الرجـل الذى يزعم انه نبى يأتيه الخبر من السماء واسمع من قوله ثم ائتنى فانطلق الاخ حتى قدم مكة وسمع من قول الرسول ثم رجع الى أبى ذر فقال رأيته يأمر بمكارم الاخلاق ويقول كلاماً ماهو بالشعر فقال ماشفيتنى مما أردت فتزود وحمل قربة له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتمس النبى صلى الله عليه وسـلم ولا يعرفه وكره أن يسأل

عنه لما يعرفه من كراهة قريش لكل من يخاطب رسول الله حتى اذا أدركه الليل رآه علي فعرف أنه غريب فأضافه عنده ولم يسأل أحد منهما صاحبه عن شيء (على قاعدة الضيافة عند العرب لا يسأل الضيف عن سبب قدومه الا بعد ثلاث) فلما أصبح احتمل قربته وزاده الى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه الرسول حتى أمسى فعاد الى مضجعه فمر به علي فقال أما آن للرجل أن يعرف منزله الذي أضيف به بالأمس فأقامه فذهب معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى اذا كان اليوم الثالث عاد على مثل ذلك ثم قال له علي ألا تحدثني ما الذي أقدمك؟ قال ان أعطيتني عهداً أو ميثاقاً لترشدني فعلت ففعل فأخبره قال فانه حق وهو رسول الله فاذا أصبحت فاتبعني فاني ان رأيت شيئاً أخافه عليك قمت كأني أريق الماء فان مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل فانطلق يتبع أثره حتى دخل على النبي ودخل معه فسمع من قوله وأسلم مكانه فقال له النبي ارجع الى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري قال والذي نفسي بيده لاصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته أشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فقام القوم فضربوه حتى أضجعوه وأتى العباس فأكب عليه وقال ويلكم أولستم تعلمون أنه من غفار؟ وان طريق تجارتكم الى الشام عليه فانقذه منهم ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا اليه فاكب العباس عليه (رواه البخاري) كان رضي الله عنه من أصدق الناس قولا وأزهدهم في الدنيا (ومن) السابقين سعيد بن زيد العدوى القرشي وزوجه فاطمة بنت الخطاب أخت عمر وأم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية زوج العباس بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سلمة بن عبد الله بن عبد الاسد

المخزومي القرشي ابن عمة رسول الله صلي الله عليه وسلم وزوجه أم سلمة وعثمان بن مظعون الجمحى القرشى وأخواه قدامة وعبد الله والارقم بن أبى الارقم المخزومى القرشى (ومن) السابقين الاولين خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموى القرشي: كان أبوه سيد قريش اذا اعتم لم يعتم قرشى اجلالا له وكان خالد بن سعيد قد رأى فى منامه أنه سيقع فى هاوية فأدركه رسول الله وخلصه منها فجاء اليه وقال الام تدعو يا محمد قال أدعوك الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع والاحسان إلى والديك وأن لا تقتل ولدك خشية الفقر وأن لا تقرب الفاحشة ما ظهر منها وما بطن وأن لا تقتل نفساً حرم الله قتلها الا بالحق وأن لا تقرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأن توفى الكيل والميزان بالقسط وأن تعدل فى قولك ولو حكمت على ذوى قرباك وأن توفى لمن عاهدت فأسلم رضى الله عنه وحينئذ غضب عليه أبوه وآذاه حتى منعه القوت فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويعيش معه ويغيب عن أبيه فى ضواحى مكة وأسلم بعده أخوه عمرو بن سعيد: وهكذا دخل هؤلاء الاشراف فى دين الاسلام ولم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف يضرب به أعناقهم حتى يطيعوه صاغرين وليس معه ما يرغب فيه حتى يترك هؤلاء العظماء آباءهم وذوى الثروة منهم ويتبعوا الرسول ليأكلوا من فضل ماله بل كان الكثير منهم واسع الثروة أكثر منه عليه السلام كابي بكر وعثمان وخالد بن سعيد وغيرهم والذين اتبعوه من الموالى اختاروا الاذى والجوع والمشقات مع اتباع الرسول بحيث لو اتبعوا اسادتهم لكانوا فى هذه الدنيا أهدأ بالا وانعم عيشة اللهم ليس ذلك الا من

هداية الله وسطوع أنوار الدين عليهم حتي أدركوا ما هم عليه من الضلالة وما عليه رسول الله من الهدى

(الجهر بالتبليغ)

مضت كل هذه المدة والنبي عليه السلام لا يظهر الدعوة في مجامع قريش العمومية ولم يكن المسلمون يتمكنون من إظهار عبادتهم حذراً من تعصب قريش فكان كل من أراد العبادة ذهب إلى شعاب مكة يصلي مستخفياً ولما دخل في الدين ما يربو على الثلاثين وكان من اللازم اجتماع الرسول بهم ليرشدهم ويعلمهم اختار لذلك دار الارقم بن أبي الارقم وهو ممن ذكرنا اسلامهم ومكث عليه السلام يدعو سراً حتى نزل عليه قوله تعالى في سورة الحجر (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) فبدل الدعوة سراً بالدعوة جهراً ممتثلاً أمر ربه واثقاً بوعده ونصره فصعد على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر الخبر فجاء أبو لهب بن عبد المطلب وقريشاً فقال عليه السلام أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك كذباً قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تباً لك ألهذا جمعتنا فأنزل الله في شأنه (تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد) والقصد من حمل الحطب المشي بالنميمة لانها كانت تقول على رسول الله الاكاذيب في نوادي النساء . ثم نزل عليه في سورة الشعراء (وأنذر عشيرتك الاقربين) وهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو نوفل وبنو عبد شمس أولاد عبد مناف (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك) أي

العشيرة الأقربون (فقل إني بريء مما تعملون) فجمعهم عليه السلام وقال لهم ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم والله الذي لا إله الا هو إني لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احساناً وبالسوء سوءاً وانها الجنة أبداً أو لنار أبداً فتكلم القوم كلاماً ليناً غير عمه أبي لهب الذي كان خصماً لدوداً فانه قال خذوا على يديه قبل أن تجتمع عليه العرب فان سلمتوه اذاً ذللتم وان منعتموه قتلتم فقال أبو طالب والله لنمنعه ما بقينا ثم انصرف الجمع

ولما جهر رسول الله عليه الصلاة والسلام بالدعوة سخرت منه قريش واستهزؤا به في مجالسهم فكان اذا مر عليهم يقولون هذا ابن أبي كبشة يكلم من السماء وهذا غلام عبد المطلب يكلم من السماء لا يزيدون على ذلك فلما عاب آلهتهم وسفه عقولهم وقال لهم والله يا قوم لقد خالفتم دين أبيكم ابراهيم ثارت في رؤسهم حمية الجاهلية غيرة على تلك الآلهة التي كان يعبدها آباؤهم فذهبوا الى عمه أبي طالب سيد بني هاشم الذي أخذ على نفسه حمايته من أيدي أعدائه فطلبوا منه أن يخلي بينهم وبينه أو يكفه عما يقول فردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه ومضي رسول الله لما يريده لا يصده عن مراده شيء فتزايد الامر وأضمرت قريش الحقد والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحث بعضهم بعضاً على ذلك ثم مشوا الى ابي طالب مرة أخرى وقالوا له ان لك سناً وشرفاً ومنزلة منا وانا قد طلبنا منك أن تنهى ابن أخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه عقولنا وعيب آلهتنا فانهم كانوا اذا احتجوا بالتقليد في استمرارهم علي عدم

اتباع الحق ذمهم لعدم استعمال عقولهم فيما خلقت له قال تعالى في سورة البقرة (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) وقال في سورة المائدة (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) وقال في سورة لقمان (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) وقال في سورة الزخرف في بيان حجتهم الداحضة (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) ولما شبههم بمن قبلهم من الامم في هذه المقالة الدالة على التعصب والعناد قال (قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون) فلما تمسكوا بحجة التقليد لآبائهم جر ذلك الى وصف بائهم بعدم العقل وعدم الهداية فهاج ذلك أضغانهم وقالوا لابى طالب إما أن تكفه أو ننازله واياك في ذلك حتي يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا فعظم على أبي طالب فراق قومه ولم يطب نفساً بخذلان ابن أخيه فقال له يا ابن اخي ان القوم جاؤني فقالوا الى كذا فأبق علي نفسك ولا تحملني من الامر مالا أطيق فظن الرسول أن عمه خاذله فقال والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه ثم بكى وولى فقال أبو طالب أقبل يا ابن أخي فأقبل عليه فقال اذهب فقل ما أحببت والله لا اسلمك

(الايذاء)

ورأي رسول الله من المشركين كثير الاذى وعظيم الشدة

خصوصا اذا ذهب الى الصلاة عند البيت وكان من اعظمهم أذى لرسول الله جماعة سموا لكثرة أذاهم بالمستهزئين (فاولهم) وأشدهم أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي قال يوما يامعشر قريش ان محمد قد أتي ماترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه أحلامكم وسب آبائكم إنى أعاهد الله لاجلسن له غداً بحجر لاأطيق حمله فاذا سجد فى صلاته رضخت به رأسه فاسلمونى عندذلك أوامنعونى فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف مابدا لهم فلما اصبح أخذ حجراً كما وصف ثم جلس لرسول الله ينتظره وغدا عليه السلام كما كان يغدو الى صلاته وقريش فى أنديتهم ينتظرون ماأبو جهل فاعل فلما سجدعليه السلام احتمل أبو جهل الحجر أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعالونه من الفزع ورمي حجره من يده فقام اليه رجال من قريش فقالوا مالك ياأبا الحكم قال قمت اليه لافعل ماقلت لكم فلما دنوت منه عرض لى فحل من الابل والله مارأيت مثله قط هم بى أن يأكلنى فلما ذكر ذلك لرسول الله قال ذاك جبريل ولودنا لاخذه وكان أبو جهل كثيراً ماينهى الرسول عن صلاته في البيت فقال له مرة بعد أن رآه يصلي ألم أنهك عن هذا فأغلظ له رسول الله القول وهدده فقال أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فأنزل الله تهديدا له فى آخر سورة اقرأ (كلالئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلالا تطعه واسجد واقترب) ومن أذيته للرسول ماحكاه عبد الله بن مسعود من رواية البخاري قال كنا مع رسول الله في المسجد وهو يصلي فقال أبو جهل ألا رجل يقوم الى فرث جزور بنى فلان فيلقيه على محمد

وهو ساجد فقام عقبة بن أبى معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فلم يقدر أحد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على إلقائه عنه لضعفهم عن مقاومة عدوهم ولم يزل عليه السلام ساجداً حتى جاءت فاطمة بنته فأخذت القذر ورمته فلما قام دعا على من صنع هذا الصنع القبيح فقال اللهم عليك الملأ من قريش وسمى أقواماً قال ابن مسعود فرأيتهم قتلوا يوم بدر : ومما حصل لرسول الله مع أبى جهل أن هذا ابتاع اجمالا من رجل يقال له الاراشي فمطله بأثمانها فجاء الرجل مجمع قريش يريد منهم مساعدة على أخذ ماله فدلوه على رسول الله لينصفه من أبى جهل استهزاء لما يعلمونه من أفعال ذلك الشقى بالرسول فتوجه الرجل اليه وطلب منه المساعدة على أبي جهل فخرج معه حتي ضرب عليه بابه فقال من هذا قال محمد فخرج منتقعا لونه فقال له الرسول أعط هذا حقه فقال أبو جهل لا تبرح حتى تأخذه فلم يبرح الرجل حتي أخذ دينه فقالت قريش ويلك يا أبا الحكم ما رأينا مثل ما صنعت قال ويلكم والله ماهو الا ان ضرب على بابي حتي سمعت صوتا ملئت منه رعبا وان فوق رأسي فحلا من الابل ما رأيت مثله (ومن جماعة المستهزئين) أبو لهب بن عبد المطلب عم رسول الله كان أشد عليه من الاباعد فكان يرمي القذر على بابه لانه كان جاره فكان الرسول يطرحه ويقول يا بنى عبد مناف أى جوار هذا وكانت تشاركه فى قبيح عمله زوجه أم جميل بنت حرب بن أمية فكانت كثيرا ما تسب رسول الله وتتكلم فيه بالنمائم وخصوصا بعد أن نزل فيها وفى زوجها سورة أبى لهب (ومن المستهزئين) عقبة بن أبي معيط كان الجار الثاني لرسول الله

وكان يعمل معه كأبي لهب صنع مرة وليمة ودعا لها كبراء قريش وفيهم رسول الله فقال عليه السلام والله لا آكل طعامك حتى تؤمن بالله فتشهد فبلغ ذلك أبي بن خلف الجمحي القرشي وكان صديقا له فقال ماشيء بلغني عنك قال لاشيء دخل منزلي رجل شريف فأبى أن يأكل طعامي حتي أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له قال أبي وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ عنقه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فلما رأى عقبة رسول الله فعل به ذلك فأنزل الله فيه في سورة الفرقان (ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا) ومن أشد ما صنعه ذلك الشقي برسول الله ما رواه البخاري في صحيحه قال بينما النبي يصلي في حجر الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنق رسول الله فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر حتي أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) ومن جماعة المستهزئين العاصي بن وائل السهمي القرشي والد عمرو بن العاص كان شديد العداوة لرسول الله وكان يقول غر محمد أصحابه أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا إلا الدهر فقال الله ردا عليه في دعواه في سورة الجاثية (وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) وكان عليه دين لخباب بن الارت أحد رجال المسلمين فتقاضاه اياه فقال العاصي أليس يزعم محمد هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما يبتغي أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم قال خباب بلى قال فأنظرني الى هذا اليوم فسأوتي مالا وولدا وأقضيك دينك

فأنزل الله فيه في سورة مريم (أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب مايقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه مايقول ويأتينا فردا) ومن جماعة المستهزئين ، الاسود ابن عبد يغوث الزهرى القرشى من بنى زهرة أخوال رسول الله كان اذا رأى اصحاب النبى مقبلين يقول قد جاءكم ملوك الارض استهزاء بهم لانهم كانوا متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن وكان يقول لرسول الله سخرية أما كلمت اليوم من السماء (ومنهم) الاسود بن عبد المطلب الاسدى ابن عم خديجة كان هو وشيعته اذا مر عليهم المسلمون يتغامزون وفيهم نزل فى سورة التطفيف (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين واذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون) ومنهم الوليد بن المغيرة عم أبى جهل كان من عظماء قريش وفى سعة من العيش سمع القرآن مرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقومه بنى مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو ومايعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد لتصبأن قريش كلها فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فتوجه وقعد اليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام فاتاهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يهوس وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر قليلا ثم قال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه فارتج

النادي فرحاً فانزل الله فى شأن الوليد فى سورة المدثر مخاطباً لرسوله (ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالاً ممدوداً وبنين شهوداً ومهدت له تمهيداً ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيداً سأرهقه صعوداً إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر : ثم نظر ثم عبس وبسر : ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا الا قول البشر : سأصليه سقر) وأنزل فيه أيضاً في سورة ن (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف وكفى بهذا زاجراً لمن اعتاد الحلف (مهين) حقير وأراد به الكذاب لانه حقير في نفسه (هماز) عياب طعان (مشاء بنميم) ينقل الاحاديث للافساد بين الناس (مناع للخير معتد أثيم عتل) غليظ جاف « بعد ذلك زنيم » دخيل (أن كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين : سنسمه على الخرطوم) كناية عن الاذلال والتحقير لان الوجه أكرم عضو والانف أشرف ما فيه ولذلك اشتقوا منه كل ما يدل على العظمة كالانفة وهى الحمية فالوسم على أشرف عضو دليل الاذلال والاهانة (ومن) المستهزئين النضر ابن الحارث العبدري من بني عبد الدار بن قصى كان اذا جلس رسول الله مجلساً للناس يحدثهم ويذكرهم ما أصاب من قبلهم قال النضر هلموا يا معشر قريش فاني أحسن منه حديثاً ثم يحدث عن ملوك فارس وكان يعلم أحاديثهم ويقول ما أحاديث محمد الا أساطير الاولين وفيه نزل فى سورة لقمان (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم) وكل هؤلاء انتقم الله منهم كما قال تعالى فى التنزيل في سورة الحجر (إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الهاً آخر فسوف

يعلمون) وقد وضع الله جل ذكره الوعد في صورة الماضي للتحقيق من وقوعه لان الآية مكية وهلاك هذه الفئة كان بعد الهجرة فمنهم من قتل كابي جهل والنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط ومنهم من ابتلاه الله بامراض شديدة فهلك منها كابي لهب والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة

(اسلام حمزة)

وكان بعض إيذائهم هذا سببا لاسلام عمه حمزة بن عبد المطلب فقد أدركته الحمية عند ماعيرته بعض الجوارى بايذاء أبي جهل لابن أخيه فتوجه الى ذلك الشقي وغاضبه وسبه وقال كيف تسب محمداً وأنا على دينه ثم انار الله بصيرته بنور اليقين حتي صار من أحسن الناس إسلاماً وأشدهم غيرة على المسلمين وأقواهم شكيمة على أعداء الدين حتى سمي أسد الله

وكما أوذى الرسول عليه الصلاة والسلام أوذي أصحابه لاتباعهم له خصوصا من ليس له عشيرة تحميه وترد كيد عدوه عنه وكل هذا الاذى كان حلوا في أعينهم مادام فيه رضا الله فلم يفتنوا عن دينهم بل ثبتهم الله حتى أتم أمره على أيديهم وصاروا ملوك الارض بعد أن كانوا مستضعفين فيها كما قال جل ذكره في سورة القصص (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) وقد حقق ماأراد (ومن) الذين أوذوا في الله بلال بن رباح كان مملوكا لامية بن خلف الجمحي القرشي فكان يجعل في عنقه حبلاً ويدفعه الى الصبيان يلعبون به وهو يقول أحد أحد لم يشغله ماهو فيه عن توحيد الله وكان أمية يخرج به في وقت الظهيرة في الرمضاء وهى الرمل الشديد الحرارة لو وضعت عليه قطعة

لحم لنضجت ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره : ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول أحد أحد : مر به أبو بكر يوماً فقال يا أمية أما تتقي الله في هذا المسكين حتى متى تعذبه قال أنت أفسدته فأنقذه مما ترى فاشتراه منه وأعتقه فأنزل الله فيه وفي أمية في سورة الليل (فأنذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها إلا الأشقى) أمية بن خلف (الذي كذب وتولى وسيجنبها الاتقى) الصديق (الذي يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى . الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى) بما يعطيه الله في الاخرى جزاء أعماله وقد نبه الله جل ذكره على أن بذل الصديق ماله في شراء بلال وعتقه لم يكن الا ابتغاء وجه ربه وكفى بهذا شرفاً وفضلاً للصديق رضى الله عنه وأرضاه وقد أعتق غير بلال جماعة من الارقاء أسلموا فعاقبهم مواليهم (ومنهم) حمامة أم بلال وعامر بن فهيرة كان يعذب حتى لا يدرى ما يقول وأبو فكيهة كان عبداً لصفوان بن أمية بن خلف (ومنهم) امرأة تسمى زنيرة عذبت في الله حتى عميت فلم يزدها ذلك الا إيماناً وكان أبو جهل يقول ألا تعجبون لهؤلاء وأتباعهم لو كان ما أتى به محمد خيراً ما سبقونا اليه أفتسبقنا زنيرة الى رشد فأنزل الله في سورة الاحقاف (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم) (وممن) أعتق أبو بكر بعد شرائه أم عنيس كانت أمة لبني زهرة وكان يعذبها الاسود بن عبد يغوث (وممن) عذب في الله عمار بن ياسر وأخوه وأبوه وأمه كانوا يعذبون بالنار فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صبراً آل ياسر فموعدكم الجنة اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت أما أبو عمار وأمه فماتا تحت العذاب رحمهما الله وأما هو فثقل عليه العذاب

فقال بلسانه كلمة الكفر فان أبا جهل كان يجعل له دروع الحديد في اليوم الصائف ويلبسه إياها فقال المسلمون كفر عمار فقال عليه السلام عمار ملىء إيماناً من فرقه الى قدمه وأنزل الله في شأنه استثناء في حكم المرتد فقال جل ذكره في سورة النحل (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) (وممن أوذى في الله) خباب بن الارت سبي في الجاهلية فاشترته أم أنمار وكان حداداً وكان النبي يألفه قبل النبوة فلما شرفه الله بها اسلم خباب فكانت مولاته تعذبه بالنار فتأتي بالحديدة المحماة فتجعلها على ظهره ليكفر فلا يزيده ذلك الا إيماناً وجاء خباب مرة الى رسول الله وهو متوسد برده في ظل الكعبة فقال يارسول الله ألا تدعو الله لنا فقعد عليه السلام محمراً وجهه فقال انه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد مادون عظامه من لحم وعصب ويوضع المنشار على فرق رأس أحدهم فيشق مايصرفه ذلك عن دينه وليظهرن الله تعالى هذا الامر حتي يسير الراكب من صنعاء الي حضرموت (١) لايخاف الا الله او الذئب على غنمه قال ذلك عليه السلام وهو في هذه الحال الشديدة التي لا يتصور فيها أعقل العقلاء وأنبل النبلاء قوة منتظرة أو سعادة مستقبلة اللهم الا أن ذلك وحي يوحى اليه ثم أنزل الله تعالى تثبيتاً للمؤمنين أول سورة العنكبوت (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون : ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) (وممن أوذى في الله) أبو بكر الصديق ولما اشتد عليه الاذى أجمع

---

(١) موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر وقيل موضع في أقصى اراضي هجر اهـ من ياقوت

أمره علي الهجرة من مكة الى جهة الحبشة نخرج حتي أتي برك الغماد فلقيه ابن الدغنة وهو صيد قبيلة عظيمة اسمها القارة فقال الى أين ياأبابكر فقال أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الارض وأعبد ربى فقال ابن الدغنة مثلك ياأبابكر لا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فأنالك جار فارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل ابن الدغنة معه وطاف فى أشراف قريش فقال لهم أبو بكر لايخرج مثله أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا له مر أبابكر فليعبد ربه فى داره فليصل فيها ماشاء وليقرأ ماشاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن فانا نخشي ان يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فلبث بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم بدا لابى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا قد أجرنا أبابكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه بفناء داره فعل: وان أبي الا أن يعلن ذلك فسله أن يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان فأتي ابن الدغنة أبابكر فقال قد علمت الذى عاقدت لك عليه فاما أن تقصر على ذلك واما أن ترجع الى ذمتي فاني لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت في رجل عقدت له فقال

أبو بكر فاني أرد عليك جوارك وأرضي بجوار الله (رواه البخاري) وكان ذلك سبباً لايصال أذي عظيم الى أبى بكر رضى الله عنه وبالجملة فلم يخل أحد من المسلمين من أذية لحقته ولكن كل ذلك ضاع سدي تلقاء ثباتهم وعظيم إيمانهم فانهم لم يسلموا لغرض دنيويّ يرجون حصوله فيسهل ارجاعهم ولكن وفقهم الله لادراك حقيقة الايمان فرأوا كل شيء دونه سهلاً

ولما رأى كفار قريش أن ذلك الاذي لم يجدهم نفعاً بل كلما زادوا المسلمين أذى ازداد يقينهم اجتمعوا للشوري فيما بينهم فقال لهم عتبة بن ربيعة العبشمى من بني عبد شمس بن عبد مناف وكان سيداً مطاعاً فى قومه يامعشر قريش ألا أقوم لمحمد فاكلمه وأعرض عليه أموراً علّه يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا فقالوا ياأبا الوليد فقم اليه فكلمه فذهب الى رسول الله وهو يصلى فى المسجد وقال ياابن أخى انك منا حيث قد علمت من خيارنا حسباً ونسباً وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت أحلامهم وعبت آلهتهم ودينهم وكفرت من مضي من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال عليه السلام قل ياأبا الوليد اسمع

فقال ياابن اخى ان كنت تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا حتي لا نقطع أمراً دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذى يأتيك رئياً من الجن لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتي يداوي فقال عليه الصلاة والسلام فقد فرغت ياأبا الوليد قال نعم قال فاسمع مني فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أول سورة فصلت

(بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيراً و نذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون. وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون: قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحي في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم . فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون) فأمسك عتبة بفيه و ناشده الرحم أن يكف عن ذلك فلما رجع عتبة سألوه فقال والله لقد سمعت قولا ماسمعت مثله قط والله ماهو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر يامعشر قريش أطيعوني فاجعلوها لي خلوا بين الرجل و بين ماهو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لكلامه الذي سمعت نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فعزه عزكم فقالوا لقد سحرك محمد فقال هذا رأيي ثم عرضوا عليه بعد ذلك أن يشاركهم في عبادتهم ويشاركوه في عبادته فانزل الله في ذلك (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون

ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم : ولا أنتم عابدون ما أعبد : لكم دينكم ولي دين) فلا تتوهموا اني أجيبكم لطلبكم من الاشراك بالله فأيسوا منه وطلبوا بعد ذلك أن ينزع من القرآن ما يغيظهم من ذم الاوثان والوعيد الشديد فيأتي بقرآن غيره أو يبدله فأنزل الله جوابا لهم في سورة يونس (قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى الي) وقد حصل له مع كفار قريش نادرة تكون لمن استهان بالضعيف كمصباح يستضيء به وهي انه بينما الرسول عليه السلام مع كبراء قريش وأشرافهم يتألفهم ويعرض عليهم القرآن وما جاء به من الدين اذ أقبل عليه عبد الله ابن أم مكتوم الاعمى وهو ممن أسلموا قديما والنبي مشتغل بالقوم وقد لقي منهم مؤانسة حتى طمع في إسلامهم فقال له عبد الله يا رسول الله علمني مما علمك الله وأكثر عليه القول فشق ذلك على الرسول وكره قطعه لكلامه وخاف عليه السلام أن يكون التفاته لذلك المسكين ينفر عنه قلب أولئك الاشراف فأعرض عنه فعاتبه الله على ذلك بقوله أول سورة (عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكي أو يذكر فتنفعه الذكري : أما من استغنى فأنت له تصدي : وما عليك ألا يزكي : وأما من جاءك يسعي وهو يخشي : فانت عنه تلهى) فما عبس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها في وجه فقير وكان اذا أقبل عليه عبد الله بن أم مكتوم يقول له مرحباً بمن عاتبني فيه ربي

ولما رأى المشركون أن هذه المطالب التي يعرضونها لا تقبل منهم أرادوا أن يدخلوا من باب آخر وهو تعجيز الرسول بطلب الآيات فاجتمعوا وقالوا يا محمد ان كنت صادقا فأرنا آية نطلبها منك وهي أن تشق لنا القمر فرقتين فاعطاه

الله هـذه المعجزة وانشق القمر فرقتين فقـال رسول الله اشهدوا وهذه القصة رواها عبدالله بن مسعود وهو من السابقين الاولين رويت عنه من طرق كثيرة ورواها عبد الله بن عباس وغيره ورواها عنهم جمع غزير حتى صار الحديث كالمتواتر وقد ذكرها القرآن الـكريم في قوله تعالى أول سورة القمر (اقتربت الساعة وانشق القمر) فحينما رأى المعاندون هذه الآية الـكبرى قال بعضهم لقـد سحركم ابن أبي كبشة فانزل الله فيهم (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) ثم سالوا الرسول بعد ذلك آيات لا يقصدون بذلك الا التعنت والعناد فمنها أن قالوا كما في سورة الاسراء (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيراً. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه)ولم يجبهم الله الا بقوله قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا) لان الله علم ماتكنه جوانحهم من التعصب والعناد فلا يؤمنون مهما جاءهم من البينات كما قال جـل ذكره في سورة الانعام(وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون) وكيف يرجى الخير ممن قالوا كما في سورة الانفال (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق من عنـدك فاهدنا اليـه وهذه سنة من سـنن الانبياء اذا رأوا من طلاب الآيات عنادا وانهم يطلبونها تعجيزا لا يسألون الله انفاذ هذه الآيات كيلا يحل بقومهم الهلاك كما حصـل لعاد وثمود وغيرهم وهذا هو المراد من قوله تعالى في سورة الاسراء (وما منعنا أن نرسـل بالآيات الا أن كذب بها

الاولون) وقد حصل للمسيح عليه السلام أنه لما وقف أمام هيردوس طلب منه آية فلم يجبه الى طلبه فلما رأى ذلك سخر منه ورده الى عدوه بيلاطس بعد أن كان يأسف عليه ويتمنى لقاءه وذلك مذكور فى الاصحاح الثالث والعشرين من انجيل لوقا (هذا) ولما رأى المشركون ضعفهم عن مقاومة المسلمين بالبرهان تحولوا الى سياسة القوة التى اختارها قوم ابراهيم عندما عجزوا عنه حيث قالوا (حرقوه وانصروا آلهتكم) كما فى سورة الانبياء أما هؤلاء فازدادوا بالاذي على كل من أسلم رجاء صدهم عن اتباع الرسول عليه السلام ولم يتركوا باباً الا ولجوه فقال عليه السلام لاصحابه تفرقوا فى الارض فان الله سيجمعكم فسألوه عن الوجه فاشار الى الحبشة

(هجرة الحبشة الأولى)

فعند ذلك تجهز ناس للخروج من ديارهم وأموالهم فرارا بدينهم كما أشار عليه السلام وهذه هى أول هجرة من مكة وعدة أصحابها عشرة رجال وخمس نسوة وهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله وأبو سلمة وزوجه أم سلمة وأخوه لامه أبو سبرة بن أبى رهم وزوجه أم كلثوم وعامر ابن ربيعة وزوجه ليلى وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وزوجه سهلة بنت سهيل وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون ومصعب بن عمير وسهيل بن البيضاء والزبير بن العوام وجلهم من قريش وكان عليهم فيما روى ابن هشام عثمان بن مظعون فساروا على بركة الله ولما انتهوا الى البحر استأجروا سفينة أوصلتهم الى مقصدهم فأقاموا آمنين من أذي يلحق بهم من المشركين ولم يبق مع النبي عليه السلام الا القليل

(إسلام عمر)

وفي ذلك الوقت أسلم الشهم الهمام عمر بن الخطاب العدوى القرشي بعد ما كان عليه من كراهية المسلمين وشدة أذاهم ، قالت ليلى احدي المهاجرات لارض الحبشة مع زوجها كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا في إسلامنا فلما ركبت بعيرى أريد أن أتوجه الى أرض الحبشة اذا أنا به فقال لى الى أين ياأم عبد الله فقلت قد آذيتمونا في ديننا نذهب في أرض الله حيث لا نؤذى فقال صحبكم الله فلما جاء زوجي عامر أخبرته بما رأيت من رقة عمر فقال ترجين أن يسلم والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب وذلك لما كان يراه من قسوته وشدته على المسلمين ولكن حصلت له بركة دعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم فانه قال قبيل إسلامه اللهم أعز الاسلام بعمر وكان اسلامه في دار الارقم ابن أبى الارقم التي كان المسلمون يجتمعون فيها وقد حقق الله باسلامه مارجاه عليه السلام فقد قال عبد الله بن مسعود من رواية البخاري (مازلنا أعزة منذ أسلم عمر) فانه طلب من رسول الله أن يعلن صلاته في المسجد ففعل وقد أدرك الكفار كآبة شديدة حينما رأوا عمر أسلم وكانو قد أرادوا قتله حتى اجتمع جمع حول داره ينتظرونه فجاء العاص بن وائل السهمى وهو من بني سهم حلفاء بنى عدى قوم عمر وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير فقال لعمر مابالك فقال زعم قومك انهم سيقتلونني أن أسلمت قال لاسبيل اليك فأنا لك جار فأمن عمر وخرج العاص فوجد الناس قد سال بهم الوادي فقال أين تريدون قالوا نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ قال لاسبيل اليه فرجع الناس من حيث أتوا

(رجوع مهاجرى الحبشة)

وبعد ثلاثة أشهر من خروج مهاجري الحبشة رجعوا الى مكة حيث لاتتيسر لهم الاقامة فيها لانهم قليلو العدد وفى الكثرة بعض الانس وأضعف الى ذلك انهم أشراف قريش ومعهم نساؤهم وهؤلاء لايطيب لهم عيش فى دار غربة بهذه الحالة

وقد أولع بعض المؤرخين بحكاية يجعلونها سببا فى رجوع مهاجرى الحبشة وهي انه بلغهم اسلام قومهم حينما قرأ عليهم الرسول سورة النجم وتكلم فيها كلاما حسناً عن آلهتهم حيث قال بعد (أفرأيتم اللات والعزي ومناة الثالثة الاخري) تلك الغرانيق (جمع غرنوق وهى الطيور ويراد بها الملائكة) العلى وان شفاعتهن لترتجى فسجدوا اعظاماً لذلك وفرحا وهذا مما لاتجوز روايته الاعلى قليلي الادراك الذين ينقلون كل ماوجدوه غير متثبتين من صحته وهانحن أولاء نسوق لك أدلة النقل والعقل على بطلان ماذكر أما الحديث فسنده ومتنه قلقان فالسند قال فيه القاضى عياض في الشفاء لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولارواه ثقة بسند سليم وأما المتن فليس اصحاب رسول الله ولا المشركون مجانين حتى يسمعوا امدحاً أثناء ذم ويجوز ذلك عليهم فبعد ذكر الاصنام قال (إن هى إلا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان) فالكلام غير منتظم ولو كان ذلك قد حصل لاتخذه الكفار عليه حجة يحاجونه بها وقت الخصام وهم من نعرفهم من العناد فما ليس فيه أدني حجة فكيف بهذه وليس ذلك القيل أقل من تحويل القبلة الى الكعبة وهذا قالوا فيه ماقالوا حتى سماهم الله سفهاء وأنزل فيهم فى سورة البقرة (سيقول السفهاء

من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها) ولـكن لم يسمع عن أى واحد من رجالاتهم والمتصدرين للعناد منهم ان قال مالك ذممت آلهتنا بعد ان مدحتها وكان ذلك أولى لهم من تجريد السيوف وبذل مهج الرجال، على أن المؤرخين الذين ينقلون هذه العبارة ويجعلونها سبباً لرجوع مهاجرى الحبشة يقولون أثناء كلامهم ان الهجرة كانت فى رجب والرجوع كان فى شوال ونزول سورة النجم كان فى رمضان فالمدة بين نزول السورة ورجوع المهاجرين شهر واحد والمتأمل أدنى تأمل يرى أن الشهر كان لا يكفى فى ذاك الزمن للذهاب من مكة الى الحبشة والاياب منها لانه لم يكن اذذاك مراكب بخارية تسهل السير فى البحر ولا تلغراف يوصل خبر إسلام قريش لمن بالحبشة فلا غرابة بعد ذلك أن قلنا ان هذه الخرافة من موضوعات أهل الاهواء الذين ابتلى الله بهم هذا الدين ولكن الحمد لله فقد من علينا بحفظ كتابنا المجيد الذي يحكم بيننا وبين كل مفتر كذاب ففى السورة نفسها (وما ينطق عن الهوى) والذى يلقيه الشيطان من أقبح مايروى فكيف يقوله عليه السلام أو يجرى على لسانه مما يثبت الشكوك في الوحي الامر الذى يريده السفهاء رد الله كيدهم فى نحرهم . والذى ورد فى الصحيح فى موضوع هذا السجود مارواه عبد الله بن مسعود أن النبي عليه السلام قرأ والنجم فسجد وسجد من كان معه إلا رجلاً أخذ كفاً من حصي وضعه على جبهته وقال يكفينى هذا فرأيته قتل بعد كافراً وليس في هذا الحديث أدني دلالة على أن الذين سجدوا معهم مشركون بل الذى يفيده قوله فرأيته قتل بعد كافراً انه كان مسلماً ثم رأيته ارتد وهذا ماحصل من بعض ضعاف القلوب الذين

لم يتحملوا الاذي فكثروا منهم علي بن أمية بن خلف (هذا) ولما رجع مهاجرو الحبشة الي مكة لم يتمكن من الدخول اليها الامن وجدله مجيراً فدخل ابو سلمة في جوار خاله أبي طالب ودخل عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة وقد رد عليه جواره حينما رأي ماصنعه بالمسلمين فلم يرأن يكون مرتاحاً واخوانه يعذبون

﴿ كتابة الصحيفة ﴾

ولما ضاقت الحيل بكفار قريش عرضوا على بني عبد مناف الذين منهم الرسول عليه السلام دية مضاعفة ويسلمونه فأبوا عليهم ذلك ثم عرضوا على أبي طالب أن يعطوه سيداً من شبانهم يتبناه ويسلم اليهم ابن أخيه فقال عجباً لكم تعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه فلما رأوا ذلك أجمعوا أمرهم على منابذة بني هاشم وبني المطلب ولدى عبد مناف واخراجهم من مكة والتضييق عليهم فلا يبيعونهم شيئاً ولا يبتاعون منهم حتى يسلموا محمداً للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها في جوف الكعبة فانحاز بنو هاشم بسبب ذلك في شعب أبي طالب ودخل معهم بنو المطلب سواء في ذلك مسلمهم وكافرهم ماعدا أبا لهب فانه كان مع قريش وانخزل عنهم بنو عميهم عبد شمس ونوفل ابني عبد مناف فجهد القوم حتى كانوا يأكلون ورق الشجر وكان أعداؤهم يمنعون التجار من مبايعتهم وفي مقدمة المانعين أبو لهب

(هجرة الحبشة الثانية)

وبعد دخول الرسول وقومه الشعب أمر جميع المسلمين أن يهاجروا للحبشة حتى يساعد بعضهم بعضاً على الاغتراب فهاجر معظمهم وكانوا نحو ثلاثة وثمانين رجلاً وثماني عشرة امرأة وكان من الرجال جعفر بن أبي طالب وزوجه

أسماء بنت عميس والمقداد بن الاسود وعبدالله بن مسعود وعبيد الله بن جحش وامرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان وتوجه لهم الذين أسلموا من جهة اليمن وهم الاشعريون أبوموسي وبنو عمه ولما رأت قريش ذلك أرسلت في أثرهم عمرو ابن العاص وعمارة بن الوليد بهدايا الى النجاشي ليسلم المسلمين فرجعا شر رجعة ولم ينالا من النجاشي الا إهانة لما خاطبوه به من إخفار ذمته في قوم لاذوا به أما بنو هاشم فمكثوا فى الشعب قريبا من ثلاث سنوات في شدة الجهد والبلاء لا يصلهم شيء من الطعام إلا خفية

(نقض الصحيفة)

وقد قام خمسة من أشراف قريش يطالبون بنقض هذه الصحيفة الظالمة وهم هشام بن عمرو بن الحارث العامري وهو أعظمهم فى ذلك بلاء وزهير بن أبى أمية المخزومى ابن عمة الرسول عاتكة والمطعم بن عدى النوفلي وأبو البختري ابن هشام الاسدى وزمعة بن الاسود الاسدى واتفقوا على ذلك ليلا فلما أصبحوا غدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لا يبيعون ولا يبتاعون والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة فقال أبو جهل كذبت فقال زمعة لابي جهل أنت والله أكذب مارضينا كتابتها حين كتبت فقال أبو البختري صدق زمعة وقال المطعم بن عدي صدقتما وكذب من قال غير ذلك وصدق على ماقيل هشام ابن عمرو فقام اليها المطعم بن عدى فشقها وكانت الارضة قد اكلتها فلم يبق فيها إلا ماقيه اسم الله وقد اخبر النبي عليه السلام عمه أباطالب بذلك قبل أن يفعل ماذكر فخرج القوم الى مساكنهم بعد هذه الشدة

(وفود نجران)

وقد وفد على الرسول بعد الخروج من الشعب وفد من نصارى نجران بلغهم خبره من مهاجرى الحبشة فسارعوا بالقدوم عليه حتى يروا اصفاته مع ماذكر منها في كتبهم وكانوا عشرين رجلاً أو قريباً من ذلك فقرأ عليهم القرآن فآمنوا كلهم فقال لهم أبو جهل مارأينا ركباً أحمق منكم أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل فصبأتم فقالوا سلام عليكم لا نجاهلكم لكم ما أنتم عليه ولنا ما اخترناه فأنزل الله فى ذلك فى سورة القصص (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا إنا كنا من قبل مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) وقد كان أهل مكة حينما عجزوا عن أمر رسول الله ولم يتمكنوا من مقارعة الحجة بالحجة رموه بالسحر مرة وبالكذب أخرى وبالجنون طور وبالكهانة تارة كل ذلك شأن العاجز المعاند الذى لا يستحى لمزيد عناده أن يقول (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم)

﴿ وفاة خديجة رضي الله عنها ﴾

وبعد خروجه عليه السلام من الشعب بقليل وقبل الهجرة بثلاث سنين توفيت خديجة بنت خويلد زوجه رضي الله عنها كان عليه السلام كثيرا ما يذكرها ويترحم عليها ولا غرابة فهى أول نفس زكية صدقت رسول الله فيما جاء به عن ربه وقد جاء منها بأولاده كلهم

ماعدا ابراهيم فمنها زينب وهي أكبر بناته تزوجها فى الجاهلية أبو العاص بن الربيع وأعقب منها أمامة التى تزوجها على بن أبى طالب بعد وفاة فاطمة ومنها رقية وأم كلثوم تزوجهما عثمان الاولى بمكة قبل الهجرة وهاجر بها الي الحبشة والثانية بالمدينة بعد أن ماتت أختها ومنها فاطمة وهي أصغر بناته تزوجها على ابن أبى طالب وقد جاءت خديجة باولاد توفوا صغارا ولم يعش بعد رسول الله من أولاده إلا فاطمة عاشت بعده قليلا: ولما توفيت خديجة حزن عليها رسول الله حزنا شديداً لما كانت عليه من الرقة لرسول الله ومحاجزة الكفار عنه لمالها من الجاه فى عشيرتها بنى أسد ومنها القاسم وكان به يكنى رسول الله صلي الله عليه وسلم وعبدالله الملقب بالطيب والطاهر

﴿ زواج سودة ﴾

وعقد عليه السلام فى الشهر الذى ماتت فيه خديجة على سودة بنت زمعة العامرية القرشية بعد أن توفى عنها زوجها وابن عمها السكران بن عمرو وقد كانت آمنت بالله وبرسوله وخالفت أقاربها وبنى عمها وهاجرت مع زوجها الي الحبشة في المرة الثانية خوف الفتنة وعقب رجوعه من هجرته توفى عنها فلم يكن ثم أجمل مما صنعه الرسول بزوج رجل آمن به ولو تركت لقومها مع ما هم عليه من الغلظة وكراهة الاسلام لفتنوها وكرم نسبها فى قومها يمنعها من التزوج برجل أقل منها نسبا وشرفا

﴿ زواج عائشة رضي الله عنها ﴾

وبعد ذلك بشهر عقد علي عائشة بنت صديقه أبي بكر وهى لا تتجاوز السابعة من عمرها ولم يتزوج عليه السلام بكراً غيرها ودخل عليها بالمدينة أما

سودة فدخل عليها بمكة

وبعد وفاة خديجة بنحو شهر توفي عمه أبو طالب الذي كان يمنعه من أذى أعدائه ومع أنه كان لا يكذب رسول الله فيما جاء به بل يعتقد صدقه لم ينطق بالشهادتين حتى آخر لحظة من حياته وفيه نزل في سورة القصص (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) ولكن لأعماله العظيمة التي عملها مع رسول الله نرجو أن يخفف عنه وعدم إسلامه بل هو وغالب أقارب الرسول فيه من الحكمة مالا يخفي فانهم لو بادروا باتباعه لقيل قوم يطلبون سيادة وفخرا ليسالهم فجاؤا بهذا الامر المفترى ولكن لما رأى المعاندون أن متبعيه هم الغرباء عنه الذين ليسوا من عشيرته بل من أعدائها أحيانا كعثمان ابن عفان من بني أمية لم يكن عندهم أدنى حجة يقيمونها اللهم إلا دعاويهم الكاذبة التي كانوا يتمسكون بها حينما تصدعهم الحجة من قولهم ساحر يفرق بين المرء وزوجه وكاهن يتكهن بالغيب ، وقد سمي رسول الله هذا العام الذي فقد فيه زوجه وعمه عام الحزن ولما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله مالم يمكنها نيله في حياة أبي طالب واشتد الامر عليه حتى كانوا ينثرون التراب على رأسه وهو سائر ويضعون أوساخ الشاة عليه في صلاته وتعلقت به كفار قريش مرة يتجاذبونه ويقولون له انت الذي تريد ان تجعل الآلهة إلهاً واحداً فما تقدم احد من المسلمين حتي يخلصه منهم لما هم عليه من الضعف إلا أبو بكر فانه تقدم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله

(هجرة الطائف)

فلما رأى عليه السلام استهانة قريش به أراد أن يتوجه الى ثقيف بالطائف (١) يرجو منهم نصرته على قومه ومساعدته حتي يتمم أمر ربه لانهم أقرب الناس الى مكة وله فيهم خؤولة فان أم هاشم بن عبد مناف عاتكة السلمية من بني سليم بن منصور وهم حلفاء ثقيف فلما توجه اليهم ومعه مولاه زيد بن حارثة قابل رؤساءهم وكانوا ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب أولاد عمرو بن عمير الثقفى فعرض عليهم نصرته حتى يؤدي دعوته فردوا عليه ردا قبيحاً ولم ير منهم خيرا وحينذاك طلب منهم أن لا يشيعوا ذلك عنه كيلا تعلم قريش فيشتد أذاهم لانه استعان عليهم بأعدائهم فلم تفعل ثقيف مارجاه منهم عليه السلام بل أرسلوا سفهاءهم وغلمانهم يقفون فى وجهه فى الطريق ويرمونه بالحجارة حتى أدموا اعقبه وكان زيد بن حارثة يدرأ عنه الى أن انتهي الى شجرة كرم واستظل بها وكانت بجوار بستان لعتبة وشيبة ابنى ربيعة وهما من أعدائه وكانا فى البستان فكره رسول الله مكانهما فدعا الله قائلا (اللهم إنى أشكوا اليك ضعف قوتى وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلني ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى) فلما رآه ابنا ربيعة رقا له وأرسلا اليه بقطف من العنب مع مولى لهما نصراني اسمه عداس فلما ابتدأ رسول الله صلي الله عليه وسلم يأكل قال (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال عداس هذا الكلام مايقوله أهل هذه البلاد فقال له عليه السلام من أى البلاد أنت وما دينك فقال نصرانى من نينوى (٢) فقال له عليه السلام من قرية الرجل الصالح يونس بن متى قال وما علمك بيونس فقرأ له من القرآن

---

(١) بلد فى الجنوب الشرقي من مكة

(٢) بلد على شاطىء دجلة وهى آخر ماينتهي اليه العراق وأمامها مدينة الموصل

مافيه قصة يونس فلما سمع ذلك عداس أسلم : وأتى جبريل برسالة من الله جل ذكره وقال ان الله أمرني أن أطيعك في قومك لما صنعوه معك فقال عليه السلام (اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون) فقال جبريل صدق من سماك الرؤف الرحيم . ولما كان بنخلة وفد عليه نفر من الجن يستمعون القرآن وهم ممن ينتمون الى موسى صلوات الله عليه فلما سمعوه أنصتوا له ورجعوا الى قومهم منذرين وأبلغوهم خبر رسول الله وفيهم نزل في سورة الاحقاف (وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين : قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين) وقد قص الله قصة الجن بعبارة أطول في سورة سميت باسمهم أولها (قل أوحي الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً)

﴿ الاحتماء بالمطعم بن عدي ﴾

ولما رجع عليه السلام من الطائف هكذا لم يتمكن من دخوله مكة لما علمه كفار قريش من انه توجه الى الطائف يستنصر بأهليها عليهم فأرسل عليه السلام الى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف يخبره انه سيدخل مكة في جواره فأجاب الى ذلك وتسلح هو وبنوه وتوجهوا مع

رسول الله الى الطائف فقال له بعض المشركين أمجير أنت أم تابع فقال بل مجير قالوا اذا لا تخفر ذمتك

﴿وفد دوس﴾

وقدم على رسول الله وهو بمكة الطفيل بن عمرو الدوسى من قبيلة دوس عشيرة أبي هريرة الصحابى الشهير وكان الطفيل شريفا فى قومه شاعرا نبيلا فلما قرأ عليه القرآن أسلم فقال له رسول الله اذهب الى قومك فادعهم الى الاسلام ودعا لهم رسول الله فقال اللهم اهد دوسا فتوجه اليهم الطفيل ودعاهم فآمن بدعوته كثير منهم وستأتي وفادته على الرسول مرة ثانية بقومه فى المدينة

﴿ الاسراء والمعراج ﴾

وقبل الهجرة أكرمه الله بالاسراء والمعراج أما الاسراء فهو توجهه ليلا الى بيت المقدس بايلياء ورجوعه من ليلته وأما المعراج فهو صعوده الى العالم العلوى وقد قال جمهور أهل السنة ان ذلك كان بجسمه الشريف وكانت عائشة رضي الله عنها تمنع رؤية رسول الله ربه وتقول من قال ان محمدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله والاسراء مذكور في القرآن الكريم قال تعالى فى أول سورة الاسراء (سبحان الذى أسري بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصي الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) وأما المعراج فقد ورد في صحيح السنة وأصح أحاديثه ما رواه الشيخان ونقله القاضي عياض فى شفائه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق وهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند

منتهي طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فأتانى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابنى الخالة يحيي وعيسي بن مريم فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا واذا أنا بيوسف واذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فذكر مثله فاذا أنا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير قال تعالى في سورة مريم (ورفعناه مكانا عليا) ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا أنا بهارون فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا أنا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهي فاذا أوراقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر ربى ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحي الله الى ما أوحي ففرض على وعلى أمتي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسي فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع

الى ربك فسله التخفيف فان أمتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل قبلك وخبرتهم قال فرجعت الى ربي وقلت يا ربي خفف عن أمتي فحط عني خمساً فرجعت الى موسي فقلت حط عني خمسا قال ان أمتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي تعالى وبين موسي حتي قال سبحانه يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشر اومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئا ومن هم بسيئة فعملها كتبت له سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف فقلت قد رجعت الي ربي حتى استحييت منه . ثم رجع عليه السلام من ليلته فلما أصبح غدا الي نادي قريش فجاء اليه ابو جهل بن هشام فحدثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جرى له فقال ابو جهل يا بني كعب بن لؤي هلمو افاقبل عليه كفار قريش فاخبرهم الرسول الخبر فصاروا بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به من ضعاف القلوب وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على أبعد من ذلك فسمي من ذلك اليوم صديقا ثم قام الكفار يمتحنون رسول الله فسألوه نعت بيت المقدس وفيهم رجال رأوه أما رسول الله فلم يكن رآه قبل ذلك فجلاه الله له فصار يصفه لهم بابا بابا وموضعا وضعا فقالوا اما النعت فقد أصاب فأخبرنا عن عيرنا وكانت لهم عير قادمة من الشام فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنيه فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد أشرقت فقال آخر وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها

جمل أورق كما قال محمد ثم لم يزدهم ذلك الا كبرا وعنادا حتى قالوا هذا سحر مبين وفي صبيحة ليلة الاسراء جاء جبريل وعلم رسول الله كيفية الصلاة وأوقاتها فيصلي ركعتين اذا ظهر الفجر وأربع ركعات اذا زالت الشمس ومثلها اذا ضوعف ظل الشيء وثلاثا اذا غربت وأربعا اذا غاب الشفق الاحمر وكان عليه السلام قبل مشروعية الصلاة يصلي ركعتين صباحا ومثلهما مساء كما كان يفعل ابراهيم عليه السلام

(العرض على القبائل)

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يجد من قريش منعه من تأدية الرسالة وتسلط الكبر والعظمة على قلوبهم أراد الله أن يظهر أمر الدين على أيدى غيرهم من العرب فكان عليه السلام يخرج في المواسم العربية (وهي أسواق كانت العرب تعقدها للتجارة والمفاخرة) ويعرض نفسه على القبائل ليحموه حتى يؤدى رسالة ربه فكان بعضهم يرد ردا جميلا وآخرون ردا قبيحا وكان من أقبح القبائل ردا بنو حنيفة رهط مسيلمة الكذاب وطلب منه بنو عامر ان هم آمنوا به أن يجعل لهم أمر الرياسة من بعده فقال لهم الامر لله يضعه حيث يشاء وكان من الذين يحجون البيت عرب يثرب وهي مدينة بين مكة والشام يقطنها قبيلتان إحداهما من ولد الاوس والثانية من ولد الخزرج وهما اخوان وكان بين اولادهما من العداوة ما يجعل الحرب لا تضع أوزارها بين الفريقين فكانوا دائما في شقاق ونزاع وكان يجاورهم في المدينة أقوام من اليهود وهم بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير وكان لهم الغلبة على يثرب أولا فجار بهم العرب حتى صاروا ذوى النفوذ فيها والقوة وكان اليهود اذا خذلوا يستفتحون على أعدائهم باسم نبي

يبعث قد قرب زمانه ولما اختلفت كلمة العرب فيما بينهم وشقت عصا الالفة حالفوا اليهود على أنفسهم فحالف الاوس بنى قريظة وحالف الخزرج بنى النضير وبني قينقاع وآخر الايام بينهم يوم بعاث قتل فيه أكثر رؤساءهم ولم يبق الا عبدالله بن أبيّ بن سلول من الخزرج وأبو عامر الراهب من الاوس ولذلك كانت عائشة تقول كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خطر ببال رؤساء الاوس أن يحالفوا قريشا على الخزرج فأرسلوا إياس بن معاذ وأبا الحيسر أنس بن رافع مع جماعة يلتمسون ذلك الحلف فى قريش فلما جاؤا مكة جاءهم رسول الله وقال هل لكم فى خير مما جئتم له أن تؤمنوا بالله وحده ولا تشركوا به شيئا وقد أرسلني الله الى الناس كافة ثم تلا عليهم القرآن فقال إياس بن معاذ ياقوم هذا والله خير مما جئناله فحصبه أبو الحيسر وقال له دعنا منك لقد جئنا لغير هذا فسكت

(بدء إسلام الانصار)

ولما جاء الموسم تعرض رسول الله لنفر منهم يبلغون الستة وكلهم من الخزرج وهم أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث من بنى النجار ورافع بن مالك من بنى زريق وقطبة بن عامر من بني سلمة وعقبة بن عامر من بني حرام وجابر بن عبد الله من بني عبيد بن عدي ودعاهم الى الاسلام وإلي معاونته فى تبليغ رسالة ربه فقال بعضهم لبعض انه للنبي الذى كانت تعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فآمنوا به وصدقوه وقالوا انا تركنا قومنا بينهم من العداوة ما بينهم فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ووعدوه المقابلة في الموسم المقبل وهذا هو بدء الاسلام لعرب يثرب

(العقبة الاولى)

فلما كان العام المقبل قدم اثناعشر رجلا منهم عشرة من الخزرج واثنان من الاوس وهم أسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا الحارث ورافع بن مالك وذكوان بن قيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة والعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر وهؤلاء من الخزرج وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة وهما من الاوس فاجتمعوا به عند العقبة وأسلموا وبايعوا رسول الله على بيعة النساء وذلك قبل أن تفترض الحرب على ألا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا اولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين ايديهم وأرجلهم ولا يعصونه في معروف فان وفوا فلهم الجنة وان غشوا من ذلك شيئا فأمرهم الى الله عز وجل ان شاء غفر وان شاء عذب وهذه هي العقبة الاولى فأرسل لهم عليه السلام مصعب بن عمير العبدري وعبد الله بن أم مكتوم وهو ابن خالة خديجة يقرآنهم القرآن ويفقهانهم في الدين ونزل مصعب على أحد المبايعين أبي أمامة أسعد بن زرارة وصار يدعو بقية الاوس والخزرج للاسلام وبينما هو في بستان مع اسعد بن زرارة إذ قال سعد بن معاذ رئيس قبيلة الاوس لاسيد بن حضير ابن عم سعد ألا تقوم الى هذين الرجلين اللذين أتيا يسفهان ضعفاءنا فتزجرهما فقام لهما أسيد بحربته فلما رآه أسعد قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه فلما وقف عليهما قال ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كان لكما بانفسكما حاجة فقال مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمراً قبلته وان كرهته كففنا عنك ما تكره فقرأ عليه مصعب القرآن فاستحسن دين الاسلام وهداه الله له فتشهد ورجع الي سعد فسأله عما فعل فقال والله ما رأيت بالرجلين بأسا فغضب سعد وقام لهما متغيظا ففعل معه مصعب كسابقه

فهداه الله للاسلام ورجع لرجال بني عبد الاشهل وهم بطن من الاوس فقال لهم ما تعدوني فيكم قالوا اسيدنا وابن سيدنا قال كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تسلموا فلم يبق بيت من بيوت بني عبد الاشهل إلا أجابه وقد انتشر الاسلام في دور يثرب حتى لم يكن بينهم حديث الا أمر الاسلام

(العقبة الثانية)

ولما كان وقت الحج في العام الذي يلي البيعة الاولى قدم مكة كثيرون منهم يريدون الحج وبينهم كثير من مشركيهم ولما قابل وفدهم رسول الله واعدوه المقابلة ليلا عند العقبة فأمرهم أن لا ينبهوا في ذلك الوقت نائما ولا ينتظروا غائبا لان كل هذه الاعمال كانت خفية من قريش كيلا يطلعوا على الامر فيسعوا في نقض ما أبرم شأنهم مع رسول الله في أول أمره . ولما فرغ الانصار من حجهم توجهوا الى موعدهم كاتمين أمرهم عمن معهم من المشركين وكان ذلك بعد مضي ثلث الليل الاول فكانوا يتسللون الرجل والرجلين حتى تم عددهم ثلاثا وسبعين رجلا منهم اثنان وستون من الخزرج وأحد عشر من الأوس ومعهم امرأتان وهما نسيبة بنت كعب من بني النجار وأسماء بنت عمرو من بني سلمة ووافقهم رسول الله هنالك وليس معه إلا عمه العباس بن عبد المطلب وهو على دين قومه ولكن أراد أن يحضر أمر ابن أخيه ليكون متوثقا له فلما اجتمعوا عرفهم العباس بان ابن أخيه لم يزل في منعة من قومه حيث لم يمكنوا منه أحدا ممن أظهر له العداوة والبغضاء وتحملوا من ذلك أعظم الشدة ثم قال لهم ان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وإلا فدعوه بين عشيرته فانهم لبمكان عظيم فقال كبيرهم والمتكلم عنهم البراء بن معرور والله لو كان لنا في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا

نريد الوفاء والصدق وبذل مهجنا دون رسول الله وعند ذلك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ لنفسك ولربك ما احببت فقال أشترط لربي أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم فقال له الهيثم بن التيهان يارسول الله ان بيننا وبين الرجال عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم عليه السلام وقال بل الدم الدم والهدم الهدم أي ان طالبتم بدم طالبت به وان أهدرتموه أهدرته

وحينذاك ابتدأت المبايعة وهي العقبة الثانية فبايعه الرجال على ما طلب وأول من بايع أسعد بن زرارة وقيل البراء بن معرور ثم تخير منهم اثني عشر نقيبا لكل عشيرة منهم واحد تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس وهم أبو الهيثم بن التيهان. واسعد ابن زرارة . وأسيد بن حضير. والبراء بن معرور ورافع بن مالك وسعد بن أبي خيثمة وسعد بن الربيع وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحه وعبد الله بن عمرو وعبادة بن الصامت والمنذر بن عمرو ثم قال لهم أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي ولامر ما أراده الله بلغ خبر هذه البيعة مشركي قريش فجاؤا ودخلوا شعب الانصار وقالوا يامعشر الخزرج بلغنا أنكم جئتم لصاحبنا تخرجونه من ارضنا وتبايعونه على حربنا فانكروا ذلك وصار بعض المشركين الذين لم يحضروا المبايعة يحلفون لهم أنهم لم يحصل منهم شيء في ليلتهم وعبد الله بن أبي كبير الخزرج يقول ماكان قومي ليفتاتوا على بشيء من ذلك

(هجرة المسلمين الى المدينة)

ولما رجع الانصار الى المدينة ظهر بينهم الاسلام أكثر من المرة الاولى أما رسول

الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فازداد عليهم أذى المشركين لما سمعوا أنه حالف قوما عليهم فامر عليه السلام جميع المسلمين بالهجرة الى المدينة فصاروا يتسللون خيفة قريش أن تمنعهم وأول من خرج أبو سلمة المخزومي زوج أم سلمة ومعه زوجه وكان قومها منعوها منه ولكنهم أطلقوها بعد فلحقت به وتتابع المهاجرون فرارا بدينهم ليتمكنوا من عبادة الله الذى امتزج حبه بلحمهم ودمهم حتى صاروا لا يعبؤن بمفارقة أوطانهم والابتعاد عن آبائهم وابنائهم مادام فى ذلك رضي الله ورسوله ولم يبق بمكة منهم إلا أبو بكر وعلي وصهيب وزيد بن حارثة وقليلون من المستضعفين الذين لم تمكنهم حالهم من الهجرة وقد أراد أبو بكر الهجرة فقال له عليه السلام على رسلك فانى أرجو أن يؤذن لى فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر استعدادا لذلك

(دار الندوة)

أما قريش فكانوا كانهم أصيبوا بمس الشيطان حينما طرق مسامعهم مبايعة الانصار له على الذود عنه حتى الموت فاجتمع رؤساؤهم وقادتهم فى دار الندوة وهى دار قصي ابن كلاب التى كانت قريش لا تقضى أمرا الا فيها يتشاورون ما يصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه فقال قائل منهم نخرجه من أرضنا كى نستريح منه فرفض هذا الرأى لانهم قالوا اذا خرج اجتمعت حوله الجموع لما يرونه من حلاوة منطقه وعذوبة لفظه وقال آخر نوثقه ونحبسه حتى يدركه ما أدرك الشعراء قبله من الموت فرفض هذا الرأى كسابقه لانهم قالوا

ان الخبر لا يلبث أن يبلغ أنصاره ونحن أدرى الناس بمن دخل في دينه حيث يفضلونه على الآباء والأبناء فاذا سمعوا ذلك جاؤا لتخليصه وربما جر هذا من الحرب علينا ما نحن في غنى عنه وقال لهم طاغيتهم بل نقتله ولنمنع بني أبيه من الاخذ بثاره نأخذ من كل قبيلة شاباً جلداً يجتمعون أمام داره فاذا خرج ضربوه ضربة رجل واحد فيفترق دمه في القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلهم بل يرضون بالدية فأقروا هذا الرأى . هذا مكرهم ولكن ارادة الله فوق كل ارادة (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) فأعلم نبيه بما دبره الاعداء في سرهم وأمره باللحاق بدار هجرته بدار فيها ينشر الاسلام ويكون فيها الرسول الله صلى الله عليه وسلم العزة والمنعة وهذا من الحكمة بمكان عظيم فانه لو انتشر الاسلام بمكة لقال المبغضون إن قريشاً أرادوا ملك العرب فعمدوا الى شخص منهم وأوعزوا اليه أن يدعى هذه الدعوى حتي تكون وسيلة لنيل مآربهم ولكنهم كانوا له أعداء ألداء آذوه شديد الاذي حتي اختار الله له مفارقة بلادهم والبعد عنهم

(هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم)

فتوجه من ساعته الى صديقه أبي بكر وأعلمه أن الله قد أذن له في الهجرة فسأله أبو بكر الصحبة فقال نعم ثم عرض عليه احدى راحلتيه اللتين كانتا معدتين لذلك فجهزاهما أحث الجهاز وصنعت لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر نطاقها وربطت به على فم الجراب واستأجرا عبد الله بن أريقط من بني الديل ابن بكر وكان هادياً ماهراً وهو على دين كفار قريش فأمناه ودفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال ثم فارق الرسول عليه السلام أبا بكر وواعده

المقابلة ليلا خارج مكة وكانت هذه الليلة هي ليلة استعداد قريش لتنفيذ ما أقروا عليه فاجتمعوا حول باب الدار ورسول الله داخله فلما جاء ميعاد الخروج أمر ابن عمه عليا بالمبيت مكانه كي لا يقع الشك في وجوده أثناء الليل فانهم كانوا يرددون النظر من شقوق الباب ليعلموا وجوده ثم سجى عليا ببردته وخرج على القوم وهو يقرأ (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) فألقى الله النوم عليهم حتى لم يره أحد ولم يزل عليه السلام سائرا حتى تقابل مع الصديق وسارا حتى بلغا غار ثور فاختفيا فيه . أما المشركون فلما علموا بفساد مكرهم وأنهم انما باتوا يحرسون على بن أبى طالب لا محمد بن عبد الله هاجت عواطفهم فأرسلوا الطلب من كل جهة وجعلوا الجوائز لمن يأتي بمحمد أو يدل عليه وقد وصلوا فى طلبهم الى ذلك الغار الذى فيه طلبتهم بحيث لو نظر أحدهم تحت قدميه لنظرهما حتى أبكى ذلك أبا بكر فقال له عليه السلام (لا تحزن إن الله معنا) فأعمى الله أبصار المشركين حتى لم يكن لاحد منهم التفاتة الى ذلك الغار بل صار أعدى الاعداء أمية بن خلف يبعد لهم اختفاء المطلوبين فى مثل هذا الغار فأقاما فيه ثلاث ليال حتى ينقطع الطلب وكان يبيت عندهم عبد الله بن أبي بكر وهو شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت بها فلا يسمع أمرا يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام وكان عامر بن فهيرة يروح عليهما بقطعة من غنم يرعاها حين تذهب ساعة من العشاء ويغدو بها عليهما فاذا خرج من عندهما عبد الله تبع أثره عامر بالغنم كيلا يظهر لقدميه أثر : ولما انقطع الطلب خرجا بعد ان جاءهما الدليل بالراحلتين صبح ثلاث وسارا متبعين طريق الساحل: وفى الطريق لحقهم طالبا سراقة بن

مالك المدلجي وكان قد رأى رسل مشركي قريش يجعلون في رسول الله وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما هو في مجلس من مجالس قومه بني مدلج اذ أقبل رجل منهم حتي قام عليهم وهم جلوس فقال ياسراقة اني رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه فعرف سراقة أنهم هم ولكنه أراد أن يثني عزم مخبره عن طلبهم فقال انك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا باعيننا يبتغون ضالة لهم ثم لبث في المجلس ساعة وقام وركب فرسه ثم سار حتي دنا من الرسول ومن معه فعثرت به فرسه فخر عنها ثم ركبها ثانيا وسار حتي صار يسمع قراءة المصطفى وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات فساخت قائمتا فرس سراقة في الارض حتي بلغتا الركبتين فخر عنها ثم زجرها حتي نهضت فلم تكد تخرج يديها حتى سطع لاثرهما غبار ساطع في السماء مثل الدخان فعلم سراقة أن عمله ضائع سدى وداخله رعب عظيم فناداهما بالامان فوقف عليه السلام ومن معه حتى جاءهم ويقول سراقة وقع في نفسي حين لقيت مالقيت أن سيظهر أمر رسول الله فقلت ان قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرهم بما يريد بهم الناس وعرض عليهم الزاد والمتاع فلم ياخذا منه شيئاً بل قالا له أخف عنا فسأله سراقة أن يكتب له كتاب أمن فأمر أبا بكر فكتب وبذلك انقضت هذه المشكلة التي أظهر الله فيها مزيد عنايته برسوله وكان أهل المدينة حينما سمعوا بخروج رسول الله وقدومه عليهم يخرجون الي الحرة (١) حتي يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد أن أطالوا انتظارهم فلما أووا الى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم (٢) من آطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول

---

(١) هي الارض ذات الحجارة السود وكانت المدينة محاطة بجملة حرات

(٢) تل

الله واصحابه يزول بهم السراب يظهرهم تارة ويخفيهم أخرى فقال اليهودى بأعلى صوته يامعشر العرب هذا جدكم أى حظكم الذى تنتظرون فثاروا الى السلاح فتلقوا رسول الله بظهر الحرة

(النزول بقباء)

فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف بقباء والذى حققه المرحوم محمود باشا الفلكي أن ذلك كان في اليوم الثانى من ربيع الاول الذى يوافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ وهذا أول تاريخ جديد (١) لظهور الاسلام بعد أن مضى عليه ثلاث عشرة سنة وهو مضيق عليه من مشركى قريش ورسول الله ممنوع من الجهر بعبادة ربه أما الآن فقد آواه الله هو وصحابته رضوان الله عليهم بعد أن كانوا قليلا يتخطفهم الناس

(هجرة الانبياء)

وبهذه الهجرة تمت لرسولنا صلى الله عليه وسلم سنة اخوانه من الانبياء من قبله فمامن نبي منهم الا نبت به بلاد نشأته فهاجر عنها من ابراهيم أبي الانبياء وخليل الله الى عيسى كلمة الله وروحه كلهم على عظيم درجاتهم ورفعة مقامهم أهينوا من عشائرهم فصبروا ليكونوا امثالا لمن يأتي بعدهم من متبعيهم فى الثبات والصبر على المكاره مادام ذلك فى طاعة الله فسل مصر وتاريخها تنبئك عن اسرائيل (يعقوب) وبنيه أنهم هاجروا اليها حينما رأوا من بنيها ترحيباً بهم وتركهم وما يعبدون إكراما ليوسف وحكمته ولما مضت سنون نسي فيها المصريون تدبير

---

(١) لما أراد المسلمون فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وضع التاريخ جعلوا مبدأه من هذه الهجرة الشريفة ولعدم المخالفة بين مبدأ الهجرة و بدء السنة الهلالية قدموا ميعاد الهجرة شهرين واياما وجعلوا بدء الهجرة من محرم سنتها

يوسف وفضله عليهم فاضطهدوا بنى اسرائيل وآذوهم خرج بهم موسى وهارون ليتمكنوا من اعطاء الله حقه فى عبادته وهرب المسيح عليه السلام من اليهود حينما كذبوه فأرادوا الفتك به حتى كان من ضمن تعاليمه لتلاميذه (طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات) ثم قال بعد (افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السموات فانهم طردوا الأنبياء الذين قبلكم) وسل القرى التي حلت بها نقمة الله لكفر أهلها كديار لوط وعاد وثمود تنبئك عن مهاجرة الانبياء منها قبل حلول النقمة فلا غرابة أن هاجر عليه السلام من بلاد منعه أهلها من تتميم ما أراده الله (سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)

﴿ أعمال مكة ﴾

هذا ولنبين لك مجمل ما دعا اليه الرسول عليه السلام بمكة من أصول الدين وذلك امران (الأول) الاعتقاد بوحدانية الله وأن لا يشرك معه في العبادة غيره سواء كان ذلك الغير صنماً كما يفعل مشركو امكة أو أباً أو زوجة أو بنتاً كما عليه بعض الطوائف الاخرى كالنصارى ولولا الاعتقاد بوحدانية الله ما كلف أحد نفسه تكاليف الحياة من آداب الاخلاق بل كان يسير فيما تأمره به نفسه من شهواتها وملذاتها مادام ذلك خافياً عن الناس (الثانى) الاعتقاد بالبعث والنشور وأن هناك يوما ثانياً للانسان يجازى فيه على ما صنعه فى الدنيا ان خيراً فخير وان شراً فشر وعلى هذين الامرين جاء غالب الآى المكية فقلما نرى سورة من سور مكة إلا مشحونة بالاستدلال عليهما وتوبيخ من تركهما وكل ذلك باساليب تأخذ بالعقل وبراهين لاتحتاج لفلسفة الذين يشغلون أنفسهم بالا طائل تحته مما يضيع الوقت سدى ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من القرآن معظمه

وهو ماعدا ثلاثاً وعشرين سورة منه وهي البقرة : آل عمران : النساء : المائدة الانفال : التوبة : الحج : النور : الاحزاب : القتال : الفتح : الحجرات : الحديد : المجادلة : الحشر : الممتحنة : الصف : الجمعة : المنافقون : التغابن : الطلاق : التحريم : النصر : هذه كلها مدنية وباقي القرآن مكى

ولما نزل عليه السلام بقباء نزل على شيخ بنى عمرو كلثوم بن الهدم وكان يجلس للناس ويتحدث لهم في بيت سعد بن خيثمة لانه كان عزباً ونزل أبو بكر بالسنح (محلة بالمدينة) على خارجة بن زيد من بنى الحارث من الخزرج

(مسجد قباء)

وأقام رسول الله بقباء ليالى أسس فيها مسجد قباء الذي وصفه الله بأنه مسجد أسس على التقوى من أول يوم وصلى فيه عليه السلام بمن معه من الانصار والمهاجرين وهم آمنون مطمئنون وكانت المساجد على عهد رسول الله في غاية من البساطة ليس فيها شيء مما اعتاده بناة المساجد في القرون الاخيرة لان الرسول وأصحابه لم يكن جل همهم الا منصرفاً الى تزيين القلوب وتنظيفها من حظ الشيطان فكان سور المسجد لا يتجاوز القامة وفوقه مظلة يتقي بها حر الشمس

(الوصول الى المدينة)

(ثم) تحول عليه السلام الى المدينة والانصار محيطون به متقلدي سيوفهم وهنا حدث ولا حرج عن سرور أهل المدينة فكان يوم تحوله اليهم يوماً سعيداً لم يروا فرحين بشيء فرحهم برسول الله وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن

طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا   ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

وكان الناس يسيرون وراء رسول الله ما بين ماش وراكب يتنازعون زمام ناقته كل يريد أن يكون نزيله

(أول جمعة)

وأدركته عليه السلام صلاة الجمعة فى بني سالم بن عوف فنزل وصلاها وهذه أول جمعة له عليه السلام وأول خطبة خطبها عليه السلام حمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فقدموا لانفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولى فبلغك وآتيتك مالا وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك فلينظرن يميناوشمالا فلا يرى شيئا ثم لينظرن قدامه فلا يري غير جهنم فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزى الحسنة عشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(النزول على أبي أيوب)

ثم ساروا وكلما مروا على دار من دور الانصار يتضرع اليه أهلها بأن ينزل عندهم ويأخذون بزمام الناقة فيقول دعوها فانها مأمورة ولم تزل سائرة حتى أتت بفناء بني عدي بن النجار وهم أخواله الذين تزوج منهم هاشم جده فبركت بمحلة من محلاتهم أمام دار أبي أيوب الانصاري واسمه خالد بن زيد (١) وذلك محل مسجده الشريف فقال عليه السلام ههنا المنزل

---

(١) توفى زمن معاوية فى حصار القسطنطينية ودفن هناك خارج المدينة

ان شاء الله (رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين) فاحتمل أبو أيوب رحله ووضعه في منزله وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام ناقته فكانت عنده وخرجت ولائد بني النجار يقلن

نحن جوار من بني النجار   ياحبذا محمد من جار

فقال عليه السلام أتحببنني فقلن نعم فقال الله يعلم أن قلبي يحبكن واختار عليه السلام النزول في الدور الاسفل من دار أبي أيوب ليكون أريح لزائريه ولكن لم يرض رضي الله عنه ذلك كرامة لرسول الله لما يمكن أن يصيبه من التراب الذي يحدثه وطء الاقدام أو الماء الذي يهراق فقد اتفق أن كسرت من زوجته جرة ماء بالليل فقام هو وهي بقطيفتهما التي ليس لهما غيرها يمسحان الماء خوفاً على رسول الله ولذلك لم يزل أبو أيوب يستعطفه حتى كان في العلو وكانت تأتيه الجفان كل ليلة من سراة الانصار كسعد بن عبادة وأسعد بن زرارة وأم زيد بن ثابت فما من ليلة إلا وعلى بابه الثلاث أو الاربع من جفان الثريد

(نزول المهاجرين)

ولما تحول مع رسول الله أغلب المهاجرين تنافس فيهم الانصار فحكموا القرعة بينهم فما نزل مهاجري على أنصاري الا بقرعة

(أخوة الاسلام)

ومن يتأمل الى هذه المحبة التي يستحيل أن تكون بتأثير بشر بل بفضل من الله ورحمته يفهم كيف انتصر هؤلاء الاقوام على معانديهم من المشركين وأهل الكتاب مع قلة العدد والعدد

وكان الانصار يؤثرون اخوانهم المهاجرين على أنفسهم قال تعالى في سورة الحشر (والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وهذا أعلى درجات الاخوة وكل ذلك كانوا يرونه قليلا بالنسبة لما وجب عليهم لاخوانهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمكن بينهم الاخاء آخى بين المهاجرين والانصار فكان كل أنصارى ونزيله أخوين في الله ومن العبث أن نكاف القلم أن يوضح للقارىء أن هذه الاخوة كانت أرقى بكثير من الاخوة العصبية بل نكل ذلك للاحساس الاسلامي فانه أفصح منطقاً من القلم وعلى الاجمال فتلك قلوب ألف الله بينها حتى صارت شيئاً واحداً في أجسام متفرقة وعسى الله أن يوفق مسلمى عصرنا الى هذا الاخاء حتي يسودوا كما ساد المتحدون وكان هذا الاخاء على المواساة والحق وأن يتوارثوا بعد الموت دون ذوى الارحام وكان عليه السلام يقول لكل اثنين (تآخيا فى الله أخوين أخوين) ودام هذا الميراث الى أن أنزل الله سبحانه قوله فى سورة الاحزاب (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)

(هجرة أهل البيت)

ولما استقر عليه السلام بالمدينة أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع الى مكة ليأتيا بمن تخلف من أهله وأرسل معهما عبد الله بن أريقط يدلهما على الطريق فقدما بفاطمة وأم كلثوم بنتيه عليه السلام وسودة زوجه وأم أيمن زوج زيد وابنها أسامة أما زينب فمنعها زوجها أبو العاص بن الربيع وخرج مع الجميع

عبـد الله بن أبي بكر بأم رومان زوج أبيه وعائشـة أخته وأسماء زوج الزبير ابن العوام وكانت حاملا بابنها عبـد الله وهو أول مولود للمهاجرين بالمدينـة

(حمى المدينة)

ولم يكن هواء المدينة في البدء موافقاً للمهاجرين من أهـل مكة فأصاب كثـيرا منهم الحمي وكان رسول الله يعودهم فلما شكوا اليـه الامر قال اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة وأشد وبارك لنا في مدها وفي صاعها وانقل وباءها الى الجحفة (١) فاستجاب الله جل وعلا دعوته وعاش المهاجرون في المدينة بسلام

(منع المستضعفين من الهجرة)

ومنع مشركو مكة بعض المسلمين عن الهجرة وحبسوهم وعذبوهم منهم الوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وهشام بن العاص فكان عليه السـلام يدعو لهم في صلاته وهذا أصل القنوت وقد حصل في أوقات مختلفة ومحال في الصـلاة مختلفة فكان في وتر العشاء وصلاة الصبح بعد الركوع وقبله فروى كل صحابي ماراٰه وهذا سبب اختلاف الائمة في مكان القنوت

(السنة الاولى — بناء المسجد)

ثم شرع عليه السلام في بناء مسجده في مبرك ناقته أمام محلة بني النجار وكان محله مربداً للتمر يملكه غلامان يتيمان في حجر أسعد بن زرارة فدعا الغلامين وساومهما المربد ليتخذه مسجداً فقالا بل نهبه لك يارسول الله فأبى عليه السلام أن يقبله منهما هبة بل ابتاعه منهما وكان فيه قبور للمشركين وبعض حفر ونخل فأمر

---

(١) قرية على اثنين وثمانين ميلا من مكة وهي ميقات اهل الشام

بالقبور فنبشت وبالحفر فسويت وبالنخل فقطع ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذ وشرعوا
فى البناء به وجعلوا عضادتى الباب من الحجارة وسقفوه بالجريد وجعلت عمده من
جذوع النخل ولا يزيد ارتفاعه عن القامة الا قليلا وقد عمل فيه رسول الله بنفسه
ليرغب المسلمين فى العمل وصاروا يرتجزون ويقول معهم. اللهم لا خير إلا خير
الآخرة . فارحم الانصار والمهاجرة . وجعلت قبلة المسجد فى شماله الى بيت
المقدس وجعل له ثلاثة أبواب ثم حصبت أرضه لان المطر كان قد أثر فيه فامر
عليه السلام بحصبه ولم يزين المسجد بفرش حتى ولا بالحصر وبنى بجانبه حجرتان
احداهما لسودة بن زمعة والاخري لعائشة ولم يكن عليه السلام متزوجا غيرهما
اذذاك وكانت الحجرتان متجاورتين وملاصقتين للمسجد على شكل بنائه وصارت
الحجرات تبنى كلما جاءت زوج

(بدء الأذان)

أوجب الله الصلاة على المسلمين ليكونوا دائما متذكرين عظمة العلي الاعلى
فيتبعون أوامره ويجتنبون نواهيه ولذلك قال فى محكم كتابه فى سورة العنكبوت
(إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وجعل أفضل الصلاة ما كان جماعة ليذاكر
المسلمون بعضهم بعضا فى شؤونهم واحتياجاتهم ويقووا روابط الالفة والاتحاد
بينهم ومتى حان وقت الصلاة فلا بد من عمل ينبه الغافل ويذكر الساهى حتى
يكون الاجتماع عاما فأتمر النبي عليه الصلاة والسلام مع الصحابة فيما يفعل لذلك
فقال بعضهم نرفع راية اذا حان وقت الصلاة ليراها الناس فلم يرتضوا ذلك لانها
لا تفيد النائم ولا الغافل وقال الآخرون نشعل نارا على مرتفع من الهضاب فلم
يقبل أيضا وأشار آخرون ببوق وهو ما كانت اليهود تستعمله لصلواتهم فكرهه

رسول الله لانه لم يكن يحب تقليد اليهود فى عمل ما وأشار بعضهم بالناقوس وهو ما يستعمله النصارى فكرهه الرسول أيضا وأشار بعضهم بالنداء فيقوم بعض الناس ذا حانت الصلاة وينادى بها فقبل هذا الرأي وكان أحد المنادين عبد الله بن زيد الانصاري فبينما هو بين النائم واليقظان إذ عرض له شخص وقال ألا أعلمك كلمات تقولها عند النداء بالصلاة قال بلى فقال له قل الله أكبر الله أكبر مرتين وتشهد مرتين ثم قل حي على الصلاة مرتين ثم حي على الفلاح مرتين ثم كبر ربك مرتين ثم قل لا اله الا الله فلما استيقظ توجه الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره خبر رؤياه فقال انها الرؤيا حق ثم قال له لقن ذلك بلالا فانه أندى صوتا منك وبينما بلال يؤذن اذ جاء عمر يجر رداءه فقال والله لقد رأيت مثله يارسول الله وكان بلال أحد مؤذنيه بالمدينة والآخر عبد الله بن أم مكتوم وكان بلال يقول في أذان الصبح بعد حي على الفلاح الصلاة خير من النوم مرتين واقره الرسول على ذلك وكان عليه السلام يأمر فى فجر رمضان باذانين أولهما يوقظ به الغافلون حتى ينتبهوا للسحور والثانى للصلاة . أما الاذان للجمعة فكان أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد نداء آخر على الزوراء رواه البخارى ولما تولى هشام بن عبد الملك أخذ الاذان الذى زاده عثمان بالزوراء وجعله علي المنار ثم نقل الاذان الذى كان على المنار حين صعود الامام على المنبر في العهد الاول بين يديه

فعلم بذلك أن الاذان فى المسجد بين يدي الخطيب بدعة أحدثها هشام بن عبد الملك ولا معنى لهذا الاذان لانه هو نداء الى الصلاة ومن هو فى المسجد لا معنى لندائه ومن هو خارج المسجد لا يسمع النداء اذا كان النداء فى المسجد فذكر ذلك

الشيخ محمد بن الحاج في المدخل

قال الحافظ فى فتح البارى . وأما ماأحدث الناس قبل الجمعة من الدعاء اليها بالذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهو فى بعض البلاد دون بعض واتباع السلف الصالح أولى اه

فعلم من ذلك كله أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أذان الجمعة انه كان اذا جلس على المنبر أذن مؤذنه على المنار فاذا انتهت الخطبة أقيمت الصلاة وماعدا ذلك فكله ابتداع

أما الاقامة وهى الدعوة للصلاة في المسجد فقد اختلفت الروايات فى نصها فرواها محمد بن ادريس الشافعي مفردة إلا لفظ قدقامت الصلاة فمثنى ورواها مالك بن انس مفردة كلها ورواها أبو حنيفة النعمان مثنى كلها

(يهود المدينة)

(هذا) وكما ابتلى الله المسلمين فى مكة بمشركى قريش ابتلاهم فى المدينة بيهودها وهم بنو قينقاع وقريظة والنضير فانهم أظهروا العداوة والبغضاء حسداً من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم أنه الحق وكانوا قبل مجىء الرسول يستفتحون على المشركين من العرب اذا شبت الحرب بين الفريقين بنبي يبعث قدقرب زمانه فلما جاءهم ماعرفوا استعظم رؤساؤهم أن تكون النبوة في ولد اسماعيل فكفروا بما انزل الله بغيا مع أنهم يرون أن رسول الله محمداً لم يأت إلا مصدقا لما بين يديه من كتب الله التي أنزلها على من سبقه من المرسلين مبينا ما أفسده التأويل منها ولكنهم نبذوه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون : ومما عابوه على الاسلام نسخ الأحكام ومادروا أن القادر العليم يعلم مايحتاجه الانسان اذ أكثرهم فانه ميال

بطبعه للترقي والرسول عليه السلام وجد بادىء بدء بين جماعة من العرب أميين ليسبوا على شيء من الاعتقادات الالهية فكانت الحكمة داعية لأن يكون التشريع لهم على التدريج لأنه لو حرم الله عليهم شرب الخمر وأكل الربا وأمرهم بالصلاة والزكاة وهكذا الى آخر الاوامر والمناهي التي جاء بها الشرع الاسلامي لما أجابه أحد من هؤلاء النافرة قلوبهم المختلفة أهواؤهم الذين كانو منغمسين فى كثير من الاضاليل فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر شيئا فشيئا حتى روضت عقولهم وهذبت نفوسهم وكانت الاحكام لا ينزلها الله عليه إلا عقب الحوادث التي تقتضيها ليكون التأثير في النفوس أشد ولكن اليهود أرادوا غل يد القدرة عن أن تفعل الاما يشتهون وقد حجهم القرآن الشريف بما يدل على أنهم يعلمون من نفوسهم البعد عن الحق فقال في سورة البقرة (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) ثم ختم جل ذكره عدم اجابتهم بقوله (ولن يتمنوه ابدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) فلو كانوا يعلمون من انفسهم أنهم على الحق لما تأخروا عما طلب منهم مع سهولته وحرصهم على تكذيب الصادق الامين ولم ينقل لنا عن أحد منهم انه تمنى ذلك ولو نطقا باللسان وقد تبين الهدي لاحد رؤساء بني قينقاع وهو عبد الله بن سلام فترك هواه وأسلم بعد أن سمع القرآن وبعد أن كان اليهود يعدونه من رؤسائهم عدوه من سفهائهم حينما بلغهم إسلامه فبئسما اشتروا لانفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ولما استحكمت فى قلوبهم عداوة الاسلام صاروا يجهدون أنفسهم فى اطفاء نوره (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)

(المنافقون)

وكان يساعدهم على مقاصدهم جماعة من عرب المدينة أعمى الله بصائرهم فأخفوا كفرهم خوفا على حياتهم وكان يرأس هذه الجماعة عبد الله بن أبى بن سلول الخزرجي الذى كان مرشحا للرياسة أهل المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شك أن ضرر المنافقين أشد على المسلمين من ضرر الكفار لان أولئك يدخلون بين المسلمين فيعلمون أسرارهم ويشيعونها بين الاعداء من اليهود وغيرهم كما حصل ذلك مرارا والاساس الذى كان عليه رسول الله أن يقبل ماظهر ويترك لله مابطن ولكنه عليه السلام مع ذلك كان لا يأمنهم فى عمل ما فكثيراً ما كان يتغيب عن المدينة ويولى عليها بعض الانصار ولكن لم يعهد أنه ولى رجلا ممن عهد عليه النفاق لانه عليه السلام يعلم مايكون منهم لو ولوا عملا فانهم بلا شك يتخذون ذلك فرصة لاضرار المسلمين وهذا درس مهم لرؤساء الاسلام يعلمهم أنهم لا يثقون في الاعمال المهمة الا بمن لم تظهر عليهم شبهة النفاق أو اظهار مايخالف ما فى الفؤاد

(معاهدة اليهود)

هذا وقد علمت أنه كان يضاد المسلمين فى المدينة فئتان اليهود والمنافقون ولكن الرسول قبل من هؤلاء ظواهرهم وعقد مع أولئك عهدا مقتضاه ترك الحرب والاذى فلا يحاربهم ولا يؤذيهم ولا يعينون عليه أحدا وان دهمه بالمدينة عدو ينصرونه وأقرهم على دينهم

(مشروعية القتال)

قدعلم مما تقدم أن رسول الله عليه السلام لم يقاتل أحدا على الدخول في الدين

بل كان الامر قاصراعلى التبشير والانذار وكان الله سبحانه ينزل عليه من الآي مايقويه على الصبر أمام ما كان يلاقيه من أذى قريش ومن ذلك قوله فى سورة الاحقاف (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) وكان كثيرا مايقص الله عليه أنباء اخوانه من المرسلين قبله ليثبت به فؤاده ولما ازداد طغيان أهل مكة ألجؤوه الى الخروج من داره بعد أن ائتمروا على قتله فكانوا هم البادئين بالعداء على المسلمين حيث أخرجوهم من ديارهم بغير حق فبعد الهجرة أذن الله للمهاجرين بقتال مشركي قريش بقوله فى سورة الحج (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) ثم أمرهم بذلك فى قوله فى سورة البقرة (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) وبذلك لم يكن الرسول يتعرض الا لقريش دون سائر العرب فلما تمالأ على المسلمين غير أهل مكة من مشركي العرب واتحدوا عليهم مع الاعداء أمر الله بقتال المشركين كافة بقوله فى سورة التوبة (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) وبذلك صار الجهاد عاما لكل من ليس له كتاب من الوثنيين وهذا مصداق قوله عليه السلام (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله) ولما وجد المسلمون

من اليهود خيانة للعهود حيث انهم ساعدوا المشركين في حروبهم امر الله بقتالهم بقوله في سورة الانفال (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين) وقتالهم واجب حتي يدينوا أو يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون ليأمن المسلمون جانبهم وصار قتال رسول الله للاعداء على هذه المبادىء الآتية

(١) اعتبار مشركي قريش محاربين لانهم بدؤا بالعدوان فصار للمسلمين قتالهم ومصادرة تجارتهم حتي يأذن الله بفتح مكة أو تعقد هدنة وقتية بين الطرفين

(٢) متى رؤي من اليهود خيانة وتحيز للمشركين قوتلوا حتي يؤمن جانبهم بالنفى أو القتل

(٣) متي تعدت قبيلة من العرب على المسلمين أو ساعدت قريشا قوتلت حتي تدين بالاسلام

(٤) كل من بادأ بعداوة من أهل الكتاب كالنصارى قوتل حتى يذعن بالاسلام أو يعطي الجزية عن يد وهو صاغر

(٥) كل من أسلم فقد عصم دمه وماله الا بحقه والاسلام يقطع ماقبله

وقد أنزل الله في القرآن الكريم كثيرا من الآى تحريضا على الاقدام في قتال الاعداء وتبعيدا عن الفرار من الزحف فقال في الموضوع الاول في سورة النساء (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما) وقال في الموضوع الثاني في سورة الانفال (يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)

(بدء القتال)

كانت عادة قريش أن تذهب بتجارتها الى الشام لتبيع وتبتاع ويسمى الركب السائر بهذه التجارة عيرا وكان يسير معها لحراستها كثير من أشراف القوم وسراتهم ولا بد لوصولهم الى الشام من المرور على دار الهجرة فرأي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصادر تجارتهم ذاهبة وآئبة ليكون في ذلك عقاب لمشركي مكة حتي تضعف قوتهم المالية فيكون ذلك أدعي لخذلانهم في ميدان القتال الذي لا بد أن يكون لان قريشاً لم تكن لتسكت عمن سفه أحلامهم وعاب عبادتهم خصوصاً وهم قدوة العرب في الدين

﴿ سرية (١) ﴾

ففي شهر رمضان أرسل عمه حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين رجلا من المهاجرين وعقد له لواءا أبيض حمله أبو مرثد حليف حمزة ليعترض عيراً لقريش آئبة من الشام فيها أبو جهل وثلاثمائة من أصحابه المشركين فسار حمزة حتى وصل ساحل البحر من ناحية العيص (٢) فصادف العير هناك فلما تصافوا للقتال حجز بين الفريقين مجدى بن عمرو الجهنى فأطاعوه وانصرفوا وشكر عليه السلام مجدياً على عمله لما كان من قلة عدد المسلمين وكثرة عدوهم

وفي شوال أرسل عبيدة ابن الحارث ابن عم حمزة في ثمانين راكباً من المهاجرين وعقد له لواء أبيض حمله مسطح بن أثاثة ليعترض عيراً لقريش فيها مائتا رجل فوافوا العير ببطن رابغ (٣) فكان بينهم الرمي بالنبل ثم خاف المشركون

---

(١) السرية قطعة من الجيش ونريد بها كل غزاة لم يكن فيها رسول الله والتى كان فيها تسمى غزوة (٢) عرض من أعراض المدينة أي ناحية منها (٣) واد بين الحرمين قرب البحر

أن يكون للمسلمين كمين فانهزموا ولم يتبعهم المسلمون وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن الاسود وعتبة بن غزوان وكانا قد أسلما وخرجا ليلحقا بالمسلمين

(وفيات)

وفى هذه السنة توفى من المهاجرين عثمان بن مظعون أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع أسلم قديما وهاجر الهجرتين ولما دفن أمر عليه السلام بان يرش قبره بالماء ووضع على قبره حجراً وقال أتعلم به قبر أخي وأدفن اليه من مات من أهلي وهذا كان القصد من وضع الأحجار على المقابر لا ما يقصده أهل العصور الاخيرة من تشييد الهياكل على القبور وتصويرها بصور ترى فى عين الناظر كالاصنام ليأتي أقارب الميت ويصنعوا عندها احتفالات كثيراًما تشبه ما كان يفعله مشركو مكة عند معابدهم ومن العبث فعل شيء لم يفعله رسول الله مما يتعلق بأمور الآخرة

ومات من الانصار أسعد بن زرارة أحد النقباء الاثنى عشر كان رضي الله عنه نقيب بنى النجار ولما مات اختار رسول الله نفسه للنقابة عليهم لان ابن أخت القوم منهم ومات أيضاً البراء بن معرور أحد النقباء وهو الذى كان يتكلم عن القوم فى العقبة الثانية ومات من مشركى مكة في هذه السنة الوليد ابن المغيرة ولما احتضر جزع فقال له أبو جهل ماجزعك ياعم فقال والله مابي من جزع من الموت ولكن أخاف أن يظهر دين ابن ابى كبشة بمكة فقال أبو سفيان لاتخف انى ضامن ان لا يظهر وفيها أيضا مات العاصي بن وائل السهمي وقد كفى الله المسلمين شر هذين الشقيين

(السنة الثانية غزوة ودان)

ولاثنتي عشرة ليلة خلت من السنة الثانية خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة بعد أن استخلف عليها سعد بن عبادة ليعترض عيراً لقريش فسار حتى بلغ ودان (١) وكان يحمل لواءه عمه حمزة ولم يلق هناك حرباً لان العير كانت قد سبقته وفي هذه الغزوة صالح بني ضمرة على أنهم آمنون على أنفسهم ولهم النصر على من رامهم وان عليهم نصرة المسلمين اذا دعوا ثم رجع الي المدينة بعد مضي خمس عشرة ليلة

(غزوة بواط)

ولم يمض على رجوعه غير قليل حتى بلغه أن عيراً لقريش آتية من الشام فيها أمية بن خلف ومائة من قريش وألفان وخمسمائة بعير فسار اليها في مائتين من المهاجرين وذلك في ربيع الاول وكان يحمل لواءه سعد بن أبي وقاص فسار حتى بلغ بواط (٢) فوجد العير قد فاتته فرجع ولم يلق كيدا وذلك كله لما كان يأخذه المشركون من الحذر على أنفسهم والاجتهاد في تعمية أخبارهم عن أهل المدينة

(غزوة العشيرة)

وأعقب رجوعه عليه السلام خروج قريش بأعظم عير لها فقد جمعوا فيها أموالهم حتى لم يبق بمكة قرشي أو قرشية لها مثقال فصاعدا إلا بعث به في تلك العير وكان يرأسها أبو سفيان بن حرب ومعه بضعة وعشرون رجلا

---

(١) قرية بين مكة والمدينة بينها وبين الابواء ستة اميال

(٢) جبال جهينة على أبراد من المدينة جهة ينبع

فخرج لها الرسول فى جمادي الاولى ومعه مائة وخمسون من المهاجرين واستخلف على المدينة أباسلمة بن عبد الاسد وحمل لواءه عمه حمزة ولم يزل سائراً حتى بلغ العشيرة فوجد العير قد مضت وحالف عليه السلام فى هذه الغزوة بنى مدلج وحلفاءهم ثم رجع عليه السلام الى المدينة ينتظر هذه العير حينما ترجع

(غزوة بدر الاولى)

وبعد رجوعه عليه السلام بقليل جاء كرز بن جابر الفهرى وأغار على سرح المدينة وهرب فخرج الرسول فى طلبه واستخلف علي المدينة زيد ابن حارثة الانصارى وحمل لواءه على بن أبى طالب فسار حتي بلغ سفوان(١) وفاته كرز فلم يلق حرباو تسمى هذه الغزوة بدرا الاولى

﴿ سرية ﴾

وفي رجب من هذه السنة أرسل سرية عدتها ثمانية رجال يرأسها عبدالله بن جحش وأعطاه كتابا مختوماً لا يفضه إلا بعد أن يسير يومين ثم ينظر فيه فسار عبد الله يومين ثم فتح الكتاب فاذا فيه (اذا نظرت كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم) وانما لم يخبرهم عليه السلام بمقصدهم وهم بالمدينة حذراً من شيوع الخبر فيدل عليهم أحد الاعداء من المنافقين أو اليهود فتترصد لهم قريش ولا يخفي أن عدد السرية قليل لا يمكنه المقاومة ثم سار عبد الله رضي الله عنه وفى أثناء السير تخلف سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان لانهما أضلا بعيرهما الذى كانا يعتقبانه وسار الباقون حتى وصلوا نخلة فمرت بهم عير قرشية تريد مكة فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل

---

(١) واد من ناحية بدر

والحكم بن كيسان فأجمع المسلمون أمرهم على أن يحملوا عليهم ويأخذوا ما معهم فحملوا عليهم في آخر يوم من رجب فقتلوا عمرو بن الحضرمي وأسروا عثمان والحكم وهرب نوفل واستاقوا العير وهي أول غنيمة غنمها المسلمون من أعدائهم قريش ثم رجعوا ولم يتمكن المشركون من اللحاق بهم فلما قدموا المدينة وشاع أنهم قاتلوا فى الاشهر الحرم وعابتهم قريش واليهود بذلك عنفهم المسلمون وقال لهم عليه السلام ما أمرتكم بقتال في الاشهر الحرم فندموا فأنزل الله فى سورة البقرة (يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل) فسرى عنهم وقد طلب المشركين فداء اسيريهما فقال عليه السلام حتى يرجع سعد وعتبة فلما رجعا قبل عليه السلام الفدية فى الاسيرين فأما الحكم بن كيسان فاسلم وحسن إسلامه مع المسلمين وأما عثمان فلحق بمكة كافرا

﴿ تحويل القبلة ﴾

مكث عليه السلام بالمدينة ستة عشر شهراً يستقبل بيت المقدس فى صلاته وكان يحب أن تكون قبلته الكعبة ويقلب وجهه فى السماء داعيا الله بذلك فبينما هو فى صلاته اذ أوحى الله اليه بتحويل القبلة الى الكعبة فتحول وتحوّل من وراءه وكانت هذه الحادثة سبباً لافتتان بعض المسلمين الذين ضعفت قلوبهم فارتدوا على أعقابهم وقد أكثر اليهود من التنديد على الاسلام بهذا التحويل وما دروا أن لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

﴿ صوم رمضان ﴾

وفى شعبان من هذه السنة أوجب الله صوم شهر رمضان على الامة

الاسلامية وكان عليه السلام قبل ذلك يصوم ثلاثة أيام من كل شهر والصيام من دعائم هذا الدين والفرائض التى بها يتم النظام فان الانسان مجبول على حب نفسه والسعي فيما يعود عليها بالنفع الخاص تاركا ما وراء ذلك من حاجات الضعفاء والمساكين فلا بد من وازع يزعه لحاجات قوم أقعدتهم قواهم عن ادراك حاجاتهم ولا أقوي من ذوق قوارص الجوع والعطش اذ بهما تلين نفسه ويتهذب خلقه فيسهل عليه بذل الصدقات

(صدقة الفطر)

ولذلك أوجب الشارع الحكيم عقب الصوم زكاة الفطر فترى الانسان يبذلها بسخاء نفس ومحبة خالصة

(زكاة المال)

وفي هذا العام فرضت زكاة الاموال وهذه هى النظام الوحيد الذي به يأكل الفقراء والمساكين من اخوانهم الاغنياء بلا ضرر على هؤلاء فاذا بلغت الدنانير عشرين أو الدراهم مائتين وحال عليها الحول وجب عليك أن تؤدى ربع عشرها أى اثنين ونصفا فى كل مائة ومازاد فبحسابه واذا بلغت الشياه أربعين والبقر ثلاثين والابل خمسا وحال عليها الحول وجب عليك كذلك أن تؤدى منها جزءاً مخصوصاً حدده الشارع ومثلها عروض التجارة ومحصولات الزراعة كل هذا يقبضه الامام ويوزعه على مستحقيه من الفقراء والمساكين وبقية المذكورين فى آية الصدقة (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) واللبيب العاقل البعيد عن التعصب يحكم لاول نظرة أن

هذا النظام مع عدم اضراره بالاغنياء مقلل لمصائب الفقر التي ألجأت كثيرا من فقراء الامم أن يخالفوا نظام دولهم ويؤسسوا مبادىء تقويض العمران وتداعي الامن كما يفعله الاشتراكيون وغيرهم

(غزوة بدر الكبرى)

لم يطل العهد بتلك العير العظيمة التى خرج لها عليه السلام وهي متوجهة الي الشام فلم يدركها ولم يزل مترقبا رجوعها فلما سمع برجوعها ندب اليها أصحابه وقال هذه عير قريش فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فأجاب قوم وثقل آخرون لظنهم أن الرسول عليه السلام لم يرد حربا فانه لم يحتفل بها بل قال من كان ظهره حاضراً فليركب معنا ولم ينتظر من كان ظهره غائبا فخرج لثلاث ليال خلون من رمضان بعد أن ولى على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم وكان معه ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا مائتان ونيف وأربعون من الانصار والباقون من المهاجرين ومعهم فرسان وسبعون بعيراً يعتقبونها والحامل للواء مصعب بن عمير العبدرى : ولما علم ابو سفيان بخروج الرسول صلى الله عليه وسلم استأجر راكباً ليأتى قريشاً ويخبرهم الخبر فلما علموا بذلك أدركتهم حميتهم وخافوا على تجارتهم فنفروا سراعاً ولم يتخلف من أشرافهم الا أبو لهب ابن عبد المطلب فانه أرسل بدله العاص بن هشام بن المغيرة وأراد أمية بن خلف أن يتخلف لحديث حدثه إياه سعد بن معاذ حينما كان معتمراً بعد الهجرة بقليل حيث قال كما رواه البخاري سمعت من رسول الله يقول انهم قاتلوك قال بمكة قال لا أدري ففزع لذلك وحلف أن لا يخرج فعابه أبو جهل ولم يزل به حتى خرج قاصداً الرجوع بعد قليل ولكن ارادة الله فوق كل ارادة فان منيته ساقته الى حتفه رغم

أنفه وكذلك عزم جماعة من الاشراف على القعود فعيب عليهم ذلك وبهذا اجمعت رجال قريش على الخروج فخرجوا على الصعب والذلول أمامهم القينات يغنين بهجاء المسلمين (وزين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم) وقد ضرب الله عمل الشيطان هذا مثلا يعتبر به ذوو الرأى من بعدهم فقال في سورة الحشر (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إني اخاف الله رب العالمين) وهكذا كان عمله في هذه الواقعة (فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني برىء منكم اني أرى مالا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب) وكان عدة من خرج من المشركين تسعمائة وخمسين رجلا معهم مائة فرس وسبعمائة بعير (أما) رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن يعرف شيئا مما فعله المشركون ولم يكن خروجه إلا للعير فعسكر ببيوت السقيا خارج المدينة واستعرض الجيش فرد من ليس له قدرة على الحرب ثم أرسل اثنين يتجسسان الاخبار عن العير ولما بلغ الروحاء (١) جاءه الخبر بمسير قريش لمنع عيرهم وجاءه مخبراه بان العير ستصل بدرا غدا أو بعد غد فجمع عليه السلام كبراء الجيش وقال لهم (أيها الناس ان الله قد وعدني إحدى الطائفتين أنها لكم العير أو النفير) فتبين له عليه السلام أن بعضهم يريدون غير ذات الشوكة وهي العير ليستعينوا بما فيها من الاموال فقد قالوا هلا ذكرت لنا القتال فنستعد وجاء مصداق ذلك قوله تعالى فى سورة الانفال (واذ يعدكم الله إحدي الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) ثم قام المقداد بن الاسود

---

(١) موضع على ثلاثين أو أربعين ميلا جنوب المدينة الغربى

رضي الله عنه فقال يارسول الله امض لما أمرك الله فوالله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون والله لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فدعا له بخير ثم قال عليه السلام أشيروا على أيها الناس وهو يريد الانصار لان بيعة العقبة ربما يفهم منها أنه لا تجب عليهم نصرته الا مادام بين أظهرهم فان فيها يارسول الله إنا براء من ذمتك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت اليها فأنت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فقال سعد بن معاذ سيد الاوس كانك تريدنا يارسول الله فقال أجل فقال سعد قد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك عهودنا فامض لما أمرك الله فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضنه معك وما نكره أن تكون تلقي العدو بنا غدا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله فأشرق وجهه عليه السلام وسر بذلك وقال كما فى رواية البخارى (أبشروا والله لكانى أنظر الى مصارع القوم) فعلم القوم من هذه الجملة أن الحرب لابد حاصلة وحقيقة حصلت فان أبا سفيان لما علم بخروج المسلمين له ترك الطريق المسلوكة وسار متبعاً ساحل البحر فنجا وأرسل الى قريش يعلمهم بذلك ويشير عليهم بالرجوع فقال أبو جهل لانرجع حتى نحضر بدرا (١) فنقيم فيه ثلاثاً ننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتسمع بنا العرب فلا

---

(١) محل بين مكة والمدينة وهو الى المدينة أقرب فى الجنوب الغربى منها على الطريق السلطاني وكان به سوق تعقد كل سنة ثمانية أيام

يزالون بها بوننا أبدا فقال الاخنس بن شريق الثقفي لبني زهرة وكان حليفاً لهم ارجعوا ياقوم فقد نجى الله أموالكم فرجعوا ولم يشهد بدرا زهري ولا عدوي ثم سار الجيش حتى وصلوا وادي بدر فنزلوا عدوته القصوى (١) عن المدينة في أرض سهلة لينة أما جيش المسلمين فانه لما قارب بدرا أرسل عليه السلام على بن ابى طالب والزبير بن العوام ليعرفا الاخبار فصادفا سقاة لقريش فيهم غلام لبني الحجاج وغلام لبني العاص السهميين فأتيا بهما والرسول عليه السلام قائم يصلي ثم سألاهما عن أنفسهما فقالا نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم الماء فضرباهما لانهما ظنا أن الغلامين لابي سفيان فقال الغلامان نحن لابي سفيان فتركاهما ولما أتم الرسول عليه السلام صلاته قال اذا صدقا كم ضربتموهما واذا كذبا كم تركتموهما صدقا والله انهما لقريش ثم قال لهما أخبراني عن قريش قالا هم وراء هذا الكثيب فقال لهما كم هم فقالا لا ندري قال كم ينحرون كل يوم قالا يوماً تسعا ويوما عشراً قال القوم ما بين التسعمائة والالف ثم سألهما عمن في النفير من أشراف قريش فذكرا له عددا عظيما فقال عليه السلام لاصحابه هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها (٢) ثم ساروا حتى نزلوا بعدوة الوادي الدنيا من المدينة بعيدا عن الماء في أرض سبخة فأصبح المسلمون عطاشا بعضهم جنب وبعضهم محدث فحدثهم الشيطان بوسوسته ولولا فضل الله عليهم ورحمته لثنيت عزائمهم فانه قال لهم ما ينتظر المشركون منكم إلا أن يقطع العطش

---

(١) عداوة الوادي شاطئه

(٢) قطع كبدها

رقابكم ويذهب قوا كم فيتحكموا فيكم كيف شاؤا

فأرسل الله لهم الغيث حتي سال الوادى فشربوا واتخذوا الحياض على عدوة الوادى واغتسلوا وتوضؤا وملؤا الاسقية ولبدت الارض حتى ثبتت عليها الاقدام على حين أن كان هذا المطر مصيبة على المشركين فانه وحل الارض حتى لم يعودا يقدرون على الارتحال ومصداق هذا قوله تعالى في سورة الانفال (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام) وقد أرى الله رسوله فى منامه الاعداء كما أراهموه وقت اللقاء قليلى العدة كيلا يفشل المسلمون وليقضي الله أمرا كان مفعولا قال تعالى فى سورة الانفال (إذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور وإذ يريكموهم اذا التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا والي الله ترجع الامور) ثم سار جيش المسلمين حتي نزل أدنى ماء من بدر فقال له الحباب بن المنذر الانصارى وكان مشهوراً بجودة الرأى يارسول الله أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر أم هو الرأى والحرب والميكدة فقال بل هو الرأي والحرب والمكيدة فقال يارسول الله ليس لك هذا بمنزل فانهض بالناس حتي تأتي أدني ماء من القوم فانى أعرف غزارة مائه وكثرته فننزله ونغور ماعداه من الآبار ثم نبنى عليه حوضاً فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون فقال الرسول عليه السلام لقد أشرت بالرأى ونهض حتى أتي أدنى ماء من القوم ثم أمر بالآبار التي خلفهم فغورت لينقطع أمل المشركين في الشرب من وراء المسلمين وبنى حوضاً علي القليب الذى نزل عليه

ثم قال له سعد بن معاذ سيد الاوس يانبي الله ألا نبنى لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله تعالى وظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يانبي الله مانحن بأشد لك حباً منهم ولا أطوع لك منهم لهم رغبة في الجهاد ونية ولو ظنوا أنك تلقي حربا ماتخلفوا عنك انما ظنوا أنها العير يمنعك الله بهم ويناصحونك ويجاهدون معك ، فقال عليه السلام أو يقضي الله خيرا من ذلك ثم بنى للرسول عريش فوق تل مشرف علي ميدان الحرب ولما اجتمعوا عدل عليه السلام صفوفهم مناكبهم متلاصقة فصاروا كأنهم بنيان مرصوص ثم نظر لقريش فقال (اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى به) وفي هذا الوقت وقع خلف بين رؤساء عسكر المشركين فان عتبة بن ربيعة أراد أن يمنع الناس من الحرب ويحمل دم حليفه عمرو بن الحضرمي الذى قتل فى سرية عبد الله بن جحش ويحمل ماأصيب من عيره ودعا الناس الى ذلك فلما بلغ أباجهل الخبر وسمه بالجبن وقال والله لانرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وقبل أن تقوم الحرب علي ساقها خرج من صفوف المشركين الاسود بن عبد الاسد المخزومي وقال أعاهد الله لاشربن من حوضهم أولاهدمنه أولاموتن دونه فخرج اليه حمزة بن عبد المطلب وضربه ضربة قطع بها قدمه بنصف ساقه فوقع على ظهره فزحف على الحوض حتي اقتحم فيه ليبر قسمه فاتبعه حمزة فقتله ثم وقف عليه السلام يحرض الناس على الثبات والصبر وكان فيما قال (وان الصبر فى مواطن البأس مما

يفرج الله به الهم وينجي به من الغم) ثم ابتدأ القتال بالمبارزة فخرج من صفوف المشركين ثلاثة نفر عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد فطلبوا أكفاءهم فخرج اليهم ثلاثة من الانصار فقالوا لا حاجة لنا بكم انما نريد أكفاءنا من بني عمنا فأخرج لهم عليه السلام عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب للاول وحمزة بن عبد المطلب للثاني وعلى بن أبي طالب للثالث فأما حمزة وعلى فقتلا صاحبيهما وأما عبيدة وعتبة فاختلفا بضربتين كلاهما جرح صاحبه فحمل رفيقا عبيدة على عتبة فأجهزا عليه وحمل عبيدة من بين الصفوف جريحا يسيل مخ ساقه وأضجعوه الى جانب موقفه صلى الله عليه وسلم فأفرشه رسول الله قدمه الشريفة فوضع خده عليها وبشره عليه السلام بالشهادة فقال وددت والله أن أبا طالب كان حياً ليعلم أننا أحق منه بقوله

ونسلمه حتى نصرع حوله　　ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وبعد انقضاء هذه المبارزة وقف عليه السلام بين الصفوف يعدلها بقضيب في يده فمر بسواد بن غزية حليف بني النجار وهو خارج من الصف فضربه بالقضيب في بطنه وقال استقم ياسواد فقال أوجعتني يارسول الله وقد بعثت بالحق والعدل فأقدني من نفسك فكشف الرسول عليه السلام عن بطنه وقال استقد ياسواد فاعتنقه سواد وقبل بطنه فقال عليه السلام ماحملك على ذلك فقال يارسول الله قد حضر ماتري فأردت أن يكون آخر العهد أن يمس جلدي جلدك ، فدعا له بخير ثم ابتدأ عليه السلام يوصي الجيش فقال (لا تحملوا حتى آمركم وان اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم) ثم حضهم على الصبر والثبات ثم رجع إلى عريشه

ومعه رفيقه أبو بكر وحارسه سعد بن معاذ واقف على باب العريش متوشح سيفه وكان من دعاء الرسول عليه السلام ذاك الوقت كما جاء في صحيح البخاري (اللهم أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد) فقال أبو بكر حسبك فان الله سينجزلك وعدك فخرج عليه السلام من العريش وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر) ثم قال عليه السلام يحرض الجيش (والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة ومن قتل قتيلا فله سلبه) فقال عمير بن الحمام وبيده تمرات يأكلها بخ بخ ما بينى وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلنى هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه وقاتل حتى قتل واشتد القتال وحمى الوطيس وأيد الله المسلمين بالملائكة بشرى لهم ولتطمئن به قلوبهم فلم تكن إلا ساعة حتى هزم الجمع وولوا الدبر وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقتل من المشركين نحو السبعين منهم من قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة قتلوا مبارزة أول القتال وأبو البخترى بن هشام والجراح والد أبي عبيدة قتله ابنه بعد أن ابتعد عنه فلم يزدجر وقتل أمية بن خلف وابنه على اشترك فى قتلهما جماعة من الانصار مع بلال بن رباح وعمار بن ياسر وقد سعيا فى ذلك لما كان يفعله بهما أمية فى مكة ومن القتلي حنظلة بن أبي سفيان وأبو جهل بن هشام أثخنه فتيان صغيران من الانصار لما كانا يسمعانه من أنه كان شديد الايذاء لرسول الله وأجهز عليه عبد الله بن مسعود وقتل نوفل بن خويلد قتله على بن أبى طالب وقتل عبيدة والعاصى ولدا أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية وقتل كثيرون غيرهم أما الاسرى فكانوا سبعين أيضاً قتل منهم عليه السلام وهو

راجع عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث اللذين كانا بمكة من أشد المستهزئين وكانت هذه الواقعة فى ١٧ رمضان وهو اليوم الذى ابتدأ فيه نزول القرآن وبين التاريخين ١٤ سنة قمرية كاملة

وقد أمر عليه السلام بالقتلى فنقلوا من مصارعهم التى كان الرسول عليه السلام أخبر بها قبل حصول الموقعة الى قليب بدر لانه عليه السلام كان من سننه فى مغازيه اذا مر بجيفة انسان أمر بها فدفنت لا يسأل عنه مؤمنا أو كافراً ولما ألقى عتبة والد أبي حذيفة أحد السابقين الى الاسلام تغير وجه ابنه فقطن الرسول عليه السلام لذلك فقال لعلك دخلك من شأن أبيك شيء فقال لا والله ولكني كنت أعرف من أبى رأياً وحلماً وفضلا فكنت أرجو أن يهديه الله للاسلام فلما رأيت مامات عليه حزنني ذلك فدعا له الرسول عليه السلام بخير ثم أمر عليه السلام براحلته فشد عليها حتى قام على شفة القليب الذي رمي فيه المشركون فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يافلان بن فلان ويافلان بن فلان أيسركم أنكم كنتم أطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ماوعد ربكم حقاً فقال عمر يارسول الله ماتكلم من أجساد لا أرواح فيها فقال والذي نفس محمد بيده ماأنتم بأسمع لما أقول منهم وتقول عائشة رضي الله عنها انما قال انهم الآن ليعلمون أنما كنت أقول لهم حق ثم قرأت إنك لا تسمع الموتى وما أنت بمسمع من فى القبور، تقول يعلمون ذلك حينما تبوؤا مقاعدهم من النار (رواه البخارى) ثم أرسل عليه السلام المبشرين فأرسل عبد الله بن ابي رواحة لاهل العالية (١) وأرسل زيد بن حارثة لاهل السافلة راكبا على ناقة رسول الله وكان المنافقون

---

(١) قرى بظاهر المدينة وهى العوالى

والكفار من اليهود قد أرجفوا بالرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين عادة الاعداء فى اذاعة الضراء يقصدون بذلك فتنة المسلمين فجاء أولئك المبشرون بماسر أهل المدينة وكان ذلك وقت انصرافهم من دفن رقية بنت رسول الله وزوج عثمان ثم قفل رسول الله راجعا وهنا وقع خلف بين بعض المسلمين فى قسمة الغنائم فالشبان يقولون باشرنا القتال فهى لنا خالصة والشيوخ يقولون كنا ردءا لكم فنشارككم ولما كان هذا الاختلاف مما يدعو الى الضعف ويزرع فى القلوب العداوة والبغضاء المؤديين الى تشتت الشمل أنزل الله حسما لهذا الخلاف أول سورة الانفال (يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) فسطع على أفئدتهم نور القرآن فتألفت بعد أن كادت تفترق وتركوا أمر الغنائم لرسول الله يضعها كيف شاء كما حكم القرآن فقسمها عليه السلام على السواء الراجل مع الراجل والفارس مع الفارس وأدخل فى الاسهام بعض من لم يحضر لامر كاف به وهم أبو لبابة الانصارى لانه كان مخلفا على أهل المدينة والحارث بن حاطب لان الرسول عليه السلام خلفه على بنى عمرو بن عوف ليحقق أمرا بلغه والحارث بن الصمة وخوات بن جبير لانهما كسرا بالروحاء فلم يتمكنا من الصبر وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد لانهما أرسلا يتجسسان الاخبار فلم يرجعا إلا بعد انتهاء الحرب وعثمان بن عفان لان الرسول عليه السلام خلفه على ابنته رقية يمرضها وعاصم بن عدى لانه خلفه على أهل قباء والعالية وكذلك أسهم لمن قتل ببدر وهم أربعة عشر منهم عبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب بن هاشم الذى جرح فى المبارزة الاولى فانه رضي الله عنه مات عند رجوع المسلمين من بدر ودفن بالصفراء ولما قارب عليه السلام المدينة تلقته

الولائد بالدفوف يقلن

طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا   ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا   جئت بالامر المطاع

﴿ أسرى بدر ﴾

ولما دخلوا المدينة استشار عليه السلام أصحابه فيما يفعل بالاسرى فقال عمر بن الخطاب يارسول الله قد كذبوك وقاتلوك وأخرجوك فأري أن تمكنني من فلان لقريب له فأضرب عنقه وتمكن حمزة من أخيه العباس وعلياً من أخيه عقيل وهكذا حتى يعلم الناس أنه ليس في قلوبنا مودة للمشركين ماأرى أن تكون لك أسرى فاضرب أعناقهم هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم ووافقه على ذلك سعد بن معاذ وعبد الله بن رواحة وقال أبو بكر يارسول الله هؤلاء أهلك وقومك قد أعطاك الله الظفر والنصر عليهم أري أن تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فيكون ماأخذنا منهم قوة لنا علي الكفار وعسى أن الله يهديهم بك فيكونوا لك عضداً فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب أقوام حتي تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب أقوام حتي تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال (فمن اتبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم) وان مثلك ياعمر مثل نوح قال (رب لاتذر على الارض من الكافرين دياراً) ورأى عليه السلام رأى أبي بكر بعد أن مدح كلا من الصاحبين لان الوجهة واحدة وهى اعزاز الدين وخذلان المشركين ثم قال لاصحابه أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد من أسراكم إلا بفداء وقد بلغ قريشا ماعزم عليه الرسول في أمر الاسري

فناحت على القتلى شهراً ثم أشير عليهم من كبارهم أن لا يفعلوا كيلا يبلغ محمداً وأصحابه جزعهم فيشمتوا بهم فسكتوا وصمموا على أن لا يبكوا قتلاهم حتى يأخذوا بثارهم وتواصوا فيما بينهم أن لا يعجلوا فى طلب الفداء لئلا يتغالى المسلمون فيه

(الفداء)

فلم يلتفت الى ذلك المطلب بن أبي وداعة السهمى وكان أبوه من الاسرى فخرج خفية حتي أتي المدينة وفدي أباه بأربعة آلاف درهم وعند ذلك بعثت قريش فى فداء أسراها وكان أربعة آلاف الى الف درهم ومن لم يكن معه فداء وهو يحسن القراءة والكتابة أعطوه عشرة من غلمان المدينة يعلمهم وكان ذلك فداءه (ومن) الاسرى عمرو بن أبى سفيان ولما طلب من أبيه فداؤه أبي وقال والله لا يجمع محمد بين ابني ومالى دعوه يمسكوه فى أيديهم ما بدا لهم فبينما أبو سفيان بمكة إذ وجد سعد بن النعمان الانصارى معتمرا فعدا عليه فحبسه بابنه عمرو فمضي قوم سعد الى رسول الله وأخبروه الخبر فأعطاهم عمراً ففكوا به سعداً (ومن) الاسرى أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت الرسول وكان عليه السلام قد أثني عليه خيراً فى مصاهرته فانه لما استحكمت العداوة بين قريش ورسول الله بمكة طلبوا من أبي العاص أن يطلق زينب كما فعل ابنا أبى لهب بابنتى الرسول فامتنع وقال والله لا أفارق صاحبتى وما أحب أن لى بها امرأة من قريش ولما أسر أرسلت زينب فى فدائه قلادة لها كانت حلتها بها أمها خديجة ليلة عرسها فلما رأى عليه السلام تلك القلادة رق لها رقة شديدة وقال لاصحابه ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا فرضى الاصحاب

بذلك فأطلقه عليه السلام بشرط أن يترك زينب تهاجر الى المدينة فلما
وصل الي مكة أمرها باللحاق بأبيها وكان الرسول أرسل لها من يأتى
بها فا حتملوها (هذا) ولما أسلم أبوالعاص بن الربيع قبيل الفتح ردعليه
امرأته بالنكاح الاول (ومن) الاسرى سهيل بن عمرو وكان من
خطباء قريش وفصحائها وطالما آذى المسلمين بلسانه فقال عمر بن الخطاب
دعني يارسول الله أنزع ثنيتى سهيل يدلع (١) لسانه فلا يقوم عليك خطيباً
فى موطن أبداً فقال عليه السلام (لا أمثل فيمثل الله بى وان كنت نبياً
وعسى أن يقوم مقاماً لا تذمه) وقدم بفدائه مكرز بن حفص ولما ارتضى
معهم على مقدار حبس نفسه بدله حتى جاء بالفداء . هذا وقد حقق الله
خبر الرسول فى سهيل فانه لما مات عليه السلام أراد أهل مكة الارتداد
كما فعل غيرهم من الاعراب فقام سهيل هذا خطيبا وقال بعد أن حمد الله
وأثنى عليه وصلى على رسوله أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد
مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ألم تعلموا أن الله قال (إنك
ميت وإنهم ميتون) وقال (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) ثم قال والله اني أعلم أن هذا
الدين سيمتد امتداد الشمس فى طلوعها فلا يغرنكم هذا (يريد أبا سفيان)
من أنفسكم فانه لعلم من هذا الامر ماأعلم لكنه قد ختم على صدره حسد
بني هاشم وتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمته تامة وان الله ناصر
من نصره ومقو دينه وقد جمعكم الله على خيركم (يريد أبا بكر) وان

(١) يخرج

ذلك لم يزد الاسلام الا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه فتراجع الناس عما كانوا عزموا عليه وكان هذا الخبر من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم (ومن) الاسرى الوليد بن الوليد افتكه أخواه خالد وهشام فلما افتدى ورجع الى مكة أسلم فقيل له هلا أسلمت قبل الفداء فقال خفت أن يعدوا إسلامي خوفاً ولما أراد الهجرة منعه أخواه ففر الى النبي في عمرة القضاء (ومن) الاسرى السائب بن يزيد وكان صاحب الراية في تلك الحرب فدى نفسه وهو الجد الخامس للامام محمد بن ادريس الشافعي (ومنهم) وهب بن عمير الجمحي كان أبوه عمير شيطانا من شياطين قريش كثير الايذاء لرسول الله جلس يوما بعد انتهاء هذه الحرب مع صفوان بن أمية يتذاكران مصاب بدر فقال عمير والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه وعيال اخشى عليهم الفقر بعدي كنت آتي محمداً فأقتله فان ابني أسير في أيديهم فقال له صفوان دينك علي وعيالك مع عيالي فأخذ عمير سيفه وشحذه وسمه وانطلق حتى قدم المدينة فبينا عمر مع نفر من المسلمين اذ نظر الى عمير متوشحا سيفه فقال هذا الكلب عدو لله ما جاء الا بشر ثم قال للنبي عليه السلام هذا عدو الله عمير قد جاء متوشحا سيفه فقال ادخله علي فأخذ عمر بحمائل سيفه وأدخله فلما رآه عليه السلام قال أطلقه ياعمر ادن ياعمير فدنا وقال انعموا صباحا فقال عليه السلام قد أبدلنا الله تحية خيراً من تحيتك وهي السلام ثم قال ما جاء بك ياعمير قال جئت لهذا الاسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه قال فما بال السيف قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئا فقال عليه السلام اصدقني ما الذي جئت

له قال ماجئت إلا لذلك قال عليه السلام كلا بل قعدت أنت وصفوان في الحجر وقلتما كيت وكيت فأسلم عمير وقال كنا نكذبك بما تأتى به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان فقال عليه السلام فقهوا أخاكم في دينه واقرؤه القرآن وأطلقوا أسيره فعاد عمير إلى مكة وأظهر إسلامه (ومن) الاسري أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير مر به أخوه فقال للذي أسره شديدك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك فقال له ياأخي هذه وصايتك بي ثم بعثت أمه بفدائه أربعة آلاف درهم (ومن) الاسرى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد خرج لهذه الحرب مكرها ولما وقع في الاسر طلب منه فداء نفسه وابن أخيه عقيل بن أبى طالب فقال عليه السلام ندفع وقد استكرهنا على الخروج فقال عليه السلام لقد كنت في الظاهر علينا فأخذت منه فدية نفسه وابن أخيه ثم قال للرسول لقد تركتني فقير قريش مابقيت قال كيف وقد تركت لام الفضل أموالا وقلت لها ان مت فقد تركتك غنية فقال العباس والله مااطلع على ذلك أحد . وهذا العمل غاية ما يفعل من العدل والمساواة فانه عليه السلام لم يعف عمه مع علمه بأنه خرج مكرها وقد أعفى غيره جماعة تحقق له فقرهم فهكذا العدل ولا غرابة فذلك أدب قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين) (ومن) الاسرى أبو عزة الجمحى الشاعر كان شديد الايذاء لرسول الله بمكة فلما أسر قال يامحمد انى فقير وذو عيال وذو حاجة قد عرفتها فامنن، فمن عليه فضلا منه

﴿ العتاب فى الفداء ﴾

ولما تم الفداء أنزل الله في شأنه (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) نهي سبحانه عن اتخاذ الاسرى قبل الاثخان فى قتل الذين يصدون عن سبيل الله ويمنعون دين الله من الانتشار وعاب بعض المسلمين على إرادة عرض الدنيا وهو الفدية ولولا حكم سابق من الله أن لا يعاقب مجتهدا على اجتهاده مادام المقصد خيراً لكان العذاب ثم اباح لهم الاكل من تلك الفدية المبني أخذها على النظر الصحيح وهذا من أقوى الادلة على صدق نبينا عليه السلام فيما جاء به لانه لو كان من عنده ما كان يعاتب نفسه على عمل عمله بناء على رأى كثير من الصحابة وقد وعد الله الاسري الذين يعلم فى قلوبهم خيراً بأن يؤتيهم خيراً مما أخذ منهم ويغفر لهم فقال (ياأيها النبي قل لمن فى أيديكم من الاسري ان يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم) وهذه الغزوة هى التى أعز الله بها الاسلام وقوى أهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله مع قلة المسلمين وكثرة عدوهم فهى آية ظاهرة على عناية الله تعالى بالاسلام وأهله مع ما كان عليه العدو من القوة بسوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيل المسومة والخيلاء الزائدة ولذلك قال الله ممتنا على عباده بهذا النصر (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) أى قليل عددكم لتعلموا أن النصر انما هو من عند الله فهى أعظم غزوات الاسلام اذ بها كان ظهوره وبعد وقوعها أشرق على الآفاق نوره فقد قتل فيها من صناديد قريش من كانوا الاعداء الالداء للاسلام ودخل الرعب في قلوب العرب الآخرين فكانت

للمسلمين هيبة بها يكسرون الجيوش ويهزمون الرجال فلا جرم أن شكرنا العلي الاعلى على هذه العناية واتخذنا يوم النصر في بدر وهو السابع عشر من رمضان عيدا نتذكر فيه نعمة الله على رسوله وعلى المسلمين

﴿غزوة قينقاع﴾

هذا واذا كان للشخص عدوان فانتصر على أحدهما حرك ذلك شجو الآخر وهاج فؤاده فتبدو بغضاؤه غير مكترث بعاقبة عدائه وهذا ماحصل من يهود بني قينقاع عند تمام الظفر في بدر فانهم نبذوا ماعاهدوا المسلمين عليه وأظهروا امكنون ضمائرهم فبدت البغضاء من أفواههم وانتهكوا حرمة سيدة من نساء الانصار وهذا مما يدعو المسلمين للتحرز منهم وعدم ائتمانهم في المستقبل اذا شبت الحرب في المدينة بين المسلمين وغيرهم فأنزل الله في سورة الانفال (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ (١) اليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين) فدعا عليه السلام رؤساءهم وحذرهم عاقبة البغي ونكث العهد فقالوا يامحمد لايغرنك مالقيت من قومك فانهم لاعلم لهم بالحرب ولو لقيتنا لتعلمن انا نحن الناس وكانوا أشجع يهود فأنزل الله في سورة آل عمران (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لاولى الابصار) وعند ذلك تبرأ من حلفهم عبادة بن الصامت أحد رؤساء الخزرج وتشبث بالحلف عبدالله بن أبي وقال اني رجل أخشى

---

(١) أي فاطرح لهم العهد على طريق مستو قصد بان تظهر لهم نبذ العهود ولا تناجزهم الحرب اوهم على توهم بقاء العهد لان ذلك خيانة ولذا قال (ان الله لا يحب الخائنين)

الدوائر فأنزل الله تعليما للمسلمين فى سورة المائدة (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) وعند ما تظاهر يهود قينقاع بالعداوة وتحصنوا بحصونهم سار اليهم عليه السلام فى نصف شوال من هذه السنة يحمل لواءه عمه حمزة وخلف على المدينة أبا لبابة الانصاري فحاصرهم خمس عشرة ليلة

﴿جلاء قينقاع﴾

ولما رأوا من أنفسهم العجز عن مقاومة المسلمين وأدركهم الرعب سألوا رسول الله أن يخلى سبيلهم فيخرجوا من المدينة ولهم النساء والذرية وللمسلمين الاموال فقبل ذلك عليه السلام ووكل بجلائهم عبادة بن الصامت وأمهلهم ثلاث ليال فذهبوا الى أذرعات (١) ولم يحل عليهم الحول حتى هلكوا كلهم وخمس عليه السلام أموالهم وأعطي سهم ذوى القربي لبني هاشم ولبنى المطلب دون بني أخويهما عبد شمس ونوفل ولما سئل عن ذلك قال انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد فى الجاهلية والاسلام هكذا وشبك بين أصابعه

﴿غزوة السويق﴾

كان أبو سفيان متهيجا لانه لم يشاهد بدراً التى قتل فيها ابنه وذوو قرباه فحلف أن لا يمس رأسه الماء حتى يغزو محمدا وليبر بقسمه خرج بمائتين من أصحابه يريد المدينة ولما قاربها أراد أن يقابل اليهود من بني النضير ليهيجهم

(١) بلد بالشام

ويستعين بهم على حرب المسلمين فأتى سيدهم حيي بن أخطب فلم يرض مقابلته فأتى سلام بن مشكم فأذن له واجتمع به ثم خرج من عنده وأرسل رجالا من قريش الى المدينة فحرقوا فى بعض نخلها ووجدوا أنصاريا فقتلوه ولما علم بذلك رسول الله خرج فى أثرهم فى مائتين من أصحابه لخمس خلون من ذى الحجة بعد أن ولى على المدينة بشير بن عبد المنذر ولكن لم يلحقهم لانهم هربوا وجعلوا يخففون ما يحملونه ليكونوا اقدر على الاسراع فألقوا امامهم من جرب السويق فأخذه المسلمون ولذلك سميت هذه الغزوة بغزوة السويق

(صلاة العيد)

وفى هذا العام سن الله للعالم الاسلامى سنة عظيمة بها يتمكن أبناء البلد الواحد من المسلمين ان يجددوا عهود الاخاء ويقووا عروة الدين الوثقى وهى الاجتماع في يومى عيد الفطر وعيد الاضحى وكان عليه السلام يجمع المسلمين فى صعيد واحد ويصلى بهم ركعتين تضرعا الى الله أن لا يفصم عروتهم وأن ينصرهم على عدوهم ثم يخطبهم حاضاً لهم علي الائتلاف ومذكرا لهم مايجب عليهم لانفسهم ثم يصافح المسلمون بعضهم بعضاً وبعد ذلك يخرجون لاداء الصدقات للفقراء والمساكين حتى يكون السرور عاماً لجميع المسلمين فبعد الفطر زكاته وبعد الاضحى تضحيته نسأله تعالى أن يؤلف بين قلوبنا ويوفقنا لاعمال سلفنا

(زواج على بفاطمة عليهما السلام)

وفى هذه السنة تزوج على بن أبى طالب وعمره احدى وعشرون سنة بفاطمة بنت رسول الله وسنها خمس عشرة سنة وكان منها عقب رسول الله بنو الحسن

والحسين وزينب (وفيها) دخل عليه السلام بعائشة بنت أبي بكر وسنها إذ ذاك تسع سنوات

(السنة الثالثة)

يالله يقضي على الشقي بالشقاوة حتى لا يسمع ولا يبصر فيتخذ الغدر رداء والخيانة شعاراً فلا ينجح معه إلا اراحة العالم من شره هذا كعب بن الاشرف اليهودي عظيم بني النضير أعمته عداوة المسلمين حتى خلع برقع الحياء وصار يحرض قريشاً على حرب رسول الله ويهجوه بالشعر ويجتهد في اثارة الشحناء بين المسلمين فكلما جبر عليه السلام كسراً هاضه هذا الشقي بما ينفثه من سموم لسانه

(قتل كعب بن الاشرف)

ولما انتصر المسلمون ببدر ورأى الاسرى مقرنين في الحبال خرج الي قريش يبكي قتلاهم ويحرضهم على حرب المسلمين فقال عليه السلام من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله فقال محمد بن مسلمة الانصاري الاوسي أتحب أن أقتله قال نعم قال أنالك به وأذن لي أن أقول شيئاً أتمكن به فأذن له ثم خرج ومعه أربعة من قومه حتى أتي كعباً فقال له ان هذا الرجل (يريد رسول الله) قد سألنا صدقة وانه قد عنانا واني قد أتيتك أستسلفك قال وأيضاً والله لتملنه قال انا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين قال نعم ولكن ارهنوني قالوا أي شيء تريد قال ارهنوني نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب قال فارهنوني أبناءكم قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكن نرهنك اللأمة يعني السلاح

فرضي فواعده ليلا أن يأتيه فجاءه ليلا ومعه أبو نائلة أخو كعب من الرضاع وعباد بن بشر والحارث بن أوس وأبو عبس بن جبر وكلهم أوسيون فناداه محمد بن مسلمة فأراد أن ينزل فقالت له امرأته أين تخرج الساعة وانك أمرؤ تحارب فقال انما هو ابن أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة بليل لاجاب ثم قال محمد لمن معه اذا جاءني فاني آخذ بشعره فأشمه فاذا رأيتموني استمكنت من رأسه فاضربوه فنزل اليهم كعب متوشحا سيفه وهو ينفح منه ريح المسك فقال محمد ما رأيت كاليوم ريحا أطيب أتأذن لي أن أشم رأسك قال نعم فشمه فلما استمكن منه قال دونكم فاقتلوه ففعلوا وأراح الله المسلمين من شر أعماله التي كان يقصدها بهم ثم أتوا النبي فأخبروه وكان قتل هذا الشقي في ربيع الاول من هذا العام وكان عليه السلام اذا رأي من رئيس غدراً ومقاصد سوء ومحبة لاثارة الحرب أرسل له من يريحه من شره وقد فعل كذلك مع أبي عفك اليهودي وكان مثل كعب في الشر

﴿ غزوة غطفان ﴾

بلغ رسول الله أن بني ثعلبة ومحارب من غطفان تجمعوا برياسة رئيس منهم اسمه دعثور يريدون الغارة على المدينة فأراد عليه السلام أن يغل أيديهم كيلا يتمكنوا من هذا الاعتداء فخرج اليهم من المدينة في أربعمائة وخمسين رجلا لثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول وخلف على المدينة عثمان بن عفان ولما سمعوا بسير رسول الله هربوا الى رؤوس الجبال ولم يزل المسلمون سائرين حتى وصلوا ماء يسمي ذا أمر فعسكروا به وحدث أنه عليه السلام نزع ثوبه يجففه من

مطر بالله وارتاح تحت شجرة والمسلمون متفرقون فأبصره دعثور فأقبل اليه بسيفه حتى وقف على رأسه وقال من يمنعك مني يا محمد فقال الله فأدركت الرجل هيبة ورعب أسقطا السيف من يده فتناوله عليه السلام وقال لدعثور من يمنعك مني قال لا أحد فعفا عنه فأسلم الرجل ودعا قومه للاسلام وحول الله قلبه من عداوة رسول الله وجمع الناس لحربه الى محبته وجمع الناس له (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) وهذا ماينتجه حسن المعاملة والبعد عن الفظاظة وغلظ القلب (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر)

﴿غزوة بحران﴾

بلغه عليه السلام أن جمعاً من بنى سليم يرون الغارة على المدينة فسار اليهم فى ثلاثمائة من أصحابه لست خلون من جمادى الاولى وخلف على المدينة ابن أم مكتوم ولما وصل الى بحران (١) تفرقوا ولم يلق كيداً فرجع

(سرية)

لما تيقنت قريش أن طريق الشام من جهة المدينه أغلق فى وجه تجارتهم ولا يمكنهم الصبر عنها لان بها حياتهم أرسلوا عيراً إلى الشام من طريق العراق وكان فيها جمع من قريش منهم أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وحويطب ابن عبد العزى فجاءت أخبارهم لرسول الله فأرسل لهم زيد بن حارثة في مائة راكب يترقبونهم وكان ذلك في جمادى الآخرة فسارت السرية حتي لقيت العير على ماء اسمه (القردة) بناحية نجد فأخذت العير ومافيها وهرب

(١) موضع بناحية الفرع وهذا موضع من اضخم اعراض المدينة

الرجال وقد خمس الرسول عليه السلام هذه حينما وصلت له

(غزوة أحد)

لما أصاب قريشا ماأصابها ببدر وأغلقت في وجوههم طرق التجارة اجتمع من بقي من أشرافهم إلى أبي سفيان رئيس تلك العير التي جلبت عليهم المصائب وكانت موقوفة بدار الندوة ولم تكن سلمت لاصحابها بعد فقالوا ان محمداً قد وترنا وقتل خيارنا وانا رضينا أن نترك ربح أموالنا فيها استعداد الحرب محمد وأصحابه وقد رضي بذلك كل من له فيها نصيب وكان ربحها نحواً من خمسين ألف دينار فجمعوا لذلك الرجال فاجتمع من قريش ثلاثة آلاف رجل ومعهم الاحابيش وهم حلفاؤهم من بني المصطلق وبني الهون ابن خزيمة ومعهم أبو عامر الراهب الاوسي وكان قد فارق المدينة كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عدد ممن هم على شاكلته وخرج معهم جماعات من أعراب كنانة وتهامة وقال صفوان بن أمية لابي عزة الشاعر الذي لا ينسي القارىء أن الرسول من عليه ببدر وأطلقه من غير فداء: انك رجل شاعر فأعنا بلسانك فقال أني عاهدت محمدا أن لا أعين عليه وأخاف ان وقعت في يده مرة ثانية أن لا أنجو فلم يزل به صفوان حتى أطاعه وذهب يستنفر الناس لحرب المسلمين ودعا جبير بن مطعم غلاما حبشياً له اسمه وحشي وكان رامياً قلما يخطيء فقال له اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة بعمي طعيمة فأنت حر ثم خرج الجيش ومعهم القيان والدفوف والمعازف والخمور واصطحب الاشراف منهم نساءهم كيلا ينهزموا ولم يزالوا سائرين حتى نزلوا مقابل المدينة بذي الحليفة . أما رسول الله عليه الصلاة والسلام فكان قد بلغه الخبر من كتاب بعث به اليه عمه

العباس بن عبد المطلب الذى لم يخرج مع المشركين فى هذه الحرب محتجا بما أصابه يوم بدر ولما وصلت الاخبار باقتراب المشركين جمع عليه السلام أصحابه وأخبرهم الخبر وقال ان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان هم أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فكان معرأيه شيوخ المهاجرين والانصار ورأي ذلك أيضاً عبد الله بن أبى اما الاحداث وخصوصاً من لم يشهد بدرا منهم فأشاروا عليه بالخروج وكان معرأيهم حمزة بن عبد المطلب ومازال هؤلاء بالرسول حتى تبع رأيهم لانهم الاكثرون عدداً والاقوون جلداً فصلى الجمعة بالناس فى يومها لعشر خلون من شوال وحضهم فى خطبتها على الثبات والصبر وقال لهم (لكم النصر ماصبرتم) ثم دخل حجرته ولبس عدته فظاهر بين درعين (١) وتقلد السيف وألقي الترس وراء ظهره ولما رأى ذوو الرأى من الانصار أن الاحداث استكرهوا الرسول على الخروج لاموهم وقالوا ازدوا الامر لرسول الله فيما أمر ائتمرنا فلما خرج عليه السلام قالوا يارسول الله نتبع رأيك فقال ما كان لنبي لبس سلاحه أن يضعه حتي يحكم الله بينه وبين أعدائه ثم عقد الالوية فأعطى لواء المهاجرين لمصعب بن عمير ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ولواء الأوس لاسيد بن الحضير وخرج من المدينه بألف رجل فلما وصلوا رأس الثنية نظر عليه السلام كتيبة كبيرة فسأل عنها فقيل هؤلاء حلفاء عبد الله ابن أبى من اليهود فقال انا لانستعين بكافر على مشرك وأمر بردهم لانه لا يأمن جانبهم من حيث لهم اليد الطولى فى الخيانة ثم استعرض الجيش فرد من استصغر وكان فيمن رد رافع بن خديج وسمرة بن جندب ثم أجاز رافعا لما قيل له انه رام فبكى

---

(١) أى لبس درعا فوق درع وهما ذات الفضول وفضة التي أصابها من قينقاع

سمرة وقال لزوج أمه أجاز رسول الله رافعاً وردنى مع أنى أصرعه فبلغ رسول الله الخبر فأمرهما بالمصارعة فكان الغالب سمرة فأجازه ثم بات عليه السلام محله ليلة السبت واستعمل على حرس الجيش محمد بن مسلمة وعلى حرسه الخاص ذكوان بن قيس وفى السحر سار الجيش حتى اذا كان بالشوط وهو بستان بين أحد والمدينة رجع عبد الله بن أبى بثلاثمائة من أصحابه وقال عصانى وأطاع الولدان فعلام نقتل أنفسنا فتبعهم عبد الله بن عمرو والد جابر وقال ياقوم أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم (قالوا لو نعلم قتالا لا تبعناكم) فقال له أبعدكم الله فسيغنى الله عنكم نبيه . ولما فعل ذلك عبد الله بن أبي همت طائفتان من المؤمنين أن تفشلا بنو حارثة من الخزرج وبنو سلمة من الاوس فعصمهما الله وقد افترق المسلمون فرقتين فيما يفعلون بالمنخذلين فقوم يقولون نقاتلهم وقوم يقولون نتركهم فأنزل الله فى سورة النساء (فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) ثم سار الجيش حتى نزل الشعب من أحد (١) وجعل ظهره للجبل ووجهه للمدينة أما المشركون فنزلوا ببطن الوادى من قبل أحد وكان على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلي الميسرة عكرمة بن أبي جهل وعلي المشاة صفوان بن أمية فجعل عليه السلام الزبير بن العوام بازاء خالد وجعل آخرين أمام الباقين واستحضر الرماة وكانوا خمسين رجلا يرأسهم عبد الله بن جبير الانصارى فوقفهم خلف الجيش علي ظهر الجبل وقال ولا تبرحوا ان رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا واذ رأيتموهم ظهروا علينا فلا تبرحوا ثم عدل عليه السلام الصفوف وخطب المسلمين وكان فيما قال ألقي فى

---

(١) جبل شمالي المدينة الشرقى

قلبي الروح الامين أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أقصي رزقها الا ينقص منه شيء وان أبطأ عنها فاتقوا ربكم وأجملوا في طلب الرزق لا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد اذا اشتكي تداعى له سائر جسده ثم ابتدأ القتال بالمبارزة فخرج رجل من صفوف المشركين فبرز له الزبير فقتله ثم حمل اللواء طلحة بن أبى طلحة فقتله على فحمل اللواء أخوه عثمان فقتله حمزة فحمله أخ لهما اسمه أبو سعيد فرماه سعد بن ابى وقاص بسهم قضي عليه فتناوب اللواء بعد أربعة من أولاد طلحة بن ابي طلحة وكلهم يقتلون وخرج من صفوف المشركين عبد الرحمن بن أبي بكر يطلب البراز فأراد أبوه أن يبرز له فقال له عليه السلام متعنا بنفسك يا أبا بكر ثم حملت خيالة المشركين على المسلمين ثلاث مرات وفى كلها ينضحهم المسلمون بالنبل فيتقهقرون ولما التقت الصفوف وحميت الحرب ابتدأ نساء المشركين يضربن بالدفوف وينشدن الاشعار تهييجا لعواطف الرجال وكان عليه السلام كلما سمع نشيد النساء يقول (اللهم بك أجول وبك أصول وفيك أقاتل حسبي الله ونعم الوكيل) وفى هذه المعمعة قتل حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله سيد الشهداء غافله وحشى وهو يجول فى الصفوف وضربه بحربة لم تخطىء ثنايا بطنه

هـذا ولما قتل حملة اللواء من المشركين ولم يقدر أحد على الدنو منه ولوا الادبار ونساؤهم يبكين ويولولن وتبعهم المسلمون يجمعون الغنائم والاسلاب فلما رأى ذلك الرماة الذين يحمون ظهور المسلمين فوق الجبل قالوا ما لنا فى الوقوف من حاجة ونسوا أمر السيد الحكيم صلى الله عليه وسلم فذكرهم رئيسهم به فلم يلتفتوا وانطلقوا ينتهبون أمار ئيسهم فثبت وثبت معه قليل منهم فلما رأى خالد

ابن الوليد أحد رؤساء المشركين خلو الجبل من الرماة انطلق ببعض الجيش فقتل من ثبت من الرماة وأتى المسلمين من ورائهم وهم مشتغلون بدنياهم فلما رأوا ذلك البلاء دهشوا وتركوا مابايديهم وانتقضت صفوفهم واختلطوا من غير شعور حتى صار يضرب بعضهم بعضا ورفعت احدى نساء المشركين اللواء فاجتمعوا حوله وكان من المشركين رجل يقال له ابن قمئة قتل مصعب ابن عمير صاحب اللواء وأشاع ان محمداً قد قتل فدخل الفشل في المسلمين حتى قال بعضهم علام نقاتل اذا كان محمد قد قتل فارجعوا الى قومكم يؤمنوكم وقال جماعة اذا كان محمد قد قتل فقاتلوا عن دينكم وكان من نتيجة هذا الفشل أن انهزم جماعة من المسلمين من بينهم الوليد بن عقبة وخارجة بن زيد ورفاعة ابن المعلي وعثمان بن عفان وتوجهوا الى المدينة ولكنهم استحيوا أن يدخلوها فرجعوا بعد ثلاث وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة منهم أبو طلحة الانصارى استمر بين يديه يمنع عنه بجحفته وكان رامياً شديد الرمي فنثر كنانته بين يدي رسول الله وصار يقول وجهي لوجهك فداء وكل من كان يمر ومعه كنانة يقول له عليه السلام انثرها لابي طلحة وكان ينظر الي القوم ليرى ماذا يفعلون فيقول له أبو طلحة يا نبي الله بابي انت وأمي لا تنظر يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك وممن ثبت سعد بن أبي وقاص فكان عليه السلام يقول له ارم سعد فداك ابي وأمي ومنهم سهل بن حنيف وكان من مشاهير الرماة نضح عن رسول الله بالنبل حتى انفرج عنه الناس (ومنهم) أبو دجانة سماك بن خرشة الانصارى تترس على رسول الله فصار النبل يقع على ظهره وهو منحن حتى كثر فيه (وكان) يقاتل عن الرسول زيادة بن الحارث حتي أصابت الجراح

مقاتله فأمر به فأدنى منه ووسده قدمه حتى مات وقد أصابه عليه السلام
شدائد عظيمة تحملها بما أعطاه الله من الثبات فقد أقبل أبى بن خلف يريد
قتله فأخذ عليه السلام الحربة ممن كانوا معه وقال خلوا طريقه فلما اقرب
منه ضربه ضربة كانت سبب هلاكه وهو راجع ولم يقتل رسول الله غيره
لا في هذه الغزوة ولا في غيرها (وكان) أبو عامر الراهب قد حفر حفرا
وغطاها ليقع فيها المسلمون فوقع الرسول في حفرة منها فأغمى عليه وخدشت
ركبتاه فأخذ على بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله وهما ممن ثبت حتى استوى
قائما فرماه عتبة بن أبى وقاص بحجر كسر رباعيته فتبعه حاطب بن أبى
بلتعة فقتله وشج وجهه عليه السلام عبد الله بن شهاب الزهرى وجرحت
وجنتاه بسبب دخول حلقتي المغفر فيهما من ضربة ضربه بها ابن قمئة غضب
الله عليه فجاء أبو عبيدة وعالج الحلقتين حتى نزعهما فكسرت في ذلك ثنيتاه
وقال حينئذ عليه السلام كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم فأنزل الله في
سورة آل عمران (ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم
ظالمون) وكان أول من عرف رسول الله بعد هذه الدهشة كعب بن مالك
الانصاري فنادى يامعشر المسلمين ابشروا فأشار اليه الرسول أن اصمت ثم
سار بين سعد بن أبى وقاص وسعد بن عبادة يريد الشعب ومعه جمع منهم
أبو بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير والحارث بن الصمة وأقبل عليه إذ ذاك عثمان
ابن عبد الله بن المغيرة يقول أين محمد لا نجوت ان نجا فعثر به فرسه ووقع
في حفرة فمشى اليه الحارث بن الصمة وقتله ولما وصل الشعب جاءت فاطمة
فغسلت عنه الدم وكان على يسكب الماء ثم أخذت قطعة من حصير فأحرقتها

ووضعتها على الجرح فاستمسك الدم ثم أراد عليه السلام أن يعلو الصخرة التي في الشعب فلم يمكنه القيام لكثرة ما نزل من دمه فحمله طلحة بن عبيد الله حتى أصعده فنظر إلى جماعة من المشركين على ظهر الجبل فقال لا ينبغي لهم أن يعلونا اللهم لاقوة لنا الا بك ثم أرسل اليهم عمر بن الخطاب في جماعة فأنزلوهم (وقد) أصاب المسلمين الذين كانوا يحوطون رسول الله كثير من الجراحات لان الشخص منهم كان يتلقى السهم خوفاً أن يصل للرسول فوجد بطلحة نيف وسبعون جراحة وشلت يده وأصاب كعب بن مالك سبع عشرة جراحة أما القتلى فكانوا نيفاً وسبعين منهم ستة من المهاجرين والباقون من الانصار (ومن) المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير ومن الانصا حنظلة بن أبي عامر وعمرو بن الجموح وابنه خلاد بن عمرو وأخو زوجه والد جابر بن عبد الله فأتت زوج عمرو هند بنت حرام وحملتهم زوجها وابنها وأخاها على بعير لتدفنهم بالمدينة فنهي عليه السلام عن الدفن خارج أحد فرجعوا (وقتل) سعد بن الربيع وأرسل عليه السلام من يأتيه بخبره فوجده بين القتلى وبه رمق فقيل له ان رسول الله يسأل عنك فقال لمبلغه قل لقومي يقول لكم سعد بن الربيع الله الله وما عاهد تم عليه رسوله ليلة العقبة فوالله ما لكم عندي عذر وقتل أنس بن النضر عم أنس بن مالك فانه لما سمع بقتل رسول الله قال ياقوم ما تصنعون بالبقاء بعده موتوا على ما مات عليه اخوانكم فلم يزل يقاتل حتى قتل رضي الله عنه ومثلت قريش بقتلى أحد حتى ان هندا زوج أبي سفيان بقرت بطن حمزة وأخذت كبده لتأكلها فلا كتها ثم أرسلتها وفعلوا قريباً من ذلك باخوانه الشهداء ثم ان أبا سفيان صعد الجبل ونادى باعلى صوته نعمت فعال ان الحرب

سجال يوم بيوم بدر وموعدكم بدالعام المقبل ثم قال انكم ستجدون في قتلاكم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني. ثم ان المشركين رجعوا الى مكة ولم يعرجوا على المدينة وهذا مما يدل على أن المسلمين لم ينهزموا في ذلك اليوم والا لم يكن بد من تعقب المشركين لهم حتى يغيروا على مدينتهم ثم تفقد عليه السلام القتلى وحزن على عمه حمزة حزناً شديداً ودفن الشهداء كلهم باحد كل شهيد بثوبه الذي قتل فيه وكان يدفن الرجلين والثلاثة في لحد واحد لما كان عليه المسلمون من التعب فكان يشق عليهم أن يحفروا لكل شهيد حفرة ولما رجع المسلمون الى المدينة سخر بهم اليهود والمنافقون وأظهروا مافي قلوبهم من البغضاء وقالوا لاخوانهم (لو كانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا)

وهذا الذى ابتلى به المسلمون درس مهم لهم يذكرهم بأمرين عظيمين تركهما المسلمون فاصيبوا أولهما طاعة الرسول في أمره فقد قال للرماة لا تبرحوا من مكانكم ان نحن نصرنا أو قهرنا فعصوا أمره ونزلوا الثانى أن تكون الاعمال كلها لله غير منظور فيها لهذه الدنيا التى كثيرا ماتكون سبباً فى مصائب عظيمة وهؤلاء أرادوا عرض الدنيا والتهوا بالغنائم حتي عوقبوا وفي ذلك أنزل الله فى سورة آل عمران التى فصلت غزوة أحد (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ماأراكم ماتحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) فسبب هذا الابتلاء التنازع فينبغي الاتفاق : والفشل فينبغى الثبات : والعصيان فينبغى طاعة الرئيس نسأل الله التوفيق

(غزوة حمراء الاسـد)

لما رجع عليه السلام الى المدينـة أصبح حذراً من رجوع المشركين الي المدينة ليتمموا انتصارهم فنادى فى أصحابه بالخروج خلف العدو وأن لا يخرج إلا من كان معه بالامس فاستجابوا لله والرسول من بعـد ما أصابهم القرح فضمدوا جراحاتهم وخرجوا واللواء معقود لم يحـل فأعطاه على بن أبي طالب وولى على المـدينة ابن أم مكتوم ثم سار الجيش حتى وصـلوا حمراء الاسـد (١) وقد كان ما ظنـه الرسول حقا فان المشركين تلاوموا على ترك المسلمين من غير شن الغارة على المدينة حتي يتم لهم النصر فأصروا على الرجوع ولـكن لما بلغهم خروج الرسول فى أثرهم ظنوا أنه قد حضر معه من لم يحضر بالامس وألقى الله الرعب فى قلوبهم فتمادوا في سـيرهم الى مكة وظفر عليـه السـلام وهم فى حمراء الاسد بابي عزة الشاعر الذي من عليه ببدر بعـد ان تعهد أن لا يكون على المسلمين فامر بقتله فقال يا محمد أقلنى وامنن على ودعنى لبناتي وأعطيك عهدا أن لا أعود لمثل ما فعلت فقال عليه السلام لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خـدعت محـمدا مرتين لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين اضرب عنقه يا زيد فضرب عنقه وفى هذا تأديب عظيم من صاحب الشرع الشريف فان الرجل الذي لا يحترز مما أصيب منه ليس بعاقل فلا بد من الحزم لاقامة دعائم الملك

(حوادث)

وفى هذه السنة زوج عليه السـلام بنته أم كلثوم لعثمان بن عفان بعـد أن ماتت رقية عنده ولذلك كان يسمي ذا النورين (وفيها) تزوج عليه السـلام

---

(١) موضع على ثمانية اميال من المدينة في طريق مكة

حفصة بنت عمر بن الخطاب وأمها أخت عثمان بن مظعون وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمى رضى الله عنه فتوفى عنها بجراحة أصابته ببدر وفيها تزوج عليه السلام زينب بنت خزيمة الهلالية من بني هلال ابن عامر كانت تدعى في الجاهلية أم المساكين لرأفتها واحسانها اليهم وكانت قبله تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها بأحد وهي أخت ميمونة بنت الحارث لامها وفيها ولد الحسين بن على رضي الله عنهما وفيها حرمت الخمر وكان تحريمها بالتدريج لما كان عليه العرب في المحبة الشديدة لها فيصعب اذاً تحريمها دفعة واحدة وكان ذلك التحريم تابعاً لحوادث تنفرعنها لان المنكر اذا أسند تحريمه لحادثة أقر الجميع على تقبيحها كان ذلك أشد تأثيرا فى النفس فأول ما بين فيها قوله تعالى في سورة البقرة (يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس) فمنفعة الميسر التصدق بربحه على الفقراء كما كانت عادة العرب ومنفعة الخمر تقوية الجسم ولما شربها بعض المسلمين وخلط في القراءة حرمت الصلاة على السكران فقال تعالى فى سورة النساء (ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ولما حدث من شربها اعتداء بعض المسلمين على اخوانهم حرمت قطعيا بقوله تعالى فى سورة المائدة (ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب (١) والازلام (٢) رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) وقد

---

(١) هى حجارة تصب عليها دماء الذبح وتعبد (٢) هى القداح التي كانوا يستقسمون بها وفى قرن الخمر والميسر بالانصاف والازلام نهاية التنفير ولذلك قال عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن

أجاب المسلمون على ذلك بقولهم انتهينا فليجب المسلمون الآن

﴿ السنة الرابعة ﴾

في بدء السنة الرابعة بلغ رسول الله أن طليحة وسلمة ابني خويلد الاسديين يدعوان قومهما بني أسد لحربه عليه السلام فدعا أبا سلمة بن عبد الاسد المخزومي وعقد له لواء وقال له سر حتى تنزل أرض بني أسد بن خزيمة فأغر عليهم وأرسل معه رجالا فسار في هلال المحرم حتى بلغ قطناً (١) فأغار عليهم فهربوا عن منازلهم ووجد أبو سلمة إبلا وشاء فأخذها ولم يلق حربا ورجع بعد عشرة أيام من خروجه (وفي) بدئها أيضا بلغه عليه السلام أن سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي المقيم بعرنة (٢) يجمع الجموع لحربه فأرسل له عبد الله بن أنيس الجهني وحده ليقتله فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتقول حتى يتمكن فأذن له وقال انتسب لخزاعة فخرج لخمس خلون من المحرم ولما وصل اليه قال له سفيان ممن الرجل قال من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئت لاكون معك فقال له أجل اني لفي الجمع له فمشى عبد الله معه وحدثه وسفيان يستحلي حديثه فلما انتهى الى خبائه تفرق الناس عنه فجلس معه عبد الله حتى نام فقام وقتله ثم ارتحل حتى أتي المدينة ولم يلحقه الطلب وكفى الله المؤمنين القتال

﴿ سرية ﴾

وفي صفر أرسل عليه الصلاة والسلام عشرة رجال عيونا على قريش مع رهط عضل والقارة الذين جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبون من يفقههم في الدين وأمر عليهم عاصم بن ثابت الانصاري فخرجوا يسيرون الليل ويكمنون

---

(١) جبل لبني اسد بناحية فيد شرقي المدينة (٢) موضع قريب من عرفات

النهار حتى اذا كانوا بالرجيع (١) غدر بهم أولئك الرهط ودلوا عليهم هذيلا قوم سفيان بن خالد الهذلي الذي كان قتله عبد الله بن أنيس فنفروا اليهم فيما يقرب من مائتي رام واقتفوا آثارهم حتى قربوا منهم فلما أحس بهم رجال السرية لجؤا إلى جبل هناك فقال لهم الاعداء انزلوا ولكم العهد أن لا نقتلكم فنزل اليهم ثلاثة اغتروا بعهدهم وقاتلهم الباقون ومعهم عاصم غير راضين بالنزول في ذمة مشرك ولما رأى الثلاثة الذين سلموا عين الغدر امتنع احدهم فقتلوه وأما الاثنان فباعوهما بمكة ممن كان له ثار عند المسلمين وهناك قتلا وقد قال أحدهما وهو خبيب بن عدي حين أرادوا قتله

ولست أبالي حين أقتل مسلما ... على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الاله وان يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

﴿ سرية ﴾

في صفر وفد على رسول الله أبو عامر بن مالك ملاعب الاسنة وهو من رؤس بني عامر فدعاه عليه السلام الى الاسلام فلم يسلم ولم يبعد بل قال اني أرى أمرك هذا حسناً شريفاً ولو بعثت معي رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال عليه السلام اني أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو عامر أنا لهم جار فأرسل معه المنذر بن عمرو في سبعين من أصحابه كانوا يسمون القراء لكثرة ما كانوا يحفظون من القرآن فساروا حتى نزلوا ابئر معونة (٢) فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب إلى عامر بن الطفيل سيد بني عامر

---

(١) ماء لبني هذيل بين مكة وعسفان

(٢) شرقي المدينة بين ارض بني عامر وحرة بني سليم

فلما وصل اليه لم يلتفت الى الكتاب بل عدا على حرام فقتله ثم استصرخ على بقية البعثة أصحابه من بنى عامر فلم يرضوا أن يخفروا جوار ملاعب الاسنة فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم وهم رعل وذكوان وعصية فأجابوه وذهبوا معه حتى اذا التقوا بالقراء أحاطوا بهم وقاتلوهم حتي قتلوهم عن آخرهم بعد دفاع شديد لم يجدهم نفعاً لقلة عددهم وكثرة عدوهم ولم ينج الا كعب بن زيد وقع بين القتلى حتي ظن أنه منهم وعمرو بن أمية كان فى سرح القوم وأبلغ عليه السلام خبر القراء فخطب فى أصحابه وكان فيما قال (ان اخوانكم قد لقوا المشركين وقتلوهم وانهم قالوا ربنا بلغ قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضينا عنه ورضى عنا) وكان وصول خبر هذه السرية وسرية الرجيع فى يوم واحد فحزن عليهم صلى الله عليه وسلم حزناً شديداً وأقام يدعو على الغادرين بهم شهرا فى الصلاة

(غزوة بنى النضير)

يالله ماأسوأ عاقبة الطيش فقد تكون الامة مرتاحة البال هادئة الخواطر حتي تقوم جماعة من رؤسائها بعمل غدر يظنون من ورائه النجاح فيجلب عليهم الشرور ويشتتهم من ديارهم وهذا ماحصل ليهود بنى النضير حلفاء الخزرج الذين كانوا يجاورون المدينة فقد كان بينهم وبين المسلمين عهود يأمن بها كل منهم الآخر ولكن بنو النضير لم يوفوا بهذه العهود حسداً منهم وبغيا فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض من أصحابه فى ديار بنى النضير اذ ائتمر جماعة منهم على قتله بأن يأخذ أحد منهم صخرة ويلقيها عليه من علو فاطلع عليه السلام على قصدهم فرجع وتبعه أصحابه ثم أرسل لهم محمد بن مسلمة

يقول لهم اخرجوا من بلادى فقد هممتم بما هممتم من الغدر (اذ الحزم كل الحزم أن لا يتهاون الانسان مع من عرف منه الغدر)فتهيأ القوم للرحيل فأرسل لهم اخوانهم المنافقون يقولون لا تخرجوا من دياركم ونحن معكم (لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احداً أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون) ولكن اليهود طمعوا بهذا الوعد وتأخروا عن الجلاء فأمر عليه السلام بالتهيؤ لقتالهم فلما اجتمع الناس خرج بهم واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وأعطى رايته علياً أما بنو النضير فتحصنوا في حصونهم وظنوا انها مانعتهم من الله فحاصرهم عليه السلام ست ليال ثم أمر بقطع نخيلهم ليكون أدعى الى تسليمهم فقذف الله في قلوبهم الرعب ولم يروا من عبدالله بن أبى مساعدة بل خذلهم كما خذل بنى قينقاع من قبلهم فسألوا رسول الله أن يجليهم ويكف عن دمائهم وأن لهم ما حملت الابل من أموالهم الا آلة الحرب ففعل وصار اليهود يخربون بيوتهم بأيديهم كيلا يسكنها المسلمون ولما سار اليهود نزل بعضهم بخيبر ومنهم أكابرهم حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق ومنهم من سار الى أذرعات بالشام وأسلم منهم اثنان يامين بن عمرو وأبو سعد بن وهب ولم يخمس رسول الله ما أخذ من بنى النضير فانه فيء لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ومثل هذا يكون لمعدات الحرب وللرسول يطعم منه أهله ولذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كما قال تعالى فى سورة الحشر (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامي والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم)فأعطى عليه السلام من هذا الفيء فقراء

المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم وردوا لاخوانهم من الانصار ما كانوا قد أخذوه منهم أيام هجرتهم وأخذ عليه السلام أرضا يزرعها ويدخر منها قوت أهله عاماً

(غزوة ذات الرقاع)

وفى ربيع الآخر بلغه عليه السلام أن قبائل من نجد يتهيئون لحربه وهم بنو محارب وبنو ثعلبة فتجهز لهم وخرج فى سبعمائة مقاتل وولى على المدينة عثمان بن عفان ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا ديار القوم فلم يجدوا فيها أحدا غير نسوة فأخذهن فبلغ الخبر رجالهم فخافوا وتفرقوا فى رؤوس الجبال ثم اجتمع جمع منهم وجاؤا للحرب فتقارب الناس وأخاف بعضهم بعضا ولما حانت صلاة العصر وخاف عليه السلام أن يغدر بهم الاعداء وهم يصلون صلى بالمسلمين صلاة الخوف فألقى الله الرعب فى قلوب الاعداء وتفرقت جموعهم خائفين منه صلي الله عليه وسلم

ومال الامام البخارى الى أن هذه الغزوة كانت في السنة السابعة وأجمع أهل السير على خلافه

(غزوة بدر الآخرة)

لما أهل شعبان هذا العام كان موعد أبي سفيان فانه بعد انقضاء غزوة أحد قال للمسلمين موعدنا بدر العام المقبل فأجابه الرسول الى ذلك وكان بدر محل سوق تعقد كل عام للتجارة فى شعبان يقيم التجار فيه ثمانياً فلما حل الاجل وقريش مجدبون لم يتمكن أبو سفيان من الايفاء بوعده فأراد أن يخذل المسلمين عن الخروج كيلا يوسم بخلف الوعد فاستأجر نعيم بن مسعود الاشجعي

فيأتي المدينة ويرجف بما جمعه أبوسفيان من الجموع العظيمة فقدم نعيم المدينة وقال للمسلمين (ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) ولم يلتفت عليه السلام لهذا الارجاف اتكالا على ربه بل خرج بألف وخمسمائة من أصحابه واستخلف على المدينة عبدالله بن عبد الله بن أبي ولم يزالوا سائرين حتى أتوا بدراً فلم يجدوا بها احداً لان أباسفيان أشار على قريش بالخروج على نية الرجوع بعد مسير ليلة أو ليلتين ظاناً أن إرجاف نعيم يفيد فيكون المخالف هم المسلمون فسار حتى أتى مجنة وهي سوق معروفة من ناحية مر الظهران فقال لقومه ان هذا عام جدب ولا يصلحنا إلا عام عشب فارجعوا أما المسلمون فأقاموا ببدر لا يشاركهم في تجارته أحد (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) ولما سمع بذلك صفوان بن أمية قال لابي سفيان قد والله نهيتك أن تعد القوم قد اجترؤا علينا ورأوا انا أخلفناهم

« حوادث »

وفي هذا العام ولد الحسين بن على وفيه توفيت زينب بنت خزيمة أم المؤمنين وفيه توفي أبو سلمة رضي الله عنه ابن عمة رسول الله وأخوه من الرضاعة وأول من هاجر الي الحبشة وفيه تزوج عليه السلام أم سلمة هنداً زوج أبى سلمة بعد وفاته

« السنة الخامسة غزوة دومة الجندل » (١)

(١) مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال و بينها و بين طيبة خمس عشرة ليلة

في ربيع الاول من هذا العام بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن جمعاً من الاعراب بدومة الجندل يظلمون من مر بهم وأنهم يريدون الدنو من المدينة فتجهز لغزوتهم وخرج في ألف من أصحابه بعد أن ولى على المدينة سباع ابن عرفطة الغفاري ولم يزل يسير الليل ويكمن النهار حتى قرب منهم فلما بلغهم الخبر تفرقوا فهجم المسلمون على ما شيتهم ورعائهم فاصيب من أصيب وهرب من هرب ثم نزل بساحتهم فلم يلق أحدا وبث السرايا فلم تجد منهم أحدا فرجع عليه السلام غانما وصالح وهو عائد عيينة بن حصن الفزاري وهو الذى كان يسميه عليه السلام الاحمق المطاع لانه كان يتبعه ألف قناة وأقطعه عليه السلام أرضاً يرعي فيها بهمه على بعد ستة وثلاثين ميلا من المدينة لان أرضه كانت قد أجدبت

(غزوة بنى المصطلق)

فى شعبان بلغه عليه السلام أن الحارث بن ضرار سيد بنى المصطلق الذين ساعدوا قريشا على حرب المسلمين في أحد يجمع الجموع لحربه فخرج له عليه السلام فى جمع كثير وولى على المدينة زيد بن حارثه وخرج معه من نسائه عائشة وأم سلمة وخرج معه ناس من المنافقين لم يخرجوا قط فى غزوة قبلها يرجون أن يصيبوا من عرض الدنيا وفي أثناء مسيره عليه السلام التقي بعين بنى المصطلق فسأله عن أحوال العدو فلم يجب فأمر بقتله . ولما بلغ الحارث رئيس الجيش مجيء المسلمين لحربه وانهم قتلوا جاسوسه خاف هو وجيشه خوفاً شديداً حتى تفرق عنه بعضهم ولما وصل المسلمون الى المريسيع (١) تصاف الفريقان للقتال بعد أن عرض عليهم الاسلام فلم يقتلوا افترامو ابالنبل ساعة ثم حمل المسلمون

---

(١) ماء لخزاعة على يوم من الفرع

عليهم حملة رجل واحد فلم يتركوا لرجل من عدوهم مجالا للهرب بل قتلوا عشرة منهم وأسروا باقيهم مع النساء والذرية واستاقوا الابل والشياه وكانت الابل ألفي بعير والشياه خمسة آلاف استعمل الرسول على ضبطها مولاه شقران وعلى الاسرى بريدة وكان في نساء المشركين برة بنت الحارث سيد القوم وقد أخذ من قومها مئتا بيت أسرى وزعت على المسلمين وهنا يظهر حسن السياسة ومنتهى الكرم فان بني المصطلق من أعز العرب دارا فأسر نسائهم بهذه الحال صعب جدا فأراد عليه السلام أن يجعل المسلمين يمنون على النساء بالحرية من تلقاء أنفسهم فتزوج برة بنت الحارث التي سماها جويرية فقال المسلمون أصهار رسول الله لا ينبغي أسرهم في أيدينا فمنوا عليهم بالعتق فكانت جويرية أيمن امرأة على قومها كما قالت عائشة رضي الله عنها وتسبب عن هذا الكرم العظيم وهذه المعاملة الجليلة أن أسلم بنو المصطلق عن بكرة أبيهم وكانوا للمسلمين بعد أن كانوا عليهم وقد حصل في هذه الغزوة نادرتان لولا أن صاحبتهما حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعادتا بالتفريق على المسلمين (فأولاهما) أن أجير العمر ابن الخطاب اختصم مع حليف للخزرج فضرب الاجير الحليف حتى سال دمه فاستصرخ بقومه الخزرج واستصرخ الاجير بالمهاجرين فأقبل الذعر من الفريقين وكادوا يقتتلون لولا أن خرج عليهم رسول الله فقال مابال دعوى الجاهلية (وهي مايقال في الاستغاثة يا لفلان) فأخبر الخبر فقال دعوا هذه الكلمة فانها منتنة ثم كلم المضروب حتى أسقط حقه وبذلك سكنت الفتنة فلما بلغ عبد الله بن أبي هذا الخصام غضب وكان عنده رهط من الخزرج فقال ما رأيت كاليوم مذلة أو قد فعلوها نافرونا في ديارنا والله ما نحن والمهاجرون إلا كما قال الاول سمن

كلبك ياكلك أما والله (لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) ثم التفت الى من معه وقال هـذا ما فعلتم بانفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم بايديكم لتحولوا الى غير داركم ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم غرضاً للمنايا دون محمد فايتمتم أولادكم وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عنده وكان في مجلسه شاب حديث السن قوى الاسلام اسمه زيد بن أرقم فاخبر رسول الله الخبر فتغير وجهه وقال ياغلام لعلك غضبت عليه فقلت ماقلت فقال والله يارسول الله لقد سمعته قال لعله أخطأ سمعك فاستأذن عمر الرسول فى قتل ابن أبي أو أن يأمر أحداً غيره بقتله فنهاه عن ذلك وقال كيف ياعمر اذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ثم أذن بالرحيل فى وقت لم يكن يرتحل فيه حين اشتد الحر يقصد بذلك عليه السلام شغل الناس عن التكلم فى هذا الموضوع فجاءه أسيد بن حضير وسأله عن سبب الارتحال فى هـذا الوقت فقال أوما بلغك ماقال صاحبكم زعم أنه ان رجع الي المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال أنت والله يارسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وأنت العزيز ثم سار عليه السلام بالناس سيرا حثيثا حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الارض حتى وقعوا نياماً وكلم رجال من الانصار عبدالله بن أبي فى أن يطلب من الرسول الاستغفار فلوى رأسه واستكبر وهنا نزل على الرسول سورة المنافقين التي فضحت عبد الله بن أبي واخوانه وصدقت زيد بن أرقم ولما بلغ ذلك عبدالله بن عبدالله بن أبي استاذن رسول الله فى قتل أبيه حذراً من أن يكلف بذلك غيره فيكون عنده من ذلك أضغان وأحقاد فأمره عليه السلام بالاحسان الى أبيه

(حديث الافك)

(النادرة الثانيـة) وهى أفظع من الاولى وأجلب منها للمصائب وهى رمى عائشة الصديقية زوج رسول الله بالافك فاتهموها بصفوان بن المعطل السلمى وذلك أنهم لما دنوا من المدينة أذن عليه السلام ليلة بالرحيل وكانت السيدة قـد مضت لقضاء حاجتها حتي جاوزت الجيش فلمـا قضت شأنها أقبلت الى رحلها فلمست صدرها فاذا عقـدلها من جزع ظفار قـد انقطع فرجعت تلتمس عقـدها فحبسها ابتغاؤه فأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونها فاحتملوا هودجها ظانين أنها فيـه لان النساء كن إذذاك خفافا لم يغشهن اللحم فلم يستنكر القوم خفة الهودج وكانت عائشة جارية حديثة السن فجاءت منزل الجيش بعد أن وجدت عقدها وليس بالمنزل داع ولا مجيب فغلبتها عيناها فنامت وكان الذي يسـير وراء الجيش يفتقـد ضائعه صفوان بن المعطل فأصـبح عند منزلها فعـرفها لانه كان رآها قبل الحجاب فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه وسترت وجههـا بجلبابها فأناخ راحلته وأركبها من غير أن يتكلما بكلـمة ثم انطلق يقـودبها الراحلة حتى وصل الجيش وهو نازل للراحـة فقامت قيـامة أهل الافك وقالوا ما قالوا فى عائشة وصفوان والذى تولى كـبر الافك عبـد الله بن أبي ولمـا قدموا المدينة مرضت عائشة شهراً والناس يفيضون فى قول أهل الافك وهي لا تشعر بشيء وكانت تعرف فى رسول الله رقة اذا مرضت فلم يعطها نصيبا منها فى هذا المرض بل كان يمر على باب الحجـرة لا يزيد على قوله كيف حالـكم مما جعلهـا في ريب عظيم فلمـا نقهت خرجت هي وأم مسطح بن أثاثة أحد أهل الافك للتـبرز خارج البيوت فعثرت

أم مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقالت عائشة بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت ياهنتاه أو لم تسمعى ما قالوا فسألتها عائشة عن ذلك فأخبرتها الخبر فازدادت مرضا على مرضها ولما جاءها عليه السلام كعادته استاذنته أن تمرض فى بيت أبيها فاذن لها فسألت أمها عما يقول الناس فقالت يابنية هونى عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها فقالت عائشة سبحان الله أو قد تحدث الناس بهذا وبكت تلك الليلة حتي أصبحت لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم وفي خلال ذلك كان عليه السلام يستشير كبار أهل بيته فيما يفعل فقال له أسامة بن زيد لما يعلمه من براءة عائشة أهلك ولا نعلم عليهم الا خيرا وقال على بن ابي طالب لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك فدعا عليه السلام بريرة جارية عائشة وقال لها هل فرأيت من شيء يريبك فقالت والذى بعثك بالحق مارأيت عليها أمرا قط أغمصه غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجينها فتأتى الداجن فتأكله فقام عليه السلام من يومه وصعد المنبر والمسلمون مجتمعون وقال من ان يعذرني من رجل قد بلغنى أذاه فى أهلى والله ماعلمت على أهلى الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خير وما يدخل على اهلى الا معي فقال سعد بن معاذ أنا يارسول الله أعذرك منه فان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن عبادة الخزرجى وقال كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أنه يقتل فقام أسيد بن حضير وقال لسعد بن عبادة

كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين وكادت تكون فتنة بين الاوس والخزرج لولا أن رسول الله نزل من فوق المنبر وخفضهم حتى سكتوا أما عائشة فبقيت ليلتين لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم: وبينما هي مع أبويها اذ دخل النبى عليه السلام فسلم ثم جلس فقال أما بعد ياعائشة انه بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف وتاب تاب الله عليه فتقلص دمع عائشة وقالت لابويها أجيبا رسول الله فقالا والله ماندرى ما نقول فقالت انى والله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم انى بريئة لا تصدقونى ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنى منه بريئة لتصدقني فوالله لا أجد لى ولكم مثلا إلا أبا يوسف قال (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)

ثم تحولت واضطجعت على فراشها ولم يزاول رسول الله صلي الله عليه وسلم مجلسه حتي نزلت عليه الآيات من سورة النور ببراءة السيدة المطهرة عائشة الصديقية (إن الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لاتحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم: لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين: لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون. ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم: ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون

لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم: يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً ان كنتم مؤمنين: ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم: ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون: ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم) فسرى عن رسول الله وهو يضحك وبشر عائشة بالبراءة فقالت لها أمها قومى فاشكرى رسول الله فقالت لا والله لا أشكر الا الله الذى برأنى وبعد ذلك أمر عليه السلام بأن يجلد من صرح بالافك ثمانين جلدة وهي حد القاذف وكانوا ثلاثة حمنة بنت جحش ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وكان أبو بكر ينفق على مسطح ابن أثاثة لقرابته منه فلما تكلم بالافك قطع عنه النفقة فأنزل الله (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فقال أبو بكر بل نحب ذلك يارسول الله وأعاد النفقة على مسطح فهذه مضار المنافقين الذين يدخلون بين الامم مظهرين لهم المحبة وقلوبهم مملوءة حقدا يتربصون الفتن فمتى رأوا بابا لها ولجوه فنعوذ بالله منهم

(غزوة الخندق)

لم يقر لعظماء بنى النضير قرار بعد جلائهم عن ديارهم وارث المسلمين لها بل كان فى نفوسهم دائما أن يأخذوا ثأرهم ويستردوا بلادهم فذهب جمع

منهم الى مكة وقابلوا رؤساء قريش وحرضوهم على حرب رسول الله ومنوهم المساعدة فوجدوا منهم قبولا لما طلبوه ثم جاؤا الى قبيلة غطفان وحرضوا رجالها كذلك وأخبروهم بمبايعة قريش لهم على الحرب فوجدوا منهم ارتياحا فتجهزت قريش وأتباعها يرأسهم أبو سفيان ويحمل لواءهم عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة العبدري وعددهم أربعة آلاف معهم ثلاثمائة فرس وألف بعير وتجهزت غطفان يرأسهم عيينة بن حصن الذى جازى إحسان رسول الله كفرا فانه كما قدمنا أقطعه أرضا يرعى فيها سوائمه حتى اذا سمن خفه وحافره قام يقود الجيوش لحرب من أنعم عليه وكان معه ألف فارس وتجهزت بنو مرة يرأسهم الحارث بن عوف المري وهم أربعمائة وتجهزت بنو أشجع يرأسهم أبو مسعود بن رخيلة وتجهزت بنو سليم يرأسهم سفيان بن عبد شمس وهم سبعمائة وتجهزت بنو أسد يرأسهم طليحة بن خويلد الاسدى وعدة الجميع عشرة آلاف محارب قائدهم العام أبو سفيان ولما بلغه عليه السلام أخبار هاته التجهيزات استشار أصحابه فيما يصنع أيمكث بالمدينة أم يخرج للقاء هذا الجيش الجرار فأشار عليه سلمان الفارسي بعمل الخندق وهو عمل لم تكن العرب تعرفه فأمر عليه السلام المسلمين بعمله وشرعوا فى حفره شمالى المدينة من الحرة الشرقية الى الحرة الغربية وهذه هي الجهة التي كانت عورة تؤتى المدينة من قبلها أما بقية حدودها فمشتبكة بالبيوت والنخيل لا يتمكن العدو من الحرب جهتها وقد قاسي المسلمون صعوبات جسيمة فى حفر الخندق لانهم لم يكونوا فى سعة من العيش حتي يتيسر لهم العمل وعمل معهم عليه الصلاة والسلام فكان ينقل التراب متمثلا بشعر ابن رواحة

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الاقدام إن لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا وان أرادوا فتنة أبينا

وأقام الجيش فى الجهة الشرقية مسندا ظهره الي سلع وهو جبل مطل على المدينة وعدتهم ثلاثة آلاف وكان لواء المهاجرين مع زيد بن حارثة ولواء الانصار مع سعد بن عبادة أما قريش فنزلت بمجمع الاسيال وأما غطفان فنزلت جهة أحد وكان المشركون معجبين بمكيدة الخندق التي لم تكن العرب تعرفها فصاروا يترامون مع المسلمين بالنبل ولما طال المطال عليهم أكره جماعة منهم افراسهم على اقتحام الخندق منهم عكرمة بن أبي جهل وعمرو بن ود وآخرون وقد برز على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لعمرو بن ود فقتله وهرب اخوانه وهوى فى الخندق نوفل بن عبد الله فاندقت عنقه (ورمي) سعد بن معاذ رضي الله عنه بسهم قطع أكحله وهو شريان الذراع واستمرت المناوشة والمراماة بالنبل يوما كاملا حتى فاتت المسلمين صلاة ذاك اليوم وقضوها بعد وجعل عليه السلام على الخندق حراسا حتى لا يقتحمه المشركون بالليل وكان يحرس بنفسه ثلمة فيه مع شدة البرد وكان عليه السلام يبشر أصحابه بالنصر والظفر ويعدهم الخير أما المنافقون فقد أظهروا فى هذه الشدة ما تكنه ضمائرهم حتى قالوا (ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) وانسحبوا قائلين ان بيوتنا عورة نخاف أن يغير عليها العدو (وماهى بعورة ان يريدون الا فرارا) واشتدت الحال بالمسلمين فان هذا الحصار صاحبه ضيق على فقراء المدينة والذى زاد الشدة عليهم ما بلغهم

من أن يهود بني قريظة الذين يساكنونهم في المدينة قد انتهزوا هذه الفرصة لنقض العهود وسبب ذلك أن حيي بن أخطب سيد بنى النضير المجلين توجه الى كعب بن أسد القرظي سيد بنى قريظة وكان له كالشيطان اذ قال للانسان اكفر فحسن له نقض العهد ولم يزل به حتى أجابه لقتال المسلمين ولما بلغت هذه الاخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل مسلمة بن أسلم فى مائتين وزيد بن حارثة فى ثلاثمائة لحراسة المدينة خوفا على النساء والذرارى وأرسل الزبير بن العوام يستجلي له الخبر فلما وصلهم وجدهم حانقين يظهر على وجوههم الشر ونالوا من رسول الله والمسلمين أمامه فرجع وأخبر الرسول بذلك وهنالك اشتد وجل المسلمين وزلزلوا زلزالا شديدا لان العدو جاءهم من فوقهم ومن أسفل منهم وزاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وظنوا بالله الظنون وتكلم المنافقون بما بدالهم فأراد عليه السلام أن يرسل لعيينة بن حصن ويصالحه على ثلث ثمار المدينة لينسحب بغطفان فأبي الانصار ذلك قائلين انهم لم يكونوا ينالون منا قليلا من ثمرنا ونحن كفار أفبعد الاسلام يشاركوننا فيها واذا أراد الله العناية بقوم هيأ لهم أسباب الظفر من حيث لا يعلمون فانظر الى هذه العناية من الله بالمتمسكين بدينه القويم جاء نعيم بن مسعود الاشجعى وهو صديق قريش واليهود ومن غطفان فقال يارسول الله انى قد أسلمت وقومى لا يعلمون باسلامي فمرنى بأمرك حتى أساعدك فقال أنت رجل واحد وماذا عسى أن تفعل ولكن خذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة

﴿الخدعة فى الحرب﴾

فخرج من عنده وتوجه الى بنى قريظة الذين نقضوا عهود المسلمين فلما

رأوه أكرموه لصداقته معهم فقال يابني قريظة تعرفون ودي لكم وخوفي عليكم واني محدثكم حديثاً فاكتموه عني قالوا نعم فقال لقد رأيتم ماوقع لبني قينقاع والنضير من اجلائهم وأخذ أموالهم وديارهم وان قريشا وغطفان ليسوا مثلكم فهم اذا رأوا فرصة انتهزوها والا انصرفوا لبلادهم وأما أنتم فتساكنون الرجل (يريد الرسول) ولا طاقة لكم بحربه وحدكم فأرى أن لا تدخلوا في هذه الحرب حتى تستيقنوا من قريش وغطفان انهم لن يتركوكم ويذهبوا الى بلادهم بأن تأخذوا منهم رهائن سبعين شريفا منهم فاستحسنوا رايه وأجابوه الى ذلك ثم قام من عندهم وتوجه الى قريش فاجتمع برؤسائهم وقال أنتم تعرفون ودي لكم ومحبتي اياكم واني محدثكم حديثاً فاكتموه عني قالوا نفعل فقال لهم ان بني قريظة قد ندموا على مافعلوه مع محمد وخافوا منكم أن ترجعوا وتتركوهم معه فقالوا له أيرضيك أن نأخذ جمعا من اشرافهم ونعطيهم لك وترد جناحنا الذي كسرت (يريد بني النضير) فرضي بذلك منهم وهاهم مرسلون اليكم فاحذروهم ولا تذكروا مما قلت لكم حرفاً ثم أتى غطفان فاخبرهم بمثل ماأخبر به قريشا فارسل أبو سفيان وفداً لقريظة يدعوهم للقتال غداً فاجابوا انا لا يمكننا أن نقاتل في السبت (وكان ارساله لهم ليلة سبت) ولم يصبنا ماأصابنا الا من التعدي فيه ومع ذلك فلا نقاتل حتى تعطونا رهائن منكم حتى لا تتركونا وتذهبوا الى بلادكم فتحققت قريش وغطفان كلام نعيم بن مسعود وتفرقت القلوب فخاف بعضهم بعضا وكان عليه السلام قد ابتهل الى الله الذي لا ملجأ الا اليه ودعاه بقوله (اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم) وقد أجاب الله

دعاءه عليه السلام فارسل على الاعداء ريحا باردة في ليلة مظلمة فخاف العرب أن تتفق اليهود مع المسلمين ويهجموا عليهم في الليلة المدلهمة فاجمعوا أمرهم على الرحيل قبل أن يصبح الصباح ولما سمع عليه السلام الضوضاء في جيش العدو قال لاصحابه لابد من حادث فمن منكم ينظر لنا خبر القوم فسكتوا حتي كرر ذلك ثلاثا وكان فيهم حذيفة بن اليمان فقال عليه السلام تسمع صوتي منذ الليلة ولا تجيب فقال يارسول الله البرد شديد فقال اذهب في حاجة رسول الله واكشف لنا خبر القوم فخاطر رضي الله عنه بنفسه في خدمة نبيه حتى اطلع علي جلية الخبر وأن الاعداء عازمون على الرحلة

﴿ هزيمة الاحزاب ﴾

وقد بلغ من خوفهم أن كان رئيسهم أبو سفيان يقول لهم ليتعرف كل منكم أخاه وليمسك بيده حذراً من أن يدخل بينكم عدو وقد حل عقال بعيره يريد أن يبدأ بالرحيل فقال له صفوان بن أمية انك رئيس القوم فلا تتركهم وتمضي فنزل أبو سفيان وأذن بالرحيل وترك خالد بن الوليد في جماعة ليحموا ظهور المرتحلين حتي لا يدهموا من ورائهم وأزاح الله عن المسلمين هذه الغمة التى تحزب فيها الاحزاب من عرب ويهود على المسلمين ولولا لطف الله وعنايته بهذا الدين منة منه وفضلا لساءت الحال. وكان جلاء الاحزاب في ذى القعدة وكان حقاً على الله أن يسميه نعمة بقوله في سورة الاحزاب (ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً : إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا

هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا : وإذ قالت طائفة منهم ياأهل يثرب لامقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون الا فرارا)

(غزوة بني قريظة)

ولما رجع عليه السلام بأصحابه وأراد أن يخلع لباس الحرب أمره الله باللحوق ببني قريظة حتى يطهر أرضه من قوم لم تعد تنفع معهم العهود ولا تربطهم المواثيق ولا يأمن المسلمون جانبهم في شدة فقال لاصحابه لا يصلين أحد منكم العصر الا في بني قريظة فساروا مسرعين وتبعهم عليه السلام راكبا على حماره ولواؤه بيد علي بن أبي طالب وخليفته على المدينة عبدالله بن أم مكتوم وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف وقد أدرك جماعة من الاصحاب صلاة العصر في الطريق فصلاها بعضهم حاملين أمر الرسول بعدم صلاتها على قصد السرعة ولم يصلها الآخرون الا في بني قريظة بعد مضي وقتها حاملين الامر على حقيقته فلم يعنف فريقاً منهم (ولما) رأى بنو قريظة جيش المسلمين ألقى الله الرعب في قلوبهم وأرادوا التنصل من فعلتهم القبيحة وهي الغدر بمن عاهدوهم وقت الشغل بعدو آخر ولكن أبى لهم ذلك وقد ثبت للمسلمين غدرهم فلما رأوا ذلك تحصنوا بحصونهم وحاصرهم المسلمون خمسا وعشرين ليلة فلما رأوا أن لامناص من الحرب وانهم ان استمروا على ذلك ماتوا جوعاً طلبوا من المسلمين أن ينزلوا على ما نزل عليه بنوا النضير من الجلاء بالاموال وترك السلاح فلم يقبل الرسول صلى الله عليه وسلم فطلبوا يجلوا بانفسهم من غير سلاح فلم يرض أيضاً بل قال لا بد من النزول والرضا

بما يحكم عليهم خيراً كان أو شراً فقالوا له ارسل لنا أبا لبابة نستشيره وكان أوسياً من حلفاء قريظة له بينهم أولاد وأموال فلما توجه اليهم استشاروه فى النزول على حكم الرسول فقال لهم انزلوا وأومأ بيده الى حلقه يريد ان الحكم الذبح: ويقول أبو لبابة لم أبارح موقفى حتى علمت انى خنت الله ورسوله فنزل من عندهم قاصدا المدينة خجلا من مقابلة رسول الله وربط نفسه في سارية من سوارى المسجد حتى يقضي الله فيه أمره : ولما سأل عنه عليه السلام أخبر بما فعل فقال أما انه لو جاءنى لاستغفرت له أما وقد فعل ما فعل فنتركه حتى يقضى الله فيه : ثم ان بني قريظة لما لم يروا بدا من النزول على حكم رسول الله فعلوا فأمر برجالهم فكتفوا فجاءه رجال من الاوس وسألوه أن يعاملهم كما امل بنى قينقاع حلفاء اخوانهم الخزرج فقال لهم لا يرضيكم أن يحكم فيهم رجل منكم فقالوا نعم واختاروا سيدهم سعد بن معاذ الذى كان جريحا من السهم الذى صيب به فى الخندق وكان مقيما بخيمة فى المسجد معدة لمعاملة الجرحي فأرسل عليه السلام من يأتى به فحملوه على حماره والتف عليه جماعة من الاوس يقولون له أحسن فى مواليك ألا ترى مافعل ابن أبى فى مواليه فقال رضى الله عنه لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم: ولما أقبل على الرسول وأصحابه وهم جلوس قال عليه السلام قوموا الى سيدكم فأنزلوه ففعلوا وقالوا له ان رسول الله قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم وقال له الرسول احكم فيهم يا سعد فالتفت سعد للناحية التى ليس فيها رسول الله وقال عليكم عهد الله وميثاقه أن الحكم كما حكمت فقالوا نعم فالتفت الى الجهة التى فيها الرسول وقال وعلى من هنا كذلك وهو غاض طرفه إجلالا فقالوا نعم قال فانى أحكم أن تقتل

الرجال وتسبوا النساء والذرية فقال عليه السلام (لقد حكمت فيهم بحكم الله ياسعد) لان هذا جزاء الخائن الغادر ثم أمر بتنفيذ الحكم فنفذ عليهم وجمعت غنائمهم فكانت ألفاً وخمسمائة سيف وثلثمائة درع وألفي رمح وخمسمائة ترس وجحفة ووجد اثاثاً كثيراً وآنية وأجمالا تواضح وشياهاً فخمس ذلك كله مع النخل والسبي للراجل ثلث الفارس واعطي النساء اللاتي كن يمرضن الجرحى ووجد في الغنيمة جرار خمر فاريقت وبعد تمام هذا الامر انفجر جرح سعد بن معاذ فمات رضي الله عنه وأرضاه كان في الانصار كابي بكر في المهاجرين وقد كان له العزم الثابت في جميع المشاهد التي تقدمت الخندق وكان عليه السلام يحبه كثيراً وبشره بالجنة على عظيم أعماله (وعقب) رجوع المسلمين الى المدينة تاب الله على لبابة بقوله (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) وقد عاهد الله ان يهجر ديار قريظة التي حصلت فيها هذه الزلة وبتمام هذه الغزوة اراح الله المسلمين من شر مجاورة اليهود الذين تعودوا الغدر والخيانة ولم تبق الا بقية من كبارهم بخيبر مع أهلها وهم الذين كانوا السبب في اثارة الاحزاب وسيأتي للقارىء قريبا اليوم الذي يعاقبون فيه

﴿ زواج زينب بنت جحش ﴾

وفي هذا العام تزوج عليه السلام زينب بنت جحش وأمها أميمة عمته بعد أن طلقها مولاه زيد بن حارثة وكان من أمر زواجها الزيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم خطبها له فتأفف أهلها من ذلك لمكانها في الشرف العظيم فان العرب كانوا يكرهون تزويج بناتهم من الموالى ويعتقدون أن لا كفء من سواهم لبناتهم وزيد وان كان الرسول تبناه ولكن هذا لا يلحقه

بالاشراف فلما نزل قوله تعالى فى سورة الاحزاب (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذاقضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً) لم يروا بدا من القبول فلما دخل عليها زيد أرته من كبريائها وعظمتها مالم يتحمله فاشتكاها لرسول الله فأمره باحتمالها والصبر عليها الى أن ضاقت نفسه فأخبره بالعزم على طلاقها وكرر ذلك . ولما كانت العشرة بين مثل هذين الزوجين ضرباً من العبث أمر الله نبيه أن يتزوج زينب بعد طلاقها حسما لهذا الشقاق من جهة وحفظاً لشرفها أن يضيع بعد زواجها بمولى من جهة أخري ولكن رسول الله خشي من لوم اليهود والعرب له في زواجه بزوج ابنه فقال لزيد أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى فى نفسه ما أبداه الله فبت الله حكمه بابطال هذه القاعدة وهى تحريم زوج المتبنى بقوله في سورة الاحزاب (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذاقضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولا) ثم ان الله حرم التبنى على المسلمين لما فيه من الاضرار وأنزل فيه فى سورة الاحزاب (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما) ومن هذا الحين صار اسم زيد (زيد بن حارثة) بدل (زيد بن محمد) وأبدل بذلك أن ذكر اسمه فى قرآن يتلى على مر الدهور والاعوام : يقول المؤرخون وذوو المقاصد السافلة منهم فى هذه القصة أقوالا لا تجوز الا من ضاع رشده ولم يفقه حقيقة ما يقول فانهم يذكرون أن الرسول

توجه يوما لزيارة زيد فرأى زوجه مصادفة لان الريح رفعت الستر عنها فوقعت فى قلبه فقال سبحان الله فلما جاء زوجها ذكرت له ذلك فرأى من الواجب عليه فراقها فتوجه وأخبر الرسول بعزمه فنهاه عن ذلك الخ وهذا مما يكذبه أن نساء العرب لم تكن قبل ذلك تعرف ستر الوجوه وزينب بنت عمته وأسلمت قديما ورسول الله بمكة فكيف لم يرها وقد مضى على اسلامها نحو عشر سنوات وهى بنت عمته إلا حينما رفعت الريح الستر مصادفة ورسول الله هو الذى زوجها زيداً فلو كان له فيها رغبة حب أو عشق لتزوجها هو ولا مانع يمنعه من ذلك :ومن منا يتصور أن السيد الاكرم يقول لقومه انه مرسل من ربه ويتلو عليهم صباح مساء أمر الله له بقوله فى سورة الحجر المكية (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم) وفى سورة طه المكية أيضاً (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا) ثم هو بعد ذلك يدخل بيت رجل من متبعيه وينظر الى زوجه مصادفة ثم يشتهى زواجها ان هذا لامر عظيم تشعر بذلك صدورنا ولو حدث أمر مثله من أقل الناس لعيب عليه فكيف بمن أجمعت كلمة المؤرخين على أنه أحسن الناس خلقاً وأبعدهم عن الدنايا وأشدهم ذكاء وفراسة حتى مدحه الله بقوله في سورة ن (وإنك لعلي خلق عظيم) لا شك أن هذه الخرافة مما يلتحق بخرافة الغرانيق وضعها أعداء الدين ليصلوا بها الي أغراضهم والحمد لله قد ناقضت النقل والعقل فلم تبق شبهة فى أن الحقيقة ما نقلناه لك أولا وهو الذى يستفاد من القرآن الشريف قال تعالى فى سورة الاحزاب (واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق

الله وتخفى فى نفسك ماالله مبديه وتخشي الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجنا كها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولا) والذى أبداه الله هو زواجه بها ولم يبد غير ذلك وهذا القرآن أعظم شاهد

﴿الحجـاب﴾

وفيه نزلت آية الحجاب وهو خاص بنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر بن الخطاب قبل نزول آيته يحبه ويذكره كثيراً ويود أن ينزل فيه قرآن وكان يقول لو أطاع فيكن ما رأتكن عين فنزل في سورة الاحزاب (واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) فقال بعضهم أننهى أن نكلم بنات عمنا الامن وراء حجاب لئن مات محمد لاتزوجن عائشة فنزل بعد الآية المتقدمة (وماكان لكم أن تؤذوا رسول الله ولو أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما) أما غير أزواجه عليه السلام من المؤمنات فامرن بغض الابصار وحفظ الفروج كما أمر بذلك الرجال وأمرن أن لا يبدين زينتهن للاجانب الاما ظهر منها كالخاتم فى الاصبع والخضاب فى اليد والكحل فى العين أماماخفى منها فلايحل ابداؤه كالسوار للذراع والدملج للعضد والخلخال للرجل والقلادة للعنق والاكليل للرأس والوشاح للصدر والقرط للاذن والمراد بالزينة الظاهرة والخفية موضعها وأمرن أيضاً بان يضربن بخمرهن على الجيوب كيلا تبقى صدورهن مكشوفة فان النساء اذذاك كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وماحواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن ونهين عن أن يضربن

بأرجلهن ليعلم أنهن ذوات خلخال واذا كان النهي عن اظهار صوت الحلى بعدما نهينا عن اظهار الحلى علم بذلك أن النهى عن اظهار مواضع الحلى أبلغ وأبلغ قال تعالى فى سورة النور (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وكان النساء فى أول الاسلام كما كن في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة فى درع وخمار لا فرق بين الحرة والامة وكان الفتيان وأهل الشطارة يتعرضون للاماء اذا خرجت بالليل الى مقاضي حوائجهن فى النخيل والغيطان وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون حسبناها أمة فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زي الاماء بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ليغطي الوجه والاعطاف ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع قال تعالى فى سورة الاحزاب (ياأيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيما) أما حجب المرأة عمن يريد خطبتها فهو أمر لم يكن يفعل فى عهد الرسول صلي الله عليه وسلم ولا فى عهد السلف الصالح فان الشارع الحكيم سن ذلك ليكون الرجل على علم مما يقدم عليه حتى يتم الوفاق والوئام بين الزوجين فى أمر أجمع عليه أئمة الدين قال حجة الاسلام الغزالى فى الاحياء (وقد ندب الشرع الى مراعاة أسباب الالفة ولذلك استحب

النظر فقال اذا أوقع الله فى نفس أحدكم من امرأة فلينظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينهما أى يؤلف بينهما من وقوع الادمة على الادمة وهي الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة وانما ذكر ذلك للمبالغة فى الائتلاف وقال عليه السلام (ان فى أعين الانصار شيئاً فاذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر اليهن) قيل كان فى أعينهن عمش وقيل صغر وكان بعض الصالحين لاينكحون كرائمهم الا بعد النظر احترازا من الغرور وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم ولا يبعد أن يكون فساد الزمن والابتعاد عن التربية الدينية التى تسوق الى مكارم الاخلاق قد حسا عند عامة المسلمين في العصور الاولى حجب المرأة مطلقا حسما للمفاسد ودرءا للفتنة

﴿ فرض الحج ﴾

وفي هذا العام على ماعليه الاكثرون فرض الله على الامة الاسلامية حج البيت من استطاع اليه سبيلا ليجتمع المسلمون من جميع الاقطار فيتجهوا الى الله ويبتهلوا اليه أن يؤيدهم بنصره ويعينهم على اتباع دينه القويم وفى ذلك من تقوية الرابطة واتحاد القلوب ما فيه للمسلمين الفائدة العظمى

(السنة السادسة)

(سرية)

ولعشر خلون من محرم السنة السادسة أرسل عليه السلام محمد بن مسلمة فى ثلاثين راكبا لشن الغارة على بنى بكر بن كلاب الذين كانوا نازلين بناحية ضرية (١) فسار اليهم يكمن النهار ويسير الليل حتى دهمهم فقتل

---

(١) موضع على سبع ليال من المدينة في طريق البصرة

منهم عشرة وهرب باقيهم فاستاقت السرية النعم والشياه وعادوا راجعين الى المدينة وقد التقوا وهم عائدون بثمامة بن أثال الحنفي من عظماء بني حنيفة فأسروه وهم لا يعرفونه فلما أتوا به رسول الله عرفه وعامله بمنتهى مكارم الاخلاق فانه أطلق أساره بعد ثلاث أبى فيها الانقياد للاسلام بعد أن عرض عليه ولما رأى ثمامة هذه المعاملة وهذه المكارم رأى من العبث أن يتبع هواه ويترك دينا عماده المحامد فرجع الى رسول الله وأسلم غير مكره وخاطب الرسول بقوله (يا محمد والله ما كان على الارض من وجه أبغض الى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها الى والله ما كان على الارض من دين أبغض الى من دينك فقد أصبح أحب الدين كله الى والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك فقد أصبح أحب البلاد الى) فسر عليه السلام كثيرا باسلامه لان من ورائه قوما يطيعونه ولما رجع ثمامة الى بلاده مر بمكة معتمرا وأظهر فيها اسلامه فأرادت قريش ايذاءه فذكروا احتياجهم لحبوب اليمامة التى منها ثمامة فتركوه ومع ذلك فقد حلف هو أن لا يرسل اليهم من اليمامة حبوبا حتى يؤمنوا فجهدوا جهدا ولم يروا بدا من الاستغاثة برسول الله فعاملهم عليه السلام بما جبل عليه من الشفقة والارحمة وأرسل لثمامة ان يعيد عليهم ما كان يأتيهم من أقوات اليمامة ففعل وقد كان لهذا الرجل الكريم الاصل قدم راسخة فى الاسلام عقب وفاة الرسول حينما ارتد أكثر أهل بلاده فكان ينهى قومه عن اتباع مسيلمة ويقول لهم اياكم وأمرا مظلما لا نور فيه وانه لشقاء كتبه الله على من اتبعه فثبت معه كثير من قومه رضى الله عنه

(غزوة بنى لحيان)

بنو لحيـان هم الذين قتلوا عاصم بن ثابت واخوانه ولم يزل رسول الله حزينا عليهم متشوفا للقصاص من عدوهم حتى ربيع الاول من هذه السنة فأمر أصحابه بالتجهز ولم يظهر لهم مقصده كما هى عادته عليه السلام فى غالب الغزوات لتعمى الاخبار عن الاعـداء وولي على المدينـة أم مكتوم وسار فى مائتى راكب معهن عشرين فرسا ولم يزل سائرا حتي مقتل أصحاب الرجيع فترحم عليهم ودعا لهم ولما سمع به بنو لحيـان تفرقوا فى الجبـال فأقام عليـه السلام بديارهم يومين يبعث السرايا فلا يجـدون أحـدا ثم أرسل بعضا من أصحابه ليأتوا عسفان (١) حتى يعلم بهم أهل مكة فيداخلهم الرعب فذهبوا الى كراع الغميم (٢) ثم رجع عليه السلام الى المدينة وهو يقول (آيبون تائبون لربنا حامدون أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الأهل والمال)

(غزوة الغابة)

كان للنبي عليه السلام عشرون لقحة ترعى بالغابة (٣) فأغار عليها عيينة ابن حصن فى أربعين راكبا واستلبها من راعيها فجاءت الاخبار رسول الله عليـه الصلاة والسلام والذي بلغه هو سلمة بن الاكوع أحـد رماة الانصار وكان عداء فأمره الرسول بأن يخرج فى أثر القوم ليشغلهم بالنبل حتى يدركهم المسلمون فخرج يشتد في أثرهم حتى لحقهم وجعل يرميهم بالنبل فاذا وجهت الخيل نحوه رجع هاربا فلا يلحق فاذا دخلت الخيل بعض المضايق علا الجبـل فرمى عليها الحجارة حتى ألقوا كثيرا مما بأيديهم من الرماح والابراد ليخففوا عن

---

(١) موضع قرب مكة (٢) جبل جنوب عسفان بثمانية اميال

(٣) موضع على بريد من المدينة جهة غطفان

أنفسهم حتى لا يلحقهم الجيش ولم يزل سلمة على ذلك حتي تلاحق به الجيش فان الرسول دعا أصحابه فاجابوه وأول من انتهي اليه المقداد بن الاسود فقال له اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك وأعطاه اللواء فخرج وتبعته الفرسان حتى أدركوا أواخر العدو فحصلت بينهم مناوشات قتل فيها مسلم ومشركان واستنقذ المسلمون غالب اللقاح وهرب أوائل القوم بالبقية وطلب سلمة ابن الاكوع من رسول الله أن يرسله مع جماعة في أثر القوم ليأخذهم على غرة وهم نازلون على أحد مياههم فقال له عليه السلام (ملكت فأسجح) ثم رجع بعد خمس ليال

﴿ سرية ﴾

كان بنوا أسد الذين مر ذكرهم كثيرا مايؤذون من يمر بهم من المسلمين فارسل لهم عليه السلام عكاشة بن محصن في أربعين راكبا ليغير عليهم ولما قارب بلادهم علموا به فهربوا وهناك وجدوا رجلا نائما فأمنوه ليدلهم علي نعم القوم فدلهم عليها فاستاقوها وكانت مائة بعير ثم قدموا المدينة ولم يلقوا كيداً.

(سرية)

وفى ربيع الاول بلغه عليه السلام أن من بني القصة (١) يريدون الاغارة على نعم المسلمين التى ترعي بالهيفاء (٢) فارسل لهم محمد بن مسلمة فى عشرة من المسلمين فبلغ ديارهم ليلا وقد كمن لهم المشركون حينما علموا بهم فنام المسلمون ولم يشعروا الا والنبل قد خالطهم فتواثبوا علي أسلحتهم ولكن تغلب عليهم الاعداء فقتلوهم

---

(١) موضع على اربعة وعشرين ميلا من المدينة فى طريق الربذة (٢) موضع قرب المدينة

غير محمد بن مسلمة تركوه لظنهم أنه قتل فعاد الى المدينة وأخبر الرسول عليه السلام فارسل أباعبيدة عامر بن الجراح فى ربيع الآخر ليقتص من الاعداء فلما وصل ديارهم وجدهم تشتتوا هاربين فاستاق نعمهم ورجع

(سرية)

عاكس بنو سليم الذين كانوا من المتحزبين فى غزوة الخندق المسلمين فى سيرهم فأرسل عليه السلام زيد بن حارثة فى ربيع الآخر ليغير عليهم فى الجموم (١) فلما بلغوا ديارهم وجدوهم تفرقوا ووجدوا هنالك امرأة من مزينة دلتهم على منازل بنى سليم فاصابوا بها نعما وشاء ووجدوا رجالا أسروهم وفيهم زوج تلك المرأة فرجعوا بذلك الى المدينة فذهب الرسول لهذه المرأة نفسها وزوجها

﴿سرية﴾

بلغ الرسول أن عيراً لقريش أقبلت من الشام تريد مكة فأرسل لها زيد ابن حارثة فى مائة وسبعين راكباً ليعترضها فأخذها وما فيها وأسر من معها من الرجال وفيهم أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله وكان من رجال مكة المعدودين تجارة ومالا وأمانة فاستجار بزوجه زينب فأجارته ونادت بذلك فى مجمع قريش فقال عليه السلام (المسلمون يد واحدة يجير عليهم أدناهم وقد أجرنا من أجرت) وهذا أبلغ ماقيل فى المساواة بين أفراد المسلمين ورد عليه الرسول ماله بأسره لا يفقد منه شيئاً فذهب الى مكة فأدي لكل ذى حق حقه ورجع الى المدينة مسلما فرد عليه رسول الله زوجه

﴿سرية﴾

---

(١) ناحية من بطن نخل

وفى جمادي الآخرة أرسل عليه السلام زيد بن حارثة فى خمسة عشر رجلا للاغارة على بنى ثعلبة الذين قتلوا أصحاب محمد بن مسلمة وهم مقيمون بالطرف (١) فتوجهت السرية لذلك ولما رآهم الاعداء ظنوهم طليعة لجيش رسول الله فهربوا وتركوا نعمهم وشاءهم فاستاقها المسلمون ورجعوا الى المدينة بعد أربع ليال

(سرية)

وفى رجب أرسل عليه السلام زيد بن حارثة ليغير على بنى فزارة لانهم تعرضوا لزيد وهو راجع بتجارة من الشام فسلبوا مامعه وكادوا يقتلونه فلما جاء المدينة وأخبر الرسول الخبر أرسله مع رجاله للقصاص من فزارة المقيمين فى وادي القرى (٢) فساروا حتى دهموا العدو وأحاطوا بهم وقتلوا منهم جمعا كثيرا وأخذوا امرأة من كبارهم أسيرة فاستوهبها عليه السلام ممن أسرها وفدي بها أسيرا كان بمكة

(سرية)

وفي شعبان أرسل عليه السلام عبد الرحمن بن عوف مع سبعمائة من الصحابة لغزو بني كلب فى دومة الجندل (٣) وقد وصاهم عليه السلام قبل السفر بقوله (أغزوا جميعا في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم) ثم أعطاه اللواء

---

(١) ماء على ستة وثلاثين ميلا من المدينة في طريق العراق

(٢) موضع شمالى المدينة (٣) حصن وقرى بينها وبين دمشق خمس ليال وبين المدينة خمس عشرة ليلة

فساروا على بركة الله حتى حلوا بديار العدو فدعوهم الى الاسلام ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أسلم رئيس القوم الاصبغ بن عمرو النصرانى وأسلم معه جمع من قومه وبقي آخرون راضين باعطاء الجزية فتزوج عبدالرحمن بنت رئيسهم كما أمره بذلك عليه السلام وهذه أقرب واسطة لتمكين صلات الود بين الامراء بحيث يهم كلا مايهم الآخر فنعما هي سياسة السلم والمحبة

(سرية)

وفى شعبان أرسل عليه السلام على بن أبي طالب فى مائة لغزو بنى سعد بن بكر بفدك (١) لانه بلغه أنهم يجمعون الجيوش لمساعدة يهود خيبر على حرب المسلمين مقابل تمر يعطونه من تمر خيبر فسارت السرية وبينما هم سائرون التقوا بجاسوس العدو أرسلوه الي خيبر ليعقد المعاهدة مع يهودها فطلبوا منه أن يدلهم على القوم وهو آمن فدلهم على موضعهم فاستاق منه المسلمون نعم القوم وهرب الرعاة فحذروا قومهم فداخلهم الرعب وتفرقوا فرجع المسلمون ومعهم خمسمائة بعير وألفا شاة ورد الله كيد المشركين فلم يمدوا اليهود بشيء

(قتل أبى رافع)

وكان المحرك لاهل خيبر على حرب المسلمين وهو سيدهم أبو رافع سلام بن أبى الحقيق الملقب بتاجر أهل الحجاز لما كان له من المهارة في التجارة وكان ذا ثروة طائلة يقلب بها قلوب اليهود كما يريد فانتدب له عليه السلام من يقتله فأجاب لذلك خمسة رجال من الخزرج رئيسهم عبد الله بن عتيك ليكون لهم مثل أجر اخوانهم من الاوس الذين قتلوا كعب بن الاشرف فان من نعم

---

(١) قرية بينها و بين المدينة ست ليال من جهة خيبر

الله على رسوله أن كان الاوس والخزرج يتفاخرون بما يفعلونه من تنفيذ رغبات رسول الله فلا تعمل الاوس عملا الا اجتهد الخزرج فى مثله فأمرهم الرسول بذلك بعد أن وصاهم أن لا يقتلوا وليداً ولا امرأة فساروا حتى أتوا خيبر فقال عبد الله لاصحابه مكانكم فانى منطلق للبواب ومتلطف له لعلى أدخل فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوب كانه يقضي حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب ادخل يا عبد الله ان كنت تريد الدخول فاني أريد أن أغلق الباب فدخل وكمن حتى نام البواب فأخذ المفاتيح وفتح ليسهل له الهرب ثم توجه الى بيت أبي رافع وصار يفتح الابواب التي توصل اليه وكلما فتح بابا أغلقه من داخل حتى انتهى اليه فاذا هو فى بيت مظلم وسط عياله فلم يمكنه تمييزه فنادى يا أبا رافع قال من فأهوى بالسيف نحو الصوت فلم يغن شيئاً وعند ذلك قالت امرأته هذا صوت ابن أبى عتيك فقال لها ثكلتك أمك وأين ابن أبى عتيك الآن فعاد عبد الله للنداء مغيرا صوته قائلا ماهذا الصوت الذى نسمعه يا أبا رافع قال لامك الويل ان رجلا في البيت ضربنى بالسيف فعمد اليه فضربه أخرى لم تغن شيئا فتواري ثم جاءه كالمغيث وغير صوته فوجده مستلقياً على ظهره فوضع السيف فى بطنه وتحامل عليه حتى سمع صوت العظم ثم خرج من البيت وكان نظره ضعيفا فوقع من فوق السلم فانكسرت رجله فعصبها بعمامته ثم انطلق الي أصحابه وقال النجاة قتل والله أبو رافع فانتهوا الى الرسول فحدثوه ثم قال لعبد الله ابسط رجلك فمسحها عليه السلام فكانه لم يشتكها قط وعادت أحسن ما كانت فانظر رعاك الله الى ما كان عليه المسلمون من استسهال المصاعب مادامت فى ارضاء رسول الله صلى

الله عليه وسلم فرضى الله عنهم وأرضاهم

(سرية)

(ولما) قتل كعب ولى اليهود مكانه أسير بن رزام فأرسل عليه السلام من يستعلم له خبره فجاءته الاخبار بأنه قال لقومه سأصنع بمحمد مالم يصنعه أحد قبلي أسير الى غطفان فاجمعهم لحربه وسعي في ذلك فارسل عليه السلام عبد الله بن رواحة الخزرجي فى ثلاثين من الانصار لاستمالته فخرجوا حتي قدموا خيبر وقالوا لاسير نحن آمنون حتي نعرض عليك ماجئنا له قال نعم ولى مثل ذلك فاجابوه ثم عرضوا عليه أن يقدم على رسول الله ويترك ماعزم عليه من الحرب فيوليه الرسول على خيبر فيعيش أهلها بسلام فأجاب الى ذلك وخرج في ثلاثين يهوديا كل يهودي رديف لمسلم وبينماهم فى الطريق ندم أسير على مجيئه وأراد التخلص مما فعل بالغدر بمن أمنوه فاهوى بيده الى سيف عبد الله ابن رواحة فقال له أغدرا ياعدو الله ثم نزل وضربه بالسيف فاطاح عامة فخذه ولم يلبث أن هلك فقام المسلمون على من معه من اليهود فقتلوهم عن آخرهم وهذا عاقبة الغدر

قصة عكل وعرينة

قدم علي رسول الله فى شوال جماعة من عكل وعرينة فأظهروا الاسلام وبايعوا رسول الله وكانوا اسقاما مصفرة ألوانهم عظيمة بطونهم فلم يوافقهم هواء المدينة فأمر لهم عليه السلام بذود من الابل معها راع وأمرهم باللحوق بها فى مراعاها ليشربوا من ألبانها وأبوالها ففعلوا ولما تم شفاؤهم جاوز الاحسان كفرا فقتلوا الراعي ومثلوا به واستاقوا الابل فلما بلغ ذلك رسول الله أرسل وراءهم

كرز بن جابر الفهرى في عشرين فارسا فلحقوا بها وقبضوا على جميعهم ولما جيء بهم الى المدينة أمر عليه السلام أن يمثل بهم كما مثلوا بالراعي فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم وألقوا بالحرة حتى ماتوا فهكذا يكون جزاء الخائن الذى لا ينتظر منه صلاح وعمل هؤلاء الشريرين مما يدل على فساد الاصل ولؤم العشيرة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك عن المثلة

(سرية)

جلس أبو سفيان بن حرب يوما في نادي قومه فقال ألا رجل يذهب لمحمد فيقتله غدا فانه يمشي بالاسواق لنستريح منه فتقدم له رجل وتعهد له بما أراد فاعطاه راحلة ونفقة وجهزه لذلك فخرج الرجل حتى وصل الى المدينة صبح سادسة من خروجه فسأل عن رسول الله فدل عليه وهو بمسجد بني عبد الاشهل فلما رآه عليه السلام قال ان هذا الرجل ليريد غدراً وان الله مانعي منه فذهب لينحني على الرسول فجذبه أسيد بن حضير من إزاره وهنالك سقط الخنجر فندم الرجل على فعلته ثم سأله عليه السلام عن سبب عمله فصدقه بعد أن توثق من حفظ دمه فخلي عليه السلام سبيله فقال الرجل والله يا محمد ما كنت أخاف الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت نفسي ثم أنك اطلعت على ما هممت به مما لم يعلمه أحد فعرفت أنك ممنوع وانك على حق وان حزب أبي سفيان حزب الشيطان ثم أسلم وعند ذلك أرسل عليه السلام عمرو بن أمية الضمرى وكان رجلا جريئاً فاتكا في الجاهلية وأصحبه برفيق ليقتلا أبا سفيان غيلة جزاء اعتدائه فلما قدما مكة توجها ليطوفا بالبيت قبل أن يؤديا ما أرسلا له فعرف عمرا أحد رجال مكة فقال هذا عمرو بن أمية ماجاء الا بشر فلما رآهم علموا به

لم يجد مناصا من الهرب فاصطحب معه رفيقه ورجعا الى المدينة وكأن الله سبحانه أراد أن يعيش أبو سفيان حتى يسلم بيده مفاتيح مكة للمسلمين ويعتنق الدين الحنيفي القويم

﴿غزوة الحديبية﴾

رأى عليه السلام فى نومه أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين فأخبر المسلمين أنه يريد العمرة واستنفر الاعراب الذين حول المدينة ليكونوا معه حذراً من أن تردهم قريش عن عمرتهم ولكن هؤلاء الاعراب أبطؤا عليه لانهم ظنوا أن لا ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبداً وتخلصوا بأن قالوا شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا فخرج عليه السلام بمن معه من المهاجرين والانصار تبلغ عدتهم ألفاً وخمسمائة وولى على المدينة ابن أم مكتوم وأخرج معه زوجه أم مسلمة وأخرج الهدى ليعلم الناس أنه لم يأت محاربا ولم يكن مع أصحابه شيء من السلاح الا السيوف فى القرب لان الرسول لم يرض أن يحملوا السيوف مجردة وهم معتمرون ثم سار الجيش حتى وصل عسفان (١) فجاءه عينه يخبره أن قريشا أجمعت رأيها أن يصدوا المسلمين عن مكة وأن لا يدخلوها عليهم عنوة أبداً وتجهزوا للحرب وأعدوا خالد بن الوليد في مائتي فارس طليعة لهم ليصدوا المسلمين عن التقدم فقال عليه السلام هل من رجل يأخذ بنا على غير طريقهم فقال رجل من أسلم أنا يارسول الله فسار بهم فى طريق وعرة ثم خرج بهم الى مستو سهل على مكة من أسفلها فلما رأى خالد مافعل المسلمون رجع الى قريش واخبرهم الخبر ولما كان عليه السلام

---

(١) موضع على مرحلتين من مكة

بثنية المرار (١) بركت ناقته فزجروها فلم تقم فقالوا خلأت القصواء فقال عليه السلام ما خلأت وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل والذى نفس محمد بيده لا تدعونى قريش لخصلة فيها تعظيم حرمات الله الا أجبتهم اليها مع أن المسلمين لو قاتلوا أعداءهم في مثل هذا الوقت لظفروا بهم ولكن كف الله أيدى المسلمين عن قريش وكف أيدى قريش عن المسلمين كيلا تنتهك حرمات البيت الذى أراد الله أن يكون حرماً آمنا يوطدالمسلمون من جميع الاقطار دعائم أخوتهم فيه ثم أمرهم عليه السلام بالنزول أقصي الحديبية (٢) وهناك جاء بديل بن ورقاء الخزاعي رسولا من قريش يسأل عن سبب مجيء المسلمين فأخبره عليه السلام بمقصده فلما رجع بديل الى قريش واخبرهم بذلك لم يثقوا به لانه من خزاعة الموالية لرسول الله كما كانت كذلك لاجداده وقالوا أيريد محمد أن يدخل علينا في جنوده معتمراً تسمع العرب أنه قد دخل علينا عنوة وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا والله لا كان هذا أبدا ومناعين تطرف ثم أرسلوا حليس بن علقمة سيد الاحابيش وهم حلفاء قريش فلما رآه عليه السلام قال هذا من قوم يعظمون الهدى ابعثوه في وجهه حتى يراه ففعلوا واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك حليس رجع وقال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا أيحج لخم وجذام وحمير ويمنع عن البيت ابن عبد المطلب هلكت قريش ورب البيت ان القوم أتوا معتمرين فلما سمعت قريش منه ذلك قالوا له اجلس انما أنت أعرابى لا علم لك بالمكايد ثم أرسلوا عروة بن مسعود الثقفى سيد أهل الطائف فتوجه الى رسول الله وقال يا محمد قد جمعت أوباش الناس ثم

---

(١) مهبط الحديبية (٢) بئر قرب مكة سميت الارض باسمها

جئت الى أصلك وعشيرتك لتفضها بهم انها قريش قد خرجت تعاهد الله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدا وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك فنال منه أبو بكر وقال نحن ننكشف عنه ويحك وكان عروة يتكلم وهو يمس لحية رسول الله فكان المغيرة بن شعبة يقرع يده اذا أراد ذلك ثم رجع عروة وقد رأى مايصنع بالرسول أصحابه لا يتوضأ وضوأ الا كادوا يقتتلون عليه يتمسحون به واذا تكلموا اخفضوا أصواتهم عنده ولا يجدون النظر اليه فقال والله يامعشر قريش جئت كسرى فى ملكه وقيصر في عظمته فما رأيت ملكا في قومه مثل محمد في أصحابه ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبداً فانظروا رأيكم فانه عرض عليكم رشدا فاقبلوا ماعرض عليكم فانى لكم ناصح مع أني أخاف أن لا تنصروا عليه فقالت قريش لا تتكلم بهذا ولكن نرده عامنا ويرجع الي قابل ثم ان الرسول اختار عثمان بن عفان رسولا من عنده الى قريش حتى يعلمهم مقصده فتوجه وتوجه معه عشرة استأذنوا الرسول في زيارة أقاربهم وأمر عليه السلام عثمان أن يأتى المستضعفين من المؤمنين بمكة فيبشرهم بقرب الفتح وان الله مظهر دينه فدخل عثمان مكة في جوار أبان بن سعيد الاموي فبلغ ماحمل فقالوا ان محمدا لا يدخلها علينا عنوة أبدا ثم طلبوا منه أن يطوف بالبيت فقال لا أطوف ورسول الله ممنوع ثم انهم حبسوه فشاع عند المسلمين أن عثمان قتل فقال عليه السلام حينما سمع ذلك لا نبرح حتى نناجزهم الحرب

(بيعة الرضوان)

ودعا الناس للبيعة على القتال فبايعوه تحت شجرة هناك (١) (سميت

(١) امر عمر بقطعها زمن خلافته لما رأى تبرك الناس بها فليتأمل

بعد بشجرة الرضوان) على الموت فشاع أمر هذه البيعة فى قريش فداخلهم منها رعب عظيم وكانوا قد أرسلوا خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص ليطوفوا بعسكر المسلمين علهم يصيبون منهم غرة فأسرهم حارس الجيش محمد بن مسلمة وهرب رئيسهم ولما علمت بذلك قريش جاء جمع منهم وابتدؤا يناوشون المسلمين حتى أسر منهم اثناعشر رجلا وقتل من المسلمين واحد

(صلح الحديبية)

وعند ذلك خافت قريش وأرسلت سهيل بن عمرو للمكالمة في الصلح فلما جاء قال يامحمد ان الذى حصل ليس من رأى عقلائنا بل شيء قام به السفهاء منا فابعث الينا بمن أسرت فقال حتى ترسلوا من عندكم وعندئذ أرسلوا عثمان والعشرة الذين معه ثم عرض سهيل الشروط التى تريدها قريش وهي (١) وضع الحرب بين المسلمين وقريش أربع سنوات (٢) من جاء المسلمين من قريش يردونه ومن جاء قريشا من المسلمين لا يلزمون برده (٣) أن يرجع النبي من غير عمرة هذا العام ثم يأتى العام المقبل فيدخلها بأصحابه بعد أن تخرج منها قريش فيقيم بها ثلاثة أيام ليس مع أصحابه من السلاح الا السيف فى القراب والقوس (٤) من أراد أن يدخل فى عهد محمد من غير قريش دخل فيه ومن أراد أن يدخل فى عهد قريش دخل فيه فقبل عليه السلام كل هذه الشروط . اما المسلمون فداخلهم منها أمر عظيم وقالوا سبحان الله كيف نرد اليهم من جاءنا مسلما ولا يردون من جاءهم مرتداً فقال عليه السلام انه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجا . أما الامر

الثالث وهو صد المسلمين عن الطواف بالبيت فكان أشد تأثيراً فى قلوبهم لان الرسول أخبرهم أنه رأى في منامه أنهم دخلوا البيت آمنين وقد سأل عمر أبا بكر فى ذلك فقال رضى الله عنه وهل ذكر أنه فى هذا العام . ثم كتبت شروط الصلح بين الطرفين وكان الكاتب على بن أبى طالب فأملاه عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اكتب باسمك اللهم فأمره الرسول بذلك ثم قال هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو نعلم أنك رسول الله ما خالفناك أكتب محمد بن عبد الله فامر عليه السلام عليا بمحو ذلك وكتابة محمد بن عبد الله فامتنع فمحاها النبي بيده وكتبت نسختان نسخة لقريش ونسخة للمسلمين وبعد كتابة الشروط جاءهم أبو جندل بن سهيل يحجل فى قيوده وكان من المسلمين الممنوعين من الهجرة فهرب للمسلمين هذه المرة ليحموه فقال عليه السلام اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً انا قد عقدنا بين القوم صلحا وأعطيناهم وأعطونا على ذلك عهداً فلا نغدر بهم: هذا وقد دخلت قبيلة خزاعة فى عهد رسول الله ودخل بنو بكر فى عهد قريش

ولما انتهي الامر أمر عليه السلام أصحابه أن يحلقوا رؤوسهم وينحروا الهدى ليتحللوا من عمرتهم فاحتمل المسلمون من ذلك هما عظيما حتي انهم لم يبادروا بالامتثال فدخل عليه السلام على أم المؤمنين أم سلمة وقال لها هلك المسلمون أمرتهم فلم يمتثلوا فقالت يارسول الله اعذرهم فقد حملت نفسك أمراً عظيما فى الصلح ورجع المسلمون من غير فتح فهم لذلك مكروبون ولكن اخرج يارسول الله وابدأهم بما تريد فاذا رأوك فعلت تبعوك فتقدم عليه السلام الى هديه فنحره ودعا بالحلاق فحلق رأسه فلما رآه المسلمون تواثبوا على الهدى

فنحروه وحلقوا ثم رجع المسلمون الى المدينة وقد أمن كل فريق الآخر ولما قر قرارهم جاءتهم مهاجرة أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت عثمان لامه فطلبها المشركون فقالت يارسول اني امرأة وان رجعت اليهم فتنوني في ديني فأنزل الله في سورة الممتحنة (ياأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) فكانت المرأة المهاجرة تستحلف أنها ماخرجت رغبة بأرض عن أرض ولا من بغض زوج ولا لالتماس دنيا ولا لرجل من المسلمين وما خرجت الاحبا لله ولرسوله ومتى حلفت لاترد بل يعطى لزوجها المشرك ماأنفقه عليها ويجوز للمسلم تزوجها وفى الآية تحريم امساك الزوجة الكافرة بل ترد الى أهليها بعد أن يعطوا ماأنفقوا عليها (وقد تمكن) أبو بصير عتبة بن أسيد الثقفى رضي الله عنه من الفرار الى رسول الله فأرسلت قريش فى أثره رجلين يطلبان تسليمه فأمره عليه السلام بالرجوع معهما فقال يارسول الله أتردني الى الكفار يفتنوني فى ديني بعد أن خلصنى الله منهم فقال ان الله جاعل لك ولاخوانك فرجاً فلم يجد بدا من اتباعه فرجع مع صاحبيه ولما قارب ذا الحليفة عدا على أحدهما فقتله وهرب منه الآخر فرجع الى المدينة وقال يارسول الله وفت ذمتك أما أنا فنجوت فقال له اذهب حيث شئت ولا تقم بالمدينة فذهب الي محل بطريق الشام تمر به تجارة قريش فأقام به واجتمع معه جمع

ممن كانوا مسلمين بمكة ونجوا وسار اليه أبو جندل بن سهيل واجتمع اليه جمع من الاعراب وقطعوا الطريق على تجارة قريش حتي قطعوا عنهم الامداد فأرسل رجال قريش لرسول الله يستغيثون به في إبطال هذا الشرط ويعطونه الحق في إمساك من جاءه مسلما فقبل منهم ذلك وأزاح الله عن المسلمين هذه الغمة التي لم يتمكنوا من تحملها في الحديبية حينما أمرهم عليه السلام برد أبي جندل وعلموا أن رأي رسول الله أفضل وأحسن من رأيهم حيث كان فيه أمن تسبب عنه اختلاط الكفار بالمسلمين فخالطت بشاشة الاسلام قلوبهم حتى قال أبو بكر رضى الله عنه ما كان فتح في الاسلام أعظم من فتح الحديبية ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه والعباد يعجلون والله لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الامور ما أراد : وفي رجوعه عليه السلام من الحديبية نزلت عليه سورة الفتح وقال سبحانه في أولها (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) وفى تسمية هذه الغزوة بالفتح المبين تصديق لما قدمنا لك عن الصديق

(مكاتبة الملوك)

بعد رجوع المسلمين من الحديبية في أواخر سنة ست وأمن الطريق من قريش كاتب عليه السلام ملوك الارض يدعوهم الى الاسلام واتخذ اذ ذاك خاتما من فضه يختم به خطاباته وكان نقشه (محمد رسول الله) فوجه دحية الكلبي بكتاب الى قيصر ملك الروم وأمره أن يدفعه الى عظيم بصرى ليوصله الى الملك

(كتاب قيصر)

وكان فى الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم) من محمد بن عبد الله الى

هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى : أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الاريسين(١) ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون .

حديث أبى سفيان

ولما وصل هذا الكتاب قيصر قال انظروا لنا من قومه أحداً نسأله منه وكان أبو سفان بن حرب بالشام مع رجال من قريش فى تجارة فجاءت رسل قيصر لابى سفيان ودعوه لمقابلة الملك فأجاب ولما قدموا عليه في القدس قال لترجماته سلهم أيهم أقرب نسباً بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبي فقال أبو سفيان أنا لانه لم يكن فى الركب من بني عبد مناف غيره فقال قيصر أدن منى ثم أمر باصحابه فجعلوا خلف ظهره ثم قال لترجمانه قل لاصحابه انما قدمت هذا أمامكم لاسأله عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي وقد جعلتكم خلفه كيلا تخجلوا من رد كذبه عليه اذا كذب ثم سأله كيف نسب هذا الرجل فيكم قال هو فينا ذو نسب قال هل تكلم بهذا القول أحد منكم قبله قال لا قال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال قال لا قال فهل كان من آبائه من ملك قال لا قال فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم قال بل ضعفاؤهم قال فهل يزيدون أم ينقصون قال بل يزيدون قال هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه قال لا . قال هل يغدر اذا عاهد قال لا ونحن الآن منه فى ذمة لا ندرى ما

---

(١) الفلاحين

هو فاعل فيها قال فهل قاتلتموه قال نعم : قال فكيف حربكم وحربه قال الحرب بيننا وبينه سجال مرة لنا ومرة علينا قال فبم يأمركم قال يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً وينهي عما كان يعبد آباؤنا ويأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الامانة فقال الملك انى سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله فزعمت أن لا فلو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتم بقول قيل قبله وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فزعمت أن لا فقلت ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك هل كان من آبائه من ملك فقلت لا فلو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل وسالتك هل يزيدون أم ينقصون فقلت بل يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم وسالتك هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه فقلت لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب وسالتك هل قاتلتموه فقلت نعم وان الحرب بينكم وبينه سجال وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة وسألتك بماذا يأمر فزعمت أنه يامر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الامانة وسالتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر فعلمت أنه نبي وقد علمت أنه مبعوث ولم أظن أنه فيكم وان كان ما كلمتني به حقاً فسيملك موضع قدمى هاتين ولو أعلم أنى أخلص اليه لتكلفت ذلك قال أبو سفيان فعلت أصوات الذين عنده وكثر لغطهم فلا أدرى ماقالوا وأمر بنا فاخرجنا فلما خرج أبو سفيان مع أصحابه قال لقد بلغ أمر ابن أبى كبشة أن يخافه ملك بنى الاصفر ولما سار قيصر

الى حمص أذن لعظماء الروم فى دسكرة له ثم أمر بابوابها فاغلقت ثم قال يامعشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد وان يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها مغلقة فلما رأى قيصر نفرتهم قال ردوهم على فقال لهم انى قلت مقالتي أختبر بها شدتكم على دينكم فسكتوا له ورضوا عنه فغلبه حب ملكه على الاسلام فذهب بائمه واثم رعيته كما قال عليه الصلاة والسلام ولكنه ردد حية زداحميلا

﴿ كتاب امير بصرى ﴾

وأرسل عليه السلام الحارث بن عمير الازدى بكتاب الى أمير بصري فلما بلغ مؤتة وهى قرية من عمل البلقاء بالشام تعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فقال له أين تريد قال الشام قال لعلك من رسل محمد قال نعم فامر به فضربت عنقه ولم يقتل لرسول الله عليه الصلاة والسلام رسول غيره وقدوجد لذلك وجدا شديدا

(كتاب الحارث بن أبي شمر)

ووجه عليه السلام شجاع بن وهب الى أمير دمشق من قبل هرقل الحارث بن أبي شمر وكان يقيم بغوطتها وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم) من محمد رسول الله الى الحارث بن أبى شمر سلام علي من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق وانى أدعوك أن تؤمن بالله وحده لاشريك له يبق ملكك) فلما قرأ الكتاب رمى به وقال من ينزع ملكى منى واستعد ليرسل جيشاً لحرب المسلمين وقال لشجاع أخبر صاحبك بما تري ثم أرسل الي قيصر يستأذنه فى ذلك وصادف أن كان عنده دحية فكتب قيصر اليه يثنيه عن

هذا العزم ويأمره أن يهيىء بإيليا ما يلزم لزيارته فانه بعد أن قهر الفرس نذر زيارتها فلما رأى الحارث كتاب قيصر صرف شجاع بن وهب بالحسنى ووصله بنفقة وكسوة

(كتاب المقوقس)

ووجه عليه السلام حاطب بن أبي بلتعة بكتاب الى المقوقس أمير مصر من جهة قيصر وكان فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان توليت فانما عليك اثم القبط ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة الآية) فأوصله له حاطب باسكندرية فلما قرأه قال مامنعه ان كان نبياً أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده فقال حاطب ألست تشهد أن عيسي بن مريم رسول الله فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه ألا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله حتي رفعه الله اليه قال أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم ثم قال اني قد نظرت فى أمر هذا النبي فوجدت أنه لا يؤمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب ووجدت معه آلة النبوة اخراج الغائب المستور والاخبار بالنجوي وسأنظر ثم كتب رد الجواب يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ماذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت أن نبياً قد بقي وكنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت

رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط وبثياب وأهديت اليك بغلة تركبها والسلام) واحدى الجاريتين مارية التي تسرى بها عليه الصلاة والسلام وجاء منها بولده ابراهيم والاخري أعطاها لحسان بن ثابت ولم يسلم المقوقس

(كتاب النجاشي)

ووجه عليه السلام عمرو بن أمية الضمرى بكتاب الى النجاشي ملك الحبشة وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي عظيم الحبشة سلام أما بعد فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسي بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسي من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده واني أدعوك الى الله وحده لاشريك له والموالاة على طاعته وان تتبعني وتوقن بالذى جاءني فانى رسول الله وانى ادعوك وجنودك الى الله عزوجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى والسلام على من اتبع الهدي) ولما وصله الكتاب احترمه غاية الاحترام وقال لعمرو انى أعلم والله أن عيسى بشر به ولكن اعوانى بالحبشة قليل فانظرني حتى أكثر الاعوان وألين القلوب وقد عرض عمرو علي من بقي من مهاجرى الحبشة الرجوع الى رسول الله بالمدينة وكان من المهاجرين أم حبيبة بنت أبى سفيان زوج عبيد الله بن جحش الذى كان أسلم وهاجر بها ولكن قد غلبت عليه الشقاوة فتنصر فتزوج عليه السلام أم حبيبة وهى بالحبشة والذى زوجها له النجاشي بتوكيل منه عليه السلام

(كتاب كسرى)

ووجه عليه السلام عبد الله بن حذافة السهمى بكتاب الى كسري ملك الفرس وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدي وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فانى أنا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فان أبيت فانما عليك اثم المجوس) فلما وصله الكتاب مزقه استكبارا ولما بلغه عليه السلام ذلك قال (مزق الله ملكه كل ممزق) وقد فعل فكانت مملكته أقرب الممالك سقوطا وقد بدأ هذا الشقي بالعدوان فأرسل لعامله باليمن أن يوجه الى الرسول من يأتي به اليه فعاجله الله بقيام ابنه شيرويه عليه وقتله له ثم أرسل لعامله اليمن ينهاه عما أمره به أبوه

(كتاب المنذر بن ساوى)

ووجه عليه السلام العلاء بن الحضرمى بكتاب الى المنذر بن ساوى ملك البحرين يدعوه فيه الى الاسلام وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم سلم أنت فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فان من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول من أحب ذلك من المجوس فانه آمن ومن أبى فان عليه الجزية) فأسلم وكتب في رد الجواب (أما بعد يارسول الله فانى قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبأرضي مجوس ويهود فأحدث

الى فى ذلك أمرك) فكتب اليه عليه السلام (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك فانى أحمد الله اليك الذى لا اله الا هو وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أما بعد فانى أذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى ومن نصح لهم فقد نصح لي وان رسلي قد أثنوا عليك خيرا وانى شفعتك فى قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نغيرك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية)

(كتاب ملكى عمان)

ووجه عليه السلام عمرو بن العاص بكتاب الى جيفر وعبد ابنى الجلندى ملكى عمان وفيه) بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى جيفر وعبد ابنى الجلندى سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوكما بدعاية الاسلام أسلما تسلما فانى رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وانكما ان أقررتما بالاسلام وليتكما وان أبيتما فان ملككما زائل وخيلى تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما)

فلما دخل بناديهما عمرو سأله عبد بن الجلندى عما يأمر به الرسول وينهى عنه فقال يأمر بطاعة الله عز وجل وينهي عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهي عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب فقال ما أحسن هذا الذي يدعو اليه ولو كان أخي يتابعني لركبنا

حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير تابعاً قال عمرو ان أسلم أخوك ملكه رسول الله على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم فقال عبد ان هذا الخلق حسن وما الصدقة فأخبره بما فرض الله من الصدقات في الاموال ولما ذكر المواشي قال يا عمرو يؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى في الشجر وترد المياه قال نعم فقال عبد والله ما أرى قومي على بعد دارهم وكثرة عددهم يرضون بهذا ثم ان عبداً أوصل عمر الاخيه جيفر فتكلم معه عمرو بما ألان قلبه حتى أسلم هو وأخوه ومكناه من الصدقات

(كتاب هوذة بن علي)

ووجه عليه السلام سليط بن عمرو العامري بكتاب الى هوذة بن علي ملك اليمامة وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة بن علي سلام على من اتبع الهدى وأعلم أن ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم وأجعل لك ماتحت يديك) فلما جاء الكتاب كتب في رده (ما أحسن ماتدعو اليه وأجمله وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الامر أتبعك) ولما بلغ ذلك رسول الله قال لو سألني قطعة من الارض ما فعلت باد وباد ما في يديه فلم يلبث أن مات منصرف الرسول صلى الله عليه وسلم من فتح مكة وكان عليه السلام يولى على كل قوم قبلوا الاسلام كبيرهم

(السنة السابعة غزوة خيبر)

وفى محرم السنة السابعة أمر عليه السلام بالتجهز لغزو يهود خيبر الذين كانوا أعظم مهيج للاحزاب ضد رسول الله في غزوة الخندق والذين لا يزالون

مجتهدين فى محالفة الاعراب ضد رسول الله كما قدمنا ذلك فى قصة كعب بن الاشرف وقد استنفر رسول الله لذلك من حوله من الاعراب الذين كانوا معه بالحديبية وجاء المخلفون عنها ليؤذن لهم فقال عليه السلام لا تخرجوا معى الا رغبة في الجهاد أما الغنيمة فلا أعطيكم منها شيئا وأمر مناديا ينادى بذلك ثم خرج عليه السلام بعد أن ولى على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى وكان معه من أزواجه أم سلمة ولما وصل جيش المسلمين الى خيبر التي تبعد عن المدينة نحو مائة ميل من الشمال الغربى رفعوا أصواتهم بالتكبير والدعاء فقال عليه السلام (ارفعوا بانفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم) وكانت حصون خيبر ثلاثة منفصلا بعضها عن بعض وهي حصون النطاة وحصون الكتيبة وحصون الشق والاولى ثلاثة حصن ناعم وحصن الصعب وحصن قلة والثانية حصنان حصن أبى وحصن البرىء والثالثة ثلاثة حصون حصن القموص وحصن الوطيح وحصن السلالم فبدأ عليه السلام بحصون النطاة وعسكر المسلمون شرقيها بعيداً عن مدى النبل وأمر عليه السلام أن يقطع نخلهم ليرهبهم حتى يسلموا فقطع المسلمون نحو أربعمائة نخلة ولما رأى عليه السلام تصميم اليهود على الحرب نهى عن القطع ثم ابتدأ القتال مع حصن ناعم بالمراماة وكان لواء المسلمين بيد احد المهاجرين فلم يصنع فى ذلك اليوم شيئاً وفيه مات محمود بن مسلمة اخو محمد بن مسلمة وصار عليه السلام يغدو كل يوم مع بعض الجيش للمناوشة ويخلف على العسكر احد المسلمين حتى اذا كانوا فى الليلة السابعة ظفر حارس الجيش وهو عمر بن الخطاب بيهودى خارج في جوف الليل فأتى به رسول الله عليه السلام ولما

أدرك الرجل الرعب قال ان امنتمونى أدلكم على أمر فيه نجاحكم فقالوا دلنا فقد أمناك فقال ان أهل هذا الحصن أدركهم الملال والتعب وقد تركتهم يبعثون باولادهم الى حصن الشق وسيخرجون لقتالكم غدا فاذا فتح عليكم هذا الحصن غدا فانى أدلكم على بيت فيه منجنيق ودبابات (١) ودروع وسيوف يسهل عليكم بها فتح بقية الحصون فانكم تنصبون المنجنيق ويدخل الرجال تحت الدبابات فينقبون الحصن فتفتحه من يومك فقال عليه السلام لمحمد ابن مسلمة سأعطي الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبانه فبات المهاجرون والانصار كلهم يتمنونها حتي قال عمر بن الخطاب ما تمنيت الامارة الا ليلتئذ فلما كان الغد سأل عليه السلام عن على بن أبى طالب فقيل له انه أرمد فأرسل من يأتيه به ولما جاء تفل فى عينيه فشفاهما الله كان لم يكن بهما شيء ثم أعطاه الراية فتوجه مع المسلمين للقتال وهناك وجدوا اليهود متجهزين فخرج يهودى يطلب البراز فقتله على ثم خرج مرحب وهو اشجع القوم فألحقه برفيقه فخرج أخوه ياسر فقتله الزبير بن العوام ثم حمل المسلمون على اليهود حتى كشفوهم عن مواقفهم وتبعوهم حتى دخلوا الحصن بالقوة وانهزم الاعداء الي الحصن الذي يليه وهو حصن الصعب وغنم المسلمون من حصن ناعم كثيرا من الخبز والتمر ثم تتبعوا اليهود الى حصن الصعب فقاتل عنه اليهود قتالا شديدا حتى ردعنه المسلمون ولكن ثبت الحباب بن المنذر ومن معه وقاتلوا قتالا شديدا حتى هزموا اليهود فتبعوهم حتى افتتحوا عليهم الحصن فوجدوا فيه غنائم كثيرة من الطعام فأمر عليه السلام مناديا يقول كلوا واعلفوا ادوابكم ولا تأخذوا شيئا ثم ان الذين انهزموا من

---

(١) الدبابة آلة تتخذ للحروب فتدفع فى اصل الحصن فينقبونه وهم جوفها

هذا الحصن ساروا الى حصن قلة فتبعهم المسلمون وحاصروهم ثلاثة أيام حتى استصعب عليهم فتحه وفي اليوم الرابع دلهم يهودى على جداول الماء التي يستقى منها اليهود فمنعوها عنهم فخرجوا وقاتلوا قتالا شديدا انتهى بهزيمتهم الى حصون الشق فتبعهم المسلمون وبدؤا بحصن أبى فخرج أهله وقاتلوا قتالا شديدا أبلى فيه أبو دجانة الانصارى بلاء حسنا حتى تمكن من دخول الحصن عنوة ووجد المسلمون فيه أثاثا كثيرا ومتاعا وغنما وطعاما وهرب المنهزمون منه الى حصن البرىء فتمنعوا به أشد التمنع وكان أهله أشد اليهود رميا بالنبل والحجارة حتى أصاب رسول الله بعض منه فنصب المسلمون عليه المنجنيق فوقع فى قلب أهله الرعب وهربوا منه من غير عناء شديد فوجد فيه المسلمون أوانى لليهود من نحاس وفخار فقال عليه السلام اغسلوها واطبخوا فيها ثم تتبع المسلمون بقايا العدو الى حصون الكثيبة وبدؤا بحصن القموص فحاصروه عشرين ليلة ثم فتحه الله على يد علي بن أبي طالب ومنه سبيت صفية بنت حيي بن أخطب ثم سار المسلمون لحصار حصنى الوطيح والسلالم فلم يقاوم أهلهما بل سلموا طالبين حقن دمائهم وان يخرجوا من أرض خيبر بذراريهم لا يصطحب الواحد منهم الا ثوبا واحدا على ظهره فأجابهم رسول الله الى ذلك وغنم المسلمون من هذين الحصنين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس عربية ووجدوا صحفا من التوراة فسلموها الطالبها وقد أمر عليه السلام بقتل كنانة بن أبي الحقيق لانه أنكر حلى حيى بن أخطب وقد عثر عليها المسلمون فوجدوا فيها أساور ودمالج وخلاخيل وقرطة وخواتيم الذهب وعقود الجواهر والزمرد وغير ذلك

(هذا) والذين استشهدوا من المسلمين بخيبر خمسة عشر رجلا وقتل من

اليهود ثلاثة وتسعون رجلا وفى هذه الغزوة أهدت احدى نساء اليهود كراع شاة مسمومة لرسول الله فأخذ منها مضغة ثم لفظها حيث أعلم أنها مسمومة وأكل منها بشر بن البراء فمات لوقته واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيء له بالمرأة التى فعلت هذه الفعلة فسألها عن سبب ذلك فأجابت قلت ان كان نبياً لن يضره وان كان كاذبا أراحنا الله منه فعفا عنها عليه السلام

(زواج صفية)

وبعد تمام الظفر والنصر تزوج عليه السلام صفية بنت حيي سيد بنى النضير وأصدقها عتقها وقد أسلمت رضى الله عنها فشرفت بأمومة المؤمنين

(النهى عن نكاح المتعة)

(ونهي) عليه السلام وهو بخيبر عن نكاح المتعة وهي النكاح لاجل وقد كان حلا فى الجاهلية واستعمل فى بدء الاسلام حتى حرمه الشرع فى هذه السنة (ونهى) كذلك عن أكل لحوم الحمر الاهلية فأكفأ المسلمون قدورها بعد أن نضجت ولم يطعموها

(رجوع مهاجرى الحبشة)

(وحين) رجوع المسلمين من خيبر قدم من الحبشة جعفر بن أبي طالب ومعه الاشعريون أبو موسي وقومه بعد أن أقاموا فيها نحوا من عشر سنين آمنين مطمئنين وفرح عليه السلام بمقدمهم فرحا عظيما وأعطي للاشعريين من مغانم الحصون المفتوحة صلحا وكان مع جعفر أم حبيبة بنت أبى سفيان أم المؤمنين (وقدم) فى هذا الوقت على النبي عليه السلام الدوسيون اخوان أبى هريرة رضى الله عنه وهو معهم فأعطاهم أيضا رسول الله صلي الله عليه وسلم

(فتح فدك)

وبعد تمام الفتح أرسل عليه السلام من يطلب من يهود فدك (١) الانقياد والطاعة فصالحوا رسول الله على أن يحقن دماءهم ويتركوا الاموال وكانت أرض فدك هذه لرسول الله خاصة ينفق منها على نفسه ويعول منها صغير بني هاشم ويزوج منها أيمهم

(صلح تيماء)

ولما بلغ يهود تيماء (٢) مافعله المسلمون بيهود خيبر صالحوا على دفع الجزية ومكثوا في بلادهم آمنين مطمئنين

﴿ فتح وادي القرى ﴾

ثم دعا عليه السلام يهود وادى القرى الى الاستسلام فأبوا وقاتلوا فقاتلهم المسلمون وأصابوا منهم أحدعشر رجلا وغنموا منهم مغانم كثيرة خمسها عليه السلام وترك الارض فى أيدى أهلها يزرعونها بشطر مايخرجون منها وكذلك صنع بارض خيبر وكان يرسل اليهم عبدالله بن رواحة لتقدير الثمر وكان تقديره شديدا عليهم فأرادوا أن يرشوه فقال لهم ياأعداء الله تعطونى السحت والله لقد جئتكم من عند أحب الناس الى ولانتم أبغض الى من القردة والخنازير ولايحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لاأعدل هذا وبانقياد جميع اليهود المجاورين للمدينة ارتاح المسلمون من شر عدو كان يتربص بهم الدوائر مهما كان بين الفريقين من العهود والمواثيق ورجع المسلمون مؤيدين ظافرين

اسلام خالد ورفيقيه

وأعقب هذه الغزوة وهذا الفتح المبين اسلام ثلاثة طالما كانت

---

(١) حصن قريب من خيبر على ست ليال من المدينة (٢) قرية على ثمان مراحل من المدينة

لهم اليد الطولى في قيادة الجيوش لحرب المسلمين وهم خالد بن الوليد المخزومي وعمرو بن العاصي السهمي وعثمان بن أبي طلحة العبدري فسر بهم عليه السلام سروراً عظيما وقال لخالد (الحمد لله الذي هداك قد كنت أري لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك الا الى خير) فقال يارسول الله ادع الله لى أن يغفر تلك المواطن التي كنت أشهدها عليك فقال له عليه السلام (الاسلام يقطع ماقبله)

﴿ سرية ﴾

وفي شعبان بلغه عليه السلام أن جمعاً من هوازن بتربة (١) يظهرون العداوة للمسلمين فأرسل لهم عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلاً فسار اليهم ولما بلغهم الخبر تفرقوا فلم يجد بها عمر أحداً فرجع

(سرية)

(ثم) أرسل بشير بن سعد الأنصاري لقتال بني مرة بناحية فدك فلما ورد بلادهم لم ير منهم أحداً فأخذ نعمهم أما القوم فكانوا في الوادي فجاءهم الصريخ فأدركوا بشيراً ليلا وهو راجع فتراموا بالنبل ولما أصبح الصبح اقتتل الفريقان قتالا شديداً حتى قتل غالب المسلمين وجرح بشير جرحاً شديداً حتى ظن أنه مات ولما انصرف عنه العدو تحامل حتي جاء الى رسول الله وأخبره الخبر (وفى) رمضان أرسل عليه السلام غالب بن عبيد الله الليثي إلى أهل الميفعة (٢) في مائة وثلاثين رجلا فساروا حتي هجموا على القوم فقتلوا بعضاً وأسروا آخرين وفي أثناء الحرب طارد أسامة بن زيد رجلا من المشركين ولما رأى المشرك الموت في يد أسامة تشهد فظن أسامة أن عدوه انما قال ذلك تخلصاً فقتله ولما رجع المسلمون

---

(١) واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها

(٢) على ثمانية برد من المدينة بناحية نجد

إلى المدينة وأخبر عليه السلام بفعلة أسامة قال أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله فكيف تصنع بلا إله إلا الله قال يارسول الله إنما قالها متعوذاً من القتل قال عليه السلام فهلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب فقال يارسول الله استغفر لي قال عليه السلام فكيف بلا اله الا الله فما زال يكررها حتى تمنى أسامة أنه لم يسلم قبل ذلك اليوم وأنزل الله في ذلك في سورة النساء (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة) ثم أمر عليه السلام أسامة أن يعتق رقبة كفارة لانه قتل خطأ

(سرية)

(وفي) شوال بلغه عليه السلام أن عيينة بن حصن واعد جماعة من غطفان كانوا مقيمين قريباً من خيبر بأرض اسمها يمن وجبار للاغارة على المدينة فأرسل لهم بشير بن سعد في ثلاثمائة رجل فساروا اليهم يكمنون النهار ويسيرون الليل حتى أتوا محلتهم فأصابوا نعما كثيرة وتفرق الرعاء فأخبروا قومهم ففزعوا ولحقوا بعليا بلادهم ولم يظفر المسلمون إلا برجلين أسلما ثم رجعوا بالغنائم الى المدينة

﴿ عمرة القضاء ﴾

لما حال الحول على عمرة الحديبية خرج عليه السلام بمن صد معه فيها ليقضي عمرته واستخلف على المدينة أبا ذر الغفاري وساق معه الهدي ستين بدنة وأخرج معه السلاح حذراً من غدر قريش وكان معه مائة فرس عليها بشير بن سعد وأحرم عليه السلام من باب المسجد المدني ولما انتهى إلى ذي الحليفة قدم الخيل أمامه فقيل يارسول الله حملت السلاح وقد شرطوا أن لا نحمله فقال عليه السلام لا ندخل

الحرم به ولكن يكون قريباً منا فان هاجنا هائج فزعنا له فلما كان بمر الظهران قابله نفر من قريش ففزعوا من هذه العدة وأسرعوا الى قومهم فأخبروهم فجاءه فتيان منهم وقالوا والله يا محمد ما عرفت بالغدر صغيراً ولا كبيراً وإنا لم نحدث حدثاً فقال انا لا ندخل الحرم بالسلاح ولما حان وقت دخوله مكة خرج أهلوها كارهين رؤية المسلمين يطوفون بالبيت فدخل عليه السلام وأصحابه متوشحين سيوفهم من ثنية كداء وأمامه عبد الله بن رواحة يقول لا إله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده وطاف عليه السلام بالبيت وهو على راحلته واستلم الحجر بمحجنه وأمر أصحابه أن يسرعوا ثلاثة أشواط إظهارا للقوة لان المشركين قالوا سيطوف اليوم بالكعبة قوم نهكتهم حمى يثرب فقال عليه السلام رحم الله امرأ أراهم من نفسه قوة واضطبع عليه السلام بردائه وكشف عضده اليمنى شأن الفتوة وفعل مثله المسلمون وقد أتم المسلمون طوافهم بالبيت آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين كما رأى عليه السلام في منامه

(زواج ميمونة)

وتزوج صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج عمه حمزة بن عبد المطلب شهيد أحد وخالة عبد الله بن العباس وهي آخر نسائه زواجاً ولم يدخل بها إلا بعد الخروج من مكة حيث كان بسرف (١) ولما خرج عليه السلام أمر الذين كان تركهم لحراسة الخيل بالذهاب ليطوفوا ففعلوا ثم رجع عليه السلام الى المدينة فرحاً مسروراً بما حباه الله به من تصديق رؤياه

(السنة الثامنة)

---

(١) موضع قرب التنعيم

﴿ سرية ﴾

وفى صفر أرسل عليه السلام غالب بن عبد الله الليثى الى بني الملوح وهم قوم من العرب يسكنون بالكديد(١) فسار القوم حتي اذا كانوا بقديد التقوا بالحارث بن مالك الليثي المعروف بابن البرصاء وكان خصماً لدوداً للمسلمين فأسروه فقال لهم ماجئت الا للاسلام فقالوا له ان تكن مسلماً لن يضرك رباط ليلة والا استوثقنا منك ثم ساروا حتى وصلوا محلة بني الملوح فاستاقوا النعم والشاء وخرج الصريخ الى القوم فجاءهم مالا قبل لهم به ولكن من الله على المسلمين فأرسل سيلا شديداً حال بينهم وبين عدوهم حتي صار المشركون يرون نعمهم تساق وهم لا يقدرون على ردها

« سرية »

ولما رجع غالب الى المدينة ظافراً أرسله عليه السلام فى مائتي رجل ليقتص من بنى مرة بفدك وهم الذين أصابوا سرية بشير بن سعد فساروا حتى اذا كانوا قريباً من القوم خطب غالب فيمن معه فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه (أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وأن تطيعوني ولا تخالفوا لى أمراً فانه لا رأى لمن لا يطاع) ثم آخي بين الجند فقال يافلان أنت وفلان ويافلان أنت وفلان لا يفارق أحد منكم زميله وإياكم أن يرجع الرجل منكم فأقول له أين صاحبك فيقول لا أدرى فاذا كبرت فكبروا فلما أحاطوا بالعدو وكبر كبروا وجردوا السيوف فلم يفلت من عدوهم أحد واستاقوا نعمهم فكان لكل واحد من الغزاة عشرة أبعرة

﴿ سرية ﴾

---

(١) موضع بين عسفان وقديد

(وفى) ربيع الاول أرسل عليه السلام كعب بن عمير الغفاري الى ذات اطلاح من أرض الشام في خمسة عشر رجلاً فوجدوا جمعاً كثيراً فدعوهم الى الاسلام فلم يجيبوا وقاتلوا وكانوا أكثر عدداً فاستشهد المسلمون عن آخرهم إلا رئيسهم كعب بن عمير فانه نجا وأتى بالخبر الى رسول الله فشق عليه وأراد أن يبعث اليهم من يقتص منهم فبلغه أنهم تحولوا من منزلهم فعدل عن ذلك

(غزوة مؤتة)

جهز عليه السلام فى جمادى الاولى جيشاً للقصاص ممن قتلوا الحارث بن عمير الأزدي رسوله الى أمير بصرى وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال لهم ان أصيب فالامير جعفر بن أبى طالب فان أصيب فعبد الله بن رواحة وكان عدة الجيش ثلاثة آلاف فساروا وشيعهم عليه السلام وكان فيما وصاهم به (غزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام وستجدون فيها رجالا في الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ولا بصيرا فانياً ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناء) ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا مؤتة (١) مقتل الحارث بن عمير وهناك وجدوا الروم قد جمعوا لهم جمعاً عظيما منهم ومن العرب المتنصرة فتفاوض رجال الجيش فيما يفعلونه أيرسلون لرسول الله يطلبون منه مدداً أم يقدمون على الحرب فقال عبد الله بن رواحة ياقوم والله ان الذى تكرهون هو ماخرجتم له خرجتم تطلبون الشهادة ونحن مانقاتل بقوة ولا بكثرة مانقاتل الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانما هي احدى الحسنيين إما الظهور وإما الشهادة فقال الناس صدق والله ابن رواحة ومضوا للقتال فلقوا هذه الجموع المتكاثرة فقاتل زيد بن حارثة رضي

---

(١) قرية قريبة من الكرك وهى مشارف الشام

الله عنه حتى استشهد فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب وهو يقول

ياحبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
علي إذ لاقيتها ضرابها

ولم يزل يقاتل حتى استشهد رضي الله عنه فأخذ الراية عبد الله بن رواحة فتقدم ثم تردد بعض التردد فقال يخاطب نفسه

أقسمت يانفس لتنزلنه طائعة أولا لتكرهنه
ان أجلب الناس وشدوا الرنة مالي أراك تكرهين الجنة
قد طالما كنت مطمئنة هل أنت الا نطفة في شنة

ثم اقتحم بفرسه المعمعة ولم يزل يقاتل رضى الله عنه حتى استشهد فهم بعض المسلمين بالرجوع الى الوراء فقال لهم عقبة بن عامر ياقوم يقتل الانسان مقبلا خير من أن يقتل مدبرا فتراجعوا واتفقوا على تأمير الشهم الباسل خالد ابن الوليد وبهمته ومهارته الحربية حمى هذا الجيش من الضياع اذ ما تفعل ثلاثة آلاف بمائة وخمسين الفا فانه لما أخذ الراية قاتل يومه قتالا شديدا وفي غده خالف ترتيب العسكر فجعل الساقة مقدمة والمقدمة ساقة والميمنة ميسرة والميسرة ميمنة فظن الروم أن المدد جاء للمسلمين فرعبوا ثم أخذ خالد الجيش وصار يرجع الى الوراء حتى انحاز الى مؤتة ثم مكث يناوش الاعداء سبعة أيام ثم تحاجز الفريقان لان الكفار ظنوا أن الامداد تتوالى للمسلمين وخافوا أن يجروهم الى وسط الصحارى حيث لا يمكنهم التخلص وبذلك انقطع القتال وقد نعي النبي صلى الله عليه وسلم زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس قبل أن

يأتيهم خبرهم فقال أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب وكانت عينا رسول الله تذرفان ثم قال حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتي فتح الله عليهم وجاءه رجل فقال يارسول الله ان نساء جعفر يبكين فأمره أن ينهاهن فذهب الرجل ثم أتي فقال قد نهيتهن فلم يطعن فأمره فذهب ثانيا ثم جاء فقال والله لقد غلبننا فقال له عليه السلام احث فى أفواههن التراب ولما أقبل الجيش الى المدينة قابلهم المسلمون يقولون لهم يافرار فقال عليه السلام بل هم الكرار : ظن المقيمون بالمدينة أن انحياز خالد بالجيش هزيمة ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراهم أن ذلك من مكايد الحرب وأثنى على خالد في مهارته

﴿ سرية ﴾

وفى جمادى الآخرة بلغه عليه السلام أن جمعاً من قضاعة يتجمعون فى ديارهم وراء وادى القرى ليغيروا على المدينة فأرسل لهم عمرو بن العاص فى ثلاثمائة رجل من سراة المهاجرين ثم أمده بأبي عبيدة بن الجراح فى مائتين من المهاجرين فيهم أبو بكر وعمر فلحقوا عمرا قبل أن يصل الى القوم وقد أراد رجال من الجيش ايقاد نار فمنعهم عمرو فأنكر عليه عمر بن الخطاب فقال أبو بكر انما بعثه رسول الله علينا رئيسا لمعرفته بالحرب أكثر منا فلا تعصه فامتثل ولما حلوا بساحة القوم حملوا عليهم فلم يكن أكثر من ساعة حتى تفرق الأعداء منهزمين فجمعوا غنائمهم وأرادوا اتباع أثرهم فمنعهم قائدهم ثم رجعوا الى المدينة ظافرين وبينماهم فى الطريق أدركت عمرو بن العاص جنابة فى ليلة باردة فلما أصبح قال ان أنا اغتسلت هلكت والله يقول (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) ثم تيمم وصلى ثم أمر بالسير حتى اذا وصلوا المدينة قام رسول

الله عليه السلام يسأل عن أنباء سفرهم كما هي عادته فأخبروه بما نقموه من عمرو بن العاص من نهيهم عن ايقاد النار ونهيهم عن اتباع العدو وصلاته جنبا فسأله عليه السلام عن ذلك فقال منعتهم من إيقاد النار لئلا يرى العدو قلتهم فيطمع فيهم ونهيتهم عن اتباع العدو لئلا يكون له كمين وصليت جنباً لان الله يقول (ولا تلقوا بأيديكم الي التهلكة) وان أنا اغتسلت هلكت فتبسم عليه السلام وأثني على عمرو خيرا

(سرية)

وفي رجب أرسل عليه السلام أباعبيدة عامر بن الجراح فى ثلاثمائة فارس لغزو قبيلة جهينة التى تسكن ساحل البحر وزود عليه السلام هذا الجيش جرابا من التمر فساروا حتي اذا وصلوا الساحل أقاموا فيه نحو نصف شهر ينتظرون العدو وقد فنى زادهم حتى أكلوا الخبط وهو ورق السمر يبلونه بالماء ويأكلونه الى أن تقرحت أشداقهم وكان فى القوم الكريم ابن الكريم قيس بن عبادة فنحر لهم ثلاث جزر فى كل يوم جزور وفى اليوم الرابع أراد أن ينحر فنهاه رئيسه أبو عبيدة لان قيسا كان أخذ تلك الجزر بدين على أبيه فخاف أبو عبيدة أن لا يفى له أبوه بما استدان فقال قيس أترى سعدا يقضى ديون الناس ويطعم فى المجاعة ولا يقضي ديناً استدنته لقوم مجاهدين فى سبيل الله ولما يئسوا من لقاء عدوهم رجعوا الى المدينة فقال قيس بن سعد لابيه كنت فى الجيش فجاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نهيت

(غزوة الفتح الاعظم)

اذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه وأزال موانعه فقد كان عليه السلام يعلم أنه لا تذل العرب حتى تذل قريش ولا تنقاد البلاد حتى تنقاد مكة فكان يتشوف لفتحها ولكن كان يمنعه من ذلك العهود التى أعطاها قريشا فى الحديبية وهو سيد من وفى ولكن اذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه فقد علمت أن قبيلة خزاعة دخلت فى عهد رسول الله وقبيلة بكر دخلت فى عهد قريش وكان بين خزاعة وبكر دماء فى الجاهلية كمنت نارها بظهور الاسلام فلما حصلت الهدنة وقف رجل من بكر يتغنى بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم علي مسمع من رجل خزاعي فقام هذا وضربه فحرك ذلك كامن الاحقاد وتذكر بنو بكر ثارهم فشدوا العزيمة لحرب خصومهم واستعانوا بأوليائهم من قريش فاعانوهم سرا بالعدة والرجال ثم توجهوا الى خزاعة وهم آمنون فقتلوا منهم ما يربو على العشرين ولما رأى ذلك حلفاء السيد الامين أرسلوا منهم وفد برياسة عمرو بن سالم الخزاعى ليخبر رسول الله بما فعل بهم بنو بكر وقريش فلما حلوا بين يديه وأخبروه الخبر قال والله لامنعنكم مما أمنع نفسى منه أما قريش فانهم لما رأوا أن ما عملوه نقض للعهود التى أخذت عليهم ندموا علي مافعلوا و ارادوا مداواة هذا الجرح فأرسلوا قائدهم أباسفيان بن حرب الى المدينة ليشد العقد ويزيد في المدة فركب راحلته وهو يظن أنه لم يسبقه أحد حتى اذا جاء المدينة نزل علي ام المؤمنين أم حبيبة بنته وقد أراد أن يجلس علي فراش رسول الله فطوته عنه فقال يابنية أرغبت به عني أم رغبت بى عنه فقالت ماكان لك أن تجلس على فراش رسول الله وأنت مشرك نجس فقال لقد اصابك بعدى شر ثم خرج من عندها وأتى النبى في المسجد وعرض عليه

ماجاء له فقال عليه السلام هل كان من حدث قال لا فقال عليه السلام فنحن على مدتنا وصلحنا ولم يزد عن ذلك فقام أبو سفيان ومشى الى أكابر المهاجرين من قريش علهم يساعدونه على مقصده فلم يجد منهم معينا وكلهم قالوا جوارنا في جوار رسول الله فرجع الى قومه ولم يصنع شيئاً فاتهموه بأنه خانهم واتبع الاسلام فتنسك عند الاوثان لينفي عن نفسه هذه التهمة (أما) رسول الله صلى الله عليه وسلم فتجهز للسفر وأمر أصحابه بذلك وأخبر الصديق بالوجهة فقال له يارسول الله أوليس بينك وبين قريش عهد قال نعم ولكن غدروا ونقضوا ثم استنفر عليه السلام الاعراب الذين حول المدينة وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة فقدم جمع من قبائل أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وطوى عليه السلام الاخبار عن الجيش كيلا يشيع الامر فتعلم قريش فتستعد للحرب والرسول عليه السلام لا يريد أن يقيم حربا بمكة بل يريد انقياد أهلها مع عدم المساس بحرمتها فدعا مولاه جل ذكره وقال (اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها) فقام حاطب بن أبي بلتعة أحد الذين شهدوا بدرا وكتب كتاباً لقريش يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرسله مع جارية لتوصله الى قريش على جعل فأعلم الله رسوله ذلك فأرسل في أثرها علياً والزبير والمقداد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقوا حتى أتوا الروضة فوجدوا بها المرأة فقالوا لها أخرجي الكتاب قالت مامعي كتاب فقالوا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب فأخرجته من عقاصها فاتوا به رسول الله فقال عليه السلام ياحاطب ماهذا قال يارسول الله لا تعجل على

اني كنت حليفا لقريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال عليه السلام أما انه قد صدقكم فقال عمر دعني يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفر لكم وفي ذلك أنزل الله سورة الممتحنة (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) ثم سار عليه السلام بهذا الجيش العظيم في منتصف رمضان بعد أن ولى على المدينة ابن أم مكتوم وكانت عدة الجيش عشرة آلاف مجاهد ولما وصل الابواء لقيه اثنان كانا من اشد أعدائه وهما ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب شقيق عبيدة بن الحارث شهيد بدر وصهره عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة شقيق زوجه أم سلمة وكانا يريدان الاسلام فقبلهما عليه السلام وفرح بهما شديد الفرح وقال (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) ولما وصل عليه السلام الكديد رأى ان الصوم شق على المسلمين فأمرهم بالفطر وأفطر هو أيضا وقد قابل عليه السلام في الطريق عمه العباس بن عبد المطلب مهاجرا باهله وعياله فأمره ان يعود معه الى مكة ويرسل عياله الى المدينة ولما وصل عليه السلام مر الظهران أمر بايقاد عشرة آلاف نار وكان قريش قد بلغهم ان محمدا زاحف بجيش عظيم لا تدري

وجهته فأرسلوا أبا سفيان بن حرب وحكيم بن حزام و بديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران فاذاهم بنيران كانها نيران عرفة فقال أبو سفيان ماهذه لكانها نيران عرفة فقال بديل بن ورقاء نيران بني عمرو فقال أبو سفيان عمرو أقل من ذلك فرآهم ناس من حرس رسول الله فادركوهم فأخذوهم فأتوا بهم رسول الله فأسلم أبو سفيان فلما سار قال للعباس احبس أباسفيان عند خطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان وهو يسأل عنها ويقول مالى ولها حتى اذا مرت به قبيلة الانصار وحامل رايتها سعد بن عبادة فقال سعد يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال أبو سفيان يا عباس حبذا يوم الذمار ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب فيها رسول الله وأصحابه وحامل الراية الزبير بن العوام فأخبر أبو سفيان رسول الله بمقالة سعد فقال عليه السلام كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة ثم أمر عليه السلام ان تركز رايته بالحجون (١) وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أسفل مكة من كدى (٢) ودخل هو من أعلاها من كداء ونادى مناديه من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن وهذه أعظم منة له واستثنى من ذلك جماعة عظمت ذنوبهم وآذوا الاسلام وأهله عظيم الاذى فاهدر دمهم وان تعلقوا باستار الكعبة منهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح الذى أسلم وكتب لرسول الله الوحي

---

(١) جبل بمعلاة مكة (٢) كدى كقوى جبل مسفلة مكة على طريق اليمن وكداء كسحاب جبل بأعلى مكة

ثم ارتد وافترى الكذب على الامين المأمون فكان يقول ان محمدا كان يامرني أن أكتب عليم حكيم فا كتب غفور رحيم فيقول كل جيد ومنهم عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وهبار بن الاسود والحارث بن هشام وزهير بن ابي أمية وكعب بن زهير ووحشي قاتل حمزة وهند بنت عتبة زوج أبي سفيان وقليل غيرهم ونهى عن قتل واحد سوى هؤلاء إلا من قاتل فاما جيش خالد بن الوليد فقابله الذعر من قريش يريدون صده فقاتلهم وقتل منهم أربعة وعشرين وقتل من جيشه اثنان ودخلها عنوة من هذه الجهة واما جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يصادف مانعا وهو عليه السلام راكب راحلته منحن على الرحل تواضعا لله وشكر اله على هذه النعمة حتي تكاد جبهته تمس الرحل وأسامة بن زيد رديفه وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان حتى وصل الى الحجون موضع رايته وقد نصبت له هناك قبة فيها أم سلمة وميمونة فاستراح قليلا ثم سار و بجانبه أبو بكر يحادثه وهو يقرأ سورة الفتح حتى بلغ البيت وطاف سبعا على راحلته واستلم الحجر بمحجنه وكان حول الكعبة اذذاك ثلاثمائة وستون صنما فجعل عليه السلام يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل وما يبدىء الباطل وما يعيد ثم أمر بالآلهة فأخرجت من البيت وفيها صورة اسماعيل وابراهيم في أيديهما الازلام فقال عليه السلام قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط وهذا أول يوم طهرت فيه الكعبة من هذه المعبودات الباطلة وبطهارة الكعبة المقدسة عند جميع العرب باديها وحاضرها من هذه الادناس سقطت عبادة الاوثان من جميع بلاد العرب الا قليلا ويوشك ان نذكر للقارىء اختفاء آثارها ومحو عبادتها بالكلية

(العفو عند المقدرة)

ثم ان النبي صلي الله عليه وسلم دخل الكعبة وكبر فى نواحيها ثم خرج الى مقام ابراهيم وصلى فيه ثم شرب من زمزم وجلس فى المسجد والناس حوله والعيون شاخصة اليه ينتظرون ماهو فاعل بمشركى قريش الذين آذوه وأخرجوه من بلاده وقاتلوه ولكن هنا تظهر مكارم الاخلاق التى يلزم أن يتعلم منها المسلم أن يكون رضاه وغضبه لله لا لهوى النفس فقال عليه السلام يامعشر قريش ماتظنون أنى فاعل بكم قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم فقال عليه السلام اذهبوا فأنتم الطلقاء ويرحم الله الامام البوصيرى حيث قال

واذا كان القطع والوصل لله	تساوى التقريب والاقصاء
وسواء عليه فيما أتاه	من سره الملام والاطراء
ولو أن انتقامه لهوى النف	س لدامت قطيعة وجفاء
قام لله في الامور فأرضي الله	منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينض	ح الا بما حواه الاناء

ثم خطب عليه السلام خطبة أبان فيها كثيراً من الاحكام الاسلامية منها أن لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام إلا مع ذى محرم ولا صلاة بعد الصبح والعصر ولا يصام يوم الاضحى ويوم الفطر ثم قال يامعشر قريش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء والناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية (ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم

خبير) ثم شرع الناس يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وممن أسلم فى هذا اليوم معاوية بن أبي سفيان وأبو قحافة والد الصديق وقد فرح الرسول كثيراً باسلامه وجاءه رجل يرتعد خوفاً فقال له عليه السلام (هون عليك فانى لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد)

أما الذين أهدر رسول الله دمهم فقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت فمنهم من حقت عليه كلمة العذاب فقتل ومنهم من أدركته عناية الله فأسلم فعبد الله بن سعد بن أبى سرح لجأ الى أخيه من الرضاع عثمان بن عفان وطلب منه أن يستأمن له رسول الله فغيبه عثمان حتى هدأ الناس ثم أتى به النبي وقال يارسول الله قد أمنته فبايعه فأعرض عنه عليه السلام مراراً ثم بايعه فلما خرج عثمان وعبد الله قال عليه السلام أعرضت عنه ليقوم اليه أحدكم فيضرب عنقه فقالوا هلا أشرت الينا فقال لا ينبغى لنبي أن تكون له خائنة الاعين وأما عكرمة بن أبي جهل فهرب فخرجت وراءه زوجته وبنت عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام وكانت قد أسلمت قبل الفتح وقد أخذت له أماناً من رسول الله فلحقته وقد أراد أن يركب البحر فقالت جئتك من عند أبر الناس وخيرهم لا تهلك نفسك واني قد استأمنته لك فرجع ولما رآه عليه السلام وثب قائماً فرحاً به وقال مرحباً بمن جاءنا مهاجراً مسلماً ثم أسلم رضى الله عنه وطلب من رسول الله أن يستغفر له كل عداوة عاداه إياها فاستغفر له وكان رضي الله عنه بعد ذلك من خيرة المسلمين وأغيرهم على الاسلام وأما هبار بن الاسود فهرب واختفى حتى اذا كان رسول الله بالجعرانة (١) جاءه مسلماً وقال يارسول الله هربت منك وأردت اللحاق بالاعاجم ثم ذكرت

---

(١) موضع بين مكة والطائف وبعضهم يضبطه بسكون العين وفتح الراء مخففة

عائدتك وصلتك وصفحك عمن جهل عليك وكنا يارسول الله أهل شرك فهدانا الله بك وأنقذنا من الهلكة فاصفح الصفح الجميل فقال عليه السلام قد عفوت عنك (وأما) الحارث بن هشام وزهير بن أبى أمية المخزومى فأجارتهما أم هانىء بنت أبي طالب فأجاز عليه السلام جوارها ولما قابل رسول الله الحارث بن هشام مسلما قال له الحمد لله الذى هداك ما كان مثلك يجهل الاسلام وقد كان بعد ذلك من فضلاء الصحابة (وأما) صفوان بن أمية فاختفي وأراد أن يذهب ويلقى نفسه في البحر فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحي وقال يانبى الله ان صفوان سيد قومه وقد هرب ليقذف نفسه فى البحر فأمنه فانك قد أمنت الاحمر والاسود فقال عليه السلام أدرك ابن عمك فهو آمن فقال أعطنى علامة فاعطاه عمامته فاخذها عمير حتي اذا لقى صفوان قال له فداك أبي وأمى جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس وهو ابن عمك وعزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال صفوان انى أخافه على نفسى قال هو أحلم من ذلك وأكرم وأراه العمامة علامة الامان فرجع الى رسول الله وقال له ان هذا يزعم انك أمنتنى قال صدق قال امهلنى بالخيار شهرين قال اربعة أشهر ثم أسلم رضي الله عنه وحسن اسلامه (واما) هند بنت عتبة فاختفت ثم أسلمت وجاءت الى رسول الله فرحب بها وقالت له والله يارسول الله ما كان على ظهر الارض أهل خباء أحب الي أن يذلوا من اهل خبائك ثم ما أصبح اليوم أهل خباء أحب الى أن يعزوا من أهل خبائك

﴿ وفود كعب بن زهير ﴾

(وأما) كعب بن زهير فلما ضاقت به الارض ولم يجد له مجيرا جاء المدينة بعد

ان قدمها رسول الله من مكة فاسلم وأنشد قصيدته التي يقول فيها

وقال كل صديق كنت آمله ... لا ألهينك انى عنك مشغول

فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم ... فكل ما قدر الرحمن مفعول

كل ابن أنثى وان طالت سلامته ... يوماً على آلة حدباء محمول

أنبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ ... قرآن فيها مواعيظ وتفصيل

(وقال فيها مادحاً)

ان الرسول لسيف يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

ولما قال هذا البيت خلع عليه الرسول بردته (وأما) وحشي قاتل حمزة فكذلك أسلم وحسن اسلامه وقبله عليه الصلاة والسلام وقد جاءه ابنا أبي لهب عتبة ومعتب فأسلما وفرح بهما عليه السلام

وكان من الذين اختفوا سهيل بن عمرو فاستأمن له ابنه عبد الله فأمنه عليه السلام وقال ان سهيلا له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الاسلام فلما بلغت هذه المقالة سهيلا قال كان والله براً صغيراً براً كبيراً ثم أسلم بعد ذلك

(بيعة النساء)

هذا ولما تمت بيعة الرجال بايعه النساء وكن يبايعن على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصين الرسول في معروف (ثم) أمر عليه السلام بلالا أن يؤذن على ظهر الكعبة وهذا بدء ظهور الاسلام على ظهر البيت الكريم فلا عجب أن اتخذ المسلمون هذا اليوم عيداً يحمدون فيه الله حق حمده

على هذه النعمة الكبرى والنصر العظيم

وأقام عليه السلام بمكة بعد فتحها تسعة عشر يوماً يقصر فيها الصلاة وولي عليها عتاب بن اسيد وجعل رزقه كل يوم درهما فكان عتاب رضى الله عنه يقول لا أشبع الله بطناً جاع على درهم كل يوم

﴿ هدم العزى ﴾

(وفي الخامس) من مقامه عليه السلام بمكة أرسل خالد بن الوليد فى ثلاثين فارسا لهدم هيكل العزى وهي أكبر صنم لقريش وكان هيكلها يبطن نخلة فتوجه اليها خالد وهدمها

(هدم سواع)

(وأرسل عليه السلام) عمرو بن العاص لهدم سواع وهو أعظم صنم لهذيل وهيكله على ثلاثة أميال من مكة فذهب اليه وهدمه

(هدم مناة)

(وبعث) سعد بن زيد الاشهلى فى عشرين فارساً لهدم مناة وهى صنم لكلب وخزاعة وهيكلها بالمشلل وهو جبل على ساحل البحر يهبط منه الى قديد فتوجهوا اليها وهدموها

(غزوة حنين)

بهذا الفتح العظيم وسقوط دولة الاوثان دانت للاسلام جموع العرب ودخلوا فيه أفواجاً أما قبيلتا هوازن وثقيف فأدركتهما حمية الجاهلية واجتمع الاشراف منهم للشورى وقالوا قد فرغ محمد من قتال قومه ولا ناهية له عنا فلنغزه قبل أن يغزونا فأجمعوا أمرهم على ذلك وولوا رياستهم مالك بن عوف

النصرى فاجتمع له من القبائل جموع كثيرة فيهم بنو سعد بن بكر الذين كان رسول الله مسترضعا فيهم وكان فى القوم دريد بن الصمة المشهور باصالة الرأى وشدة البأس فى الحرب ولتقدم سنه لم يكن له فى هذه الحرب الا الرأى ثم ان مالك بن عوف أمر الناس أن يأخذوا معهم نساءهم وذراريهم وأموالهم فلما علم بذلك دريد سأل مالكا عن السبب فقال سقت مع الناس أموالهم وذراريهم ونساءهم لاجعل خلف كل رجل أهله وماله يقاتل عنه فقال دريد وهل يرد المنهزم شىء ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك فلم يقبل مالك مشورته وجعل النساء صفوفا وراء المقاتلة ووراءهم الابل ثم البقر ثم الغنم كيلا يفر أحد من المقاتلين (أما) رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما بلغه أن هوازن وثقيف يستعدون لحربه أجمع رأيه على المسير اليهم وخرج معه اثنا عشر ألف غاز منهم ألفان من أهل مكة والباقون هم الذين أتوا معه من المدينة وخرج أهل مكة ركبانا ومشاة حتى النساء يمشين من غير ضعف يرجون الغنائم وخرج فى الجيش ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو ولما قرب الجيش من معسكر العدو صف عليه السلام الغزاة وعقد الالوية فأعطى لواء المهاجرين لعلى بن أبى طالب ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ولواء الاوس لاسيد بن حضير وكذلك أعطى ألوية لقبائل العرب الاخرى ثم ركب عليه السلام بغلته ولبس درعين والبيضة والمغفر هذا وقد أعجب المسلمون بكثرتهم فلم تغن عنهم شيئا فان مقدمة المسلمين توجهت جهة العدو فخرج لهم كمين كان مستترا فى شعاب الوادى ومضايقه وقابلهم بنبل كانه الجراد المنتشر

فلووا أعنة خيلهم متقهقرين ولما وصلوا الى من قبلهم تبعوهم في الهزيمة لما لحقهم من الدهشة أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت على بغلته في ميدان القتال وثبت معه قليل من المهاجرين والانصار منهم أبو بكر وعمر وعلى والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحارث واخوه ربيعة بن الحارث ومعتب بن أبى لهب وكان العباس آخذا بلجام البغلة وأبو سفيان آخذ بالركاب وكان عليه السلام ينادى الى أيها الناس ولا يلوى عليه أحد وضاقت بالمنهزمين الارض بما رحبت أما رجال مكة الذين هم حديثو عهد بالاسلام والذين لم ينزعوا عنهم ربقة الشرك فمنهم من فرح ومنهم من ساءه هذا الادبار فقال أبو سفيان بن حرب لا تنتهى هزيمتهم دون البحر وقال أخ لصفوان بن أمية الآن بطل السحر فقال له صفوان وهو على شركه اسكت فض الله فاك والله لان يربنى رجل من قريش خير من أن يربنى رجل من هوازن ومر عليه رجل من قريش وهو يقول أبشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجبرونها أبدا فغضب صفوان وقال ويلك أتبشرنى بظهور الاعراب وقال عكرمة بن أبى جهل لذاك الرجل كونهم لا يجبرونها أبدا ليس بيدك الامر بيد الله ليس الى محمد منه شيء ان أديل عليه اليوم فان العاقبة له غدا فقال سهيل بن عمرو والله ان عهدك بخلافه لحديث فقال له يا أبا يزيد انا كنا على غير شيء وعقولنا ذاهبة نعبد حجرا لا يضر ولا ينفع (وبلغت) هزيمة بعض الفارين مكة كل هذا ورسول الله واقف مكانه يقول انا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم قال للعباس وكان جهورى الصوت ناد بالانصار ياعباس فنادى يامعشر الانصار يا أصحاب بيعة الرضوان فأسمع من في الوادى وصار الانصار يقولون لبيك لبيك ويريد كل واحد منهم أن يلوي عنان بعيره فيمنعه

من ذلك كثرة الاعراب المنهزمين فيأخذ درعه فيقذفها فى عنقه ويأخذ سيفه وترسه وينزل عن بعيره ويخلي سبيله ويؤم الصوت حتى اجتمع حول رسول الله جمع عظيم منهم وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم يروها فكر المسلمين على عدوهم يدا واحدة فانتكث فتل المشركين وتفرقوا فى كل وجه لا يلوون على شيء من الاموال والنساء والذراري وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فأخذوا النساء والذراري وأسروا كثيرا من المحاربين وهرب من هرب وجرح فى هذا اليوم خالد بن الوليد جراحات بالغة وأسلم ناس كثيرون من مشركي مكة لما رأوه من عناية الله بالمسلمين

(هذا) والذى حصل فى هذه الغزوة درس منهم من دروس الحرب فان هذا الجيش دخله أخلاط كثيرون من مشركين وأعراب وحديثى عهد باسلام هؤلاء سيان عندهم نصر الاسلام وخذ لانه ولذلك بادروا لاول صدمة الى الهزيمة وكادت تتم الكلمة على المسلمين لولا فضل الله فلا ينبغي أن يكون فى الجيش الا من يقاتل خالصا مخلصا من قلبه ليكون مدافعاً حقا عن دينه فلا تميل نفسه الى الفرار خشية ما أعده الله للفارين من أليم العقاب

ثم أمر عليه السلام بجمع السبى والغنائم وكانت نحو أربعة وعشرين ألف بعير وأكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية من الفضة فجمع ذلك كله بالجعرانة (أما) المشركون فتفرقوا ثلاث فرق فرقة لحقت بالطائف وفرقة لحقت بنخلة وفرقة عسكرت بأوطاس (١)

---

١) وادبديار هوازن

(سرية)

فأرسل عليه السلام لهذه الفرقة أباعامر الاشعرى في جماعة منهم أبو موسي الاشعرى فسار اليهم وبددهم وظفر بما بقي معهم من الغنائم وقد استشهد أبو عامر فى هذه الغزوة وخلف على الغزاة ابن أخيه أباموسي فرجع ظافرا منصورا

(غزوة الطائف) وسار عليه السلام بمن معه الى الطائف ليجهز على بقية حياة ثقيف ومن تجمع معهم من هوازن وجعل على مقدمته خالد بن الوليد ومر عليه السلام بحصن لعوف بن مالك النصرى فأمر بهدمه ومر ببستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فأرسل اليه أن اخرج والا حرقنا عليك بستانك فامتنع الرجل فأمر عليه السلام بحرقه ولما وصل المسلمون الى الطائف وجدوا الاعداء قد تحصنوا به وأدخلوا معهم قوت سنتهم فعسكر المسلمون قريب الحصن فرماهم المشركون بالنبل رميا شديدا حتى أصيب منهم كثيرون بجراحات منهم عبد الله بن أبى بكر وقد طاوله جرحه حتي أماته فى خلافة أبيه ومنهم أبو سفيان بن حرب ففقئت عينه وقدمات بالجراحات اثناعشر رجلا من المسلمين ولما رأي رسول الله أن العدو متمكن من رميهم ارتفع الى محل مسجد الطائف الآن وضرب لام سلمة وزينب قبتان هناك واستمر الحصار ثمانية عشر يوما كان فيها ينادي خالد بن الوليد بالبراز فلم يجبه أحد وناداه عبد ياليل عظيم ثقيف لا ينزل اليك منا أحد ولكن نقيم فى حصننا فان فيه من الطعام ما يكفينا سنين فاذا أقمت حتى يفنى هذا الطعام خرجنا اليك باسيافنا جميعا حتى نموت عن آخرنا فامر عليه السلام بان ينصب عليهم المنجنيق فنصب ودخل جمع من الاصحاب تحت دبابتين (١)

---

(١) الدبابة آلة تتخذ للحروب فتدفع فى اصل الحصن فينقبون وهم فى جوفها

لينقبوا الحصن فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار حتى رجعوهم فأمر عليه السلام أن تقطع أعنابهم ونخيلهم فقطع المسلمون فيها قطعاً ذريعاً فناداه أهل الحصن أن دعها لله وللرحم فقال أدعها لله وللرحم ثم أمر من ينادي بأن كل من ترك الحصن ونزل فهو آمن فخرج اليه بضعة عشر رجلاً ولما رأى عليه السلام أن تمنع ثقيف شديد وأن الفتح لم يؤذن فيه استشار نوفل بن معاوية الديلي في الذهاب أو المقام فقال يارسول الله ثعلب في جحر ان أقمت أخذته وان تركته لم يضرك فأمر عليه السلام بالرحيل وطلب منه بعض الصحابة أن يدعو على ثقيف فقال (اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين)

(تقسيم السبي)

ثم رجع عليه السلام الى الجعرانة حيث ترك السبي فأحصاه وخمسه وأعطى منه شيئاً كثيراً لاناس ضعف إسلامهم يتالفهم بذلك وأعطى أناساً لم يسلموا ليحبب اليهم الاسلام ومن الاولين أبو سفيان أعطاه أربعين أوقية من الذهب ومائة من الابل وكذلك ابناه معاوية ويزيد فقال له بأبي أنت وأمي لأنت كريم في السلم والحرب ومنهم حكيم بن حزام أعطاه كأبي سفيان فاستزاده فاعطاه ثم استزاده فأعطاه مثلها وقال ياحكيم (ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى)فاخذ حكيم المائة الاولى وترك ماعداها ثم قال والذي بعثك بالحق لاأرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا فكان الخلفاء بعد رسول الله يعرضون عليه العطاء الذي يستحقه من بيت المال فلا يأخذه :وأعطى عليه السلام عيينة بن حصن مائة من الابل وكذلك

الاقرع بن حابس والعباس بن مرداس وأعطى صفوان بن أمية شعبا مملوءا نعما وشاه كان رآه يرمقه فقال له هل يعجبك هذا قال نعم قال هو لك فقال صفوان ماطابت بمثل هذا نفس أحد وكان ذلك سبب اسلامه . وكان عليه السلام يقصد من هذه العطايا تأليف القلوب وجمعها على الدين القويم وهذا ضرب من ضروب السياسة الدينية حتى جعل من الصدقات قسم للمؤلفة قلوبهم وقد عاد ذلك بفائدة عظمى فان كثيرين ممن أعطوا فى هذا اليوم ولم يكونوا أشربوا فى قلوبهم حب الاسلام صاروا بعد من أجلاء المسلمين وأعظمهم نفعا كصفوان ابن أمية ومعاوية بن أبي سفيان والحارث بن هشام وغيرهم ثم أمر عليه السلام زيد بن ثابت فاحصي مابقى من الغنائم وقسمه على الغزاة بعد أن اجتمع اليه الاعراب وصاروا يقولون له اقسم علينا حتى ألجؤه الى شجرة فتعلق رداؤه فقال (ردوا ردائي أيها الناس فوالله إن كان لي شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ثم ماألفيتمونى بخيلا ولاجبانا ولا كذوبا) ثم قام الى بعيره وأخذ وبرة من سنامه وقال (أيها الناس والله مالى من غنيمتكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم فأدوا الخياط والمخيط فان الغلول (١) يكون على أهله عارا وشنارا ونارا يوم القيامة) فصار كل من أخذ شيئا من الغنائم خلسة يرده ولو كان زهيدا ثم شرع يقسم فأصاب الراجل أربعة من الابل وأربعون شاة والفارس ثلاثة أمثال ذلك فقال رجل من المنافقين هذه قسمة ماأريد بها وجه الله فغضب عليه السلام حتى احمر وجهه وقال (ويحك من يعدل اذا لم أعدل) فلم يؤده غضبه أن ينتقم لنفسه حاشاه عليه السلام من ذلك بل لم يزد على أن نصح وحذر

---

(١) الاختلاس من الغنيمة

وقال له عمر وخالد بن الوليد دعنا يارسول الله نضرب عنقه فقال لا لعله أن يكون يصلي فقال خالد وكم من مصل يقول بلسانه ماليس في قلبه فقال صلى الله عليه وسلم اني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق عن بطونهم ولما أعطى رسول الله ما أعطى من تلك العطايا لقريش وقبائل العرب وترك الانصار غضب بعضهم حتي قالوا ان هذا لهو العجب يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فبلغه ذلك وأمر بجمعهم وليس معهم غيرهم فلما اجتمعوا قال يامعشر الانصار مامقالة بلغتني عنكم ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وعالة(١) فاغناكم الله بي وأعداء فألف الله بين قلوبكم بي ان قريشا حديثو عهد بكفر ومصيبة واني أردت أن اجبرهم وأتألفهم اغضبتم يامعشر الانصار في أنفسكم لشيء قليل من الدنيا ألفت به قوما ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم الثابت الذى لا يزلزل ألا ترضون يامعشر الانصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحلكم فو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعبا وسلك الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا ثم انصرف عليه السلام وتفرقوا

(وفود هوازن)

وبعد بضع عشرة ليلة جاءه صلى الله عليه وسلم وفد هوزان يرأسهم زهير ابن صرد وقالوا يارسول الله ان فيمن أصبتم الامهات والعمات والخالات وهن مخازى الاقوام ونرغب الى الله واليك يارسول الله : وقال زهير ان في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ثم قال أبياتا يستعطفه بها

---

(١) جمع عائل وهو الفقير

امنن علينا رسول الله فى كرم   فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها   إذفوك مملوءة من مخضها الدرر
انا لنشكر للنعماء ان كفرت   وعندنا بعدهذا اليوم مدخر
انا نؤمل عفوا منك نلبسه   هدي البرية أن تعفوا وتنتصر
فالبس العفو من قد كنت ترضعه   من أمهاتك ان العفو مشتهر

فقال عليه صلى الله عليه وسلم أن احب الحديث الى أصدقه فاختاروا احدي الطائفتين إما السبي واما المال وقد كنت انتظرتكم حتى ظننت أنكم لا تقدمون فقالوا اما كنا نعدل بالاحساب شيئا اردد علينا نساءنا وابناءنا فهو أحب الينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير فقال صلى الله عليه وسلم أما مالي ولبني عبد المطلب فهو لكم فاذا أنا صليت الظهر فقوموا وقولوا نحن نستشفع برسول الله الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله بعد أن تظهروا اسلامكم وتقولوا نحن اخوانكم فى الدين ففعلوا فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه (أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤا تائبين وانى قد رأيت أن أرد عليهم سبيهم فمن أحب أن يطيب بذلك فليفعل ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله وامتنع من ذلك جماعة من الاعراب كالاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والعباس بن مرداس فاخذه الرسول منهم قرضاً وأمر صلى الله عليه وسلم بان تحبس عائلة مالك بن عوف النصرى رئيس تلك الحرب بمكة عند عمتهم أم عبد الله ابن أبى أمية فقال له الوفد أولئك سادتنا فقال صلى الله عليه وسلم انما أريد بهم الخير ثم سأل عن مالك فقالوا هرب مع ثقيف فقال اخبروه انه ان

جاءني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل فلما بلغ ذلك مالكاً نزل من الحصن خفية حتى أتى رسول الله بالجعرانة فأسلم وأحرز ماله وأهله واستعمله عليه السلام على من أسلم من هوازن

(عمرة الجعرانة)

(ثم) ان الرسول صلى الله عليه وسلم اعتمر فأحرم من الجعرانة ودخل مكة بليل فطاف واستلم الحجر ثم رجع من ليلته وكانت إقامته بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة ثم أمر عليه السلام بالرحيل فسار الجيش آمناً مطمئناً حتى دخل المدينة لثلاث بقين من ذي القعدة

وغزوة حنين هي التي فرق الله بها جموع الشرك وأدال دولته وأفقد سراة أهله فان هوازن لم تترك وراءها رجلا تمكنه الحرب إلا ساقته ولم تترك لها بعيراً ولا شاة الا جاءت به معها فأراد الله اعزاز الاسلام بخذلان أعدائه وأخذ أموالهم فانكسرت حدة المشركين ولم يبق فيهم من ممانع أو يدافع ولذلك يمكننا أن نقول ان انكسار هوازن كان خاتمة لحروب العرب فلم يبق فيهم الا فئات قليلة يسوقهم الطيش الى شهر السلاح ثم لا يلبثون أن يغمدوا السيوف حينما تظهر لهم قوة الحق الساطعة

(سرية)

ولما رجع عليه السلام إلى المدينة أرسل قيس بن سعد في أربعمائة ليدعو صداء (قبيلة تسكن اليمن) الى الاسلام فجاء الى رسول الله رجل منهم فقال يارسول الله اني جئتك وافداً عمن ورائي فاردد الجيش وأنا لك بقومي فأمر عليه السلام برد الجيش

(وفود صداء)

وخرج الرجل الى قومه فقدم بخمسة عشر رجلا منهم فنزلوا ضيوفا على سعد بن عبادة ثم بايعوا رسول الله على الاسلام وقالوا نحن لك على من وراءنا من قومنا ولما رجعوا افشا فيهم الاسلام وقدم على رسول الله منهم مائة فى حجة الوداع

(سرية)

ثم أرسل عليه السلام بشر بن سفيان العدوى الى بنى كعب من خزاعة لاخذ صدقات أموالهم فمنعهم بنو تميم المجاورون لهم من أداء مافرض عليهم فلما علم بذلك رسول الله أرسل اليهم عيينة بن حصن فى خمسين فارسا من الاعراب فجاءهم وحاربهم وأخذ منهم أحد عشر رجلا واحدي وعشرين امرأة وثلاثين صبيا وتوجه بالكل الى المدينة فأمر عليه السلام بجعلهم فى دار رملة بنت الحارث

(وفود تميم)

فجاء فى أثرهم وفد تميم فيه عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم فجلسوا ينتظرون الرسول فلما أبطأ عليهم نادوا من وراء الحجرات بصوت جاف يامحمد اخرج الينا نفاخرك فان مدحنا زين وان ذمنا شين فخرج اليهم عليه السلام وقد تأذى من صياحهم وفيهم نزل فى أوائل سورة الحجرات (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم) وكان الوقت وقت الظهر فأذن بلال ودخل النبي للصلاة فتعلقوا به يقولون نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك فقال لهم عليه السلام (ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا) ثم صلى الظهر واجتمع حوله رجال الوفد يتفاخرون بمجدهم ومجد آبائهم وقد مدح عمرو بن

الاهتم الزبرقان بن بدر فقال انه لمطاع في أنديته سيد في عشيرته فقال الزبرقان حسدني يارسول الله لشرفي وقد علم أفضل مما قال فقال عمرو انه لزمن المروءة ضيق العطن لئيم الخال فرؤى الغضب في وجه رسول الله لاختلاف قولى عمرو فقال يارسول الله لقد صدقت في الاولى وما كذبت في الثانية رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أسوأ ما علمت فقال عليه السلام (ان من البيان لسحراً) ثم أسلم القوم فرد النبي عليه السلام عليهم أسراهم وأحسن جائزتهم وأقاموا مدة يتعلمون فيها القرآن ويتفقهون في الدين

(سرية)

ثم بعث عليه السلام الوليد بن عقبة بن أبي معيط لاخذ صدقات بني المصطلق فلما علموا بقدومه خرج منهم عشرون رجلا متقلدين سلاحهم احتفالا بقدومه ومعهم إبل الصدقة فلما نظرهم ظنهم يريدون حربه لما كان بينه وبينهم من العداوة في الجاهلية فرجع مسرعاً الى المدينة وأخبر الرسول ان القوم ارتدوا ومنعوا الزكاة فأرسل اليهم خالد بن الوليد لاستكشاف الخبر فسار اليهم في عسكره خفية حتى اذا كان بناديهم سمع مؤذنهم يؤذن بالصبح فأتاهم خالد فلم ير منهم الا الطاعة فرجع وأخبر الرسول فارسل عليه السلام لهم غير الوليد لاخذ الصدقات وفي الوليد نزل في أوائل الحجرات (ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)

(سرية)

ثم بلغ رسول الله ان جمعاً من الحبشة رآهم أهل جدة في مراكبهم

يريدون الاغارة عليها فارسل لهم علقمة بن مجزز فى ثلاثمائة فذهب حتي وصل جدة ونزل فى المراكب ليدركهم وكان الاحباش متحصنين فى جزيرة هناك فلما رأوا المسلمين يريدونهم هربوا ولم يلق المسلمين كيدا فرجع علقمة بمن معه ولما كان بالطريق أذن ليسرعان القوم أن يتعجلوا وأمر عليهم عبد الله بن حذافة السهمى وكان فيه دعابة فاوقد لهم فى الطريق ناراً وقال لهم ألستم مأمورين بطاعتى قالوا نعم قال عزمت عليكم إلا ما تواثبتم فى هذه النار فقال بعضهم ما أسلمنا الا فراراً من النار وهم بذلك بعضهم فمنعهم عبد الله وقال كنت مازحاً فلما ذكروا ذلك لرسول الله قال (لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق)

﴿ السنة التاسعة ﴾

(سرية)

فى ربيع الاول أرسل عليه السلام على بن أبي طالب في خمسين فارساً لهدم الفلس (صنم لطيىء) فسار اليه وهدمه وأحرقه ولما حارب عباده هزمهم واستاق نعمهم وشاءهم وسبيهم وكان فيه سفانة بنت حاتم طيىء ولما رجع على الى المدينة طلبت سفانة من رسول الله أن يمن عليها فأجابها لانه كان من سننه أن يكرم الكرام فدعت له وكان من دعائها (شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة كريم الا وجعلك سببك لردها عليه) وكانت هذه المعاملة من رسول الله سبباً في إسلام أخيها عدي ابن حاتم الطائي الذى كان فر الى الشام عند ما رأى الرايات الاسلامية قاصدة بلاده وكان من حديث مجيئه أن أخته توجهت اليه بالشام وأخبرته

بما عوملت به من الكرم فقال لها ما ترين فى أمر هذا الرجل فقالت أرى أن تلحق به سريعاً فان يكن نبياً فللسابق اليه فضل وان يكن ملكاً فأنت أنت قال والله هذا هو الرأى

(وفود عدي بن حاتم)

فخرج حتى جاء المدينة ولقى رسول الله فقال عليه السلام من الرجل قال عدي بن حاتم فأخذه الى بيته وبينما هما يمشيان اذ لقيت رسول الله امرأة عجوز ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها فقال عدى والله ماهو بملك ثم مضى رسول الله حتى اذا دخل بيته تناول وسادة من جلد محشوة ليفاً فقدمها الى عدى وقال اجلس على هذه فقال بل أنت تجلس عليها فامتنع عليه السلام وأعطاها له وجلس هو على الارض ثم قال ياعدي اسلم تسلم قالها ثلاثا فقال عدى انى على دين (وكان نصرانياً) فقال له عليه السلام انا اعلم بدينك منك فقال عدى أأنت أعلم بديني مني قال نعم ثم عدد له أشياء كان يفعلها اتباعا لقواعد العرب وليست من دين المسيح فى شيء كأخذه المرباع وهو ربع الغنائم ثم قال ياعدى انما يمنعك من الدخول في الدين ماترى تقول انما اتبعه ضعفة الناس ومن لاقدرة لهم وقد رمتهم العرب مع حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ماترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم أتعرف الحيرة قال لم أرها وقد سمعت بها قال فوالله ليتمن هذا الامر حتي تخرج المرأة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه انك ترى الملك والسلطان فى غيرهم وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض

بابل قد فتحت عليهم فاسلم عدى رضي الله عنه وعاش حتي رأي كل ذلك

(غزوة تبوك)

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الروم جمعت الجموع تريد غزوه فى بلاده وكان ذلك فى زمن عسرة الناس وجدب البلاد وشدة الحر حين طابت الثمار والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم فامر عليه السلام بالتجهز وكان قلما يخرج فى غزوة الا ورى بغيرها ليعمي الاخبار على العدو الا فى هذه الغزوة فانه أخبر بمقصده لبعد الشقة وكثرة العدو ليأخذ الناس عدتهم لذلك وبعث الى مكة وقبائل الاعراب يستنفرهم لذلك وحث الموسرين على تجهيز المعسرين فانفق عثمان ابن عفان عشرة آلاف دينار وأعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وخمسين فرساً فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارض عن عثمان فانى راض عنه وجاء أبو بكر بكل ماله وهو أربعة آلاف درهم فقال صلى الله عليه وسلم هل ابقيت لاهلك شيئاً فقال أبقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائة أوقية وجاء العباس وطلحة بمال كثير وتصدق عاصم بن عدى بسبعين وسقاً من تمر وأرسلت النساء بكل ما يقدرن عليه من حليهن وجاءه صلى الله عليه وسلم سبعة أنفس من فقهاء الصحابة يطلبون اليه أن يحملهم فقال لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون فجهز عثمان ثلاثة منهم وجهز العباس اثنين وجهز يامين بن عمرو اثنين ولما اجتمع الرجال خرج بهم رسول الله وهم ثلاثون ألفاً وولى على المدينة محمد بن مسلمة وعلى أهله على بن أبى طالب وتخلف كثير من المنافقين يرأسهم عبد الله بن ابى وقال يغزو محمد بنى الاصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد يحسب محمد أن

قتال بني الاصفر معه اللعب والله لكأني أنظر الى أصحابه مقرنين فى الحبال واجتمع جماعة منهم فقالوا فى حق رسول الله واصحابه مايريدون من الارجاف فبلغه ذلك فأرسل اليهم عمار بن ياسر يسألهم عما قالوا فقالوا انما كنا نخوض و نلعب وجاء اليه جماعة منهم الجد بن قيس يعتذرون عن الخروج فقالوا يارسول الله ائذن لنا ولا تفتنا الا انا لا نأمن من نساء بنى الاصفر وجاء اليه المعذرون من الاعراب وهم أصحاب الاعذار من ضعف أو قلة ليؤذن لهم فاذن لهم وكذلك استأذن كثير من المنافقين فاذن لهم وقد عتب الله عليه في ذلك الاذن بقوله فى سورة براءة (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) ثم قال في حقهم (إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون) ثم كذبهم الله فى عذرهم فقال (ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) ثم لكيلا يأسي المسلمون على قعود المنافقين عنهم قال جل ذكره (لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين) وتخلف جماعة من المسلمين لا يتهمون فى اسلامهم منهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وأبو خيثمة ولما خلف صلى الله عليه وسلم علياً قال المنافقون قد استثقله فتركه فاسرع الى رسول الله وشكاله ماسمع فقال صلى الله عليه وسلم (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسي) ثم سار صلى الله عليه وسلم بالجيش وأعطى لواءه الاعظم أبا بكر الصديق وفى اعطاء اللواء لابى بكر آخر غزوة للرسول وتخليف علىّ على أهل البيت حكمة لطيفة يفهمها القارئ وفرق عليه السلام

الرايات فأعطى الزبير راية المهاجرين وأسيد بن حضير راية الاوس والحباب بن المنذر راية الخزرج ولما مر الجيش بالحجر وهى ديار ثمود قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه (لا تدخلوا ديار الذين ظلموا الا وأنتم باكون) ليشعر قلوبهم رهبة الله وكان مستعملا على حرس الجيش عباد بن بشر وكان ابو بكر يصلى بالجيش ولما وصلوا الى تبوك وكانت أرضا لا عمارية فيها قال الرسول لمعاذ بن جبل يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ماهنا ملىء بساتين وقد كان ولما استراح الجيش لحقه أبو خيثمة وكان من خبر مجيئه انه دخل على اهله فى يوم حار فوجد امرأتين له فى عريشتين لهما فى بستان قد رشت كل منهما عريشتها وبردت فيها ماء وهيأت طعاما وكان يوما شديد الحر فلما نظر ذلك قال يكون رسول الله في الحر وأبو خيثمة فى ظل بارد وماء مهيأ وامرأة حسناء ماهذا بالنصف ثم قال والله لا أدخل عريشة واحدة منكما حتى ألحق برسول الله فهيآ لى زادا ففعلتا ثم ركب بعيره وأخذ سيفه ورمحه وخرج يريد رسول الله فصادفه حين نزل بتبوك

﴿ وفود صاحب أيلة ﴾

هذا ولم ير صلى الله عليه وسلم بتبوك جيشا كما كان قد سمع فاقام هناك أياما جاءه فى أثنائها يوحنا صاحب أيلة وصحبته أهل جرباء (١) وأهل أذرح (٢) وأهل ميناء فصالح يوحنا رسول الله على اعطاء الجزية ولم يسلم وكتب له الرسول كتابا هذه صورته

---

(١) قرية فى جنوب الشام (٢) مدينة تلقاء السراة

﴿ كتاب صاحب أيلة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنا وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه لايحوز ماله دون نفسه وانه لطيبة لمن أخذه من الناس وانه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر

(كتاب أهل أذرح وجرباء)

وكتب لاهل أذرح وجرباء كتابا صورته (بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي لاهل أذرح وجرباء انهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وان عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والاحسان للمسلمين) وصالح أهل ميناء على ربع ثمارهم (ثم ان) الرسول استشار أصحابه في مجاوزة تبوك إلى ماهو أبعد منها من ديار الشام فقال له عمر ان كنت أمرت بالسير فسر فقال عليه السلام لو كنت أمرت بالسير لم أستشر فقال يارسول الله ان للروم جموعا كثيرة وليس بالشام أحد من أهل الاسلام وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا في هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله أمراً فتبع عليه السلام مشورته وأمر بالقفول فرجع الجيش الى المدينة

(مسجد الضرار)

ولما كان على مقربة منها بلغه خبر مسجد الضرار وهو مسجد أسسه جماعة من المنافقين معارضة لمسجد قباء ليفرقوا جماعة المسلمين وجاء جماعة منهم الى الرسول طالبين منه أن يصلي لهم فيه فسألهم عن سبب بنائه فحلفوا بالله ان أردنا الا الحسنى

والله يشهد انهم لكاذبون فأمر عليه السلام جماعة من أصحابه لينطلقوا اليه ويهدموه ففعلوا (هذا) ولما استقر عليه السلام بالمدينة جاءه جماعات من الذين تخلفوا يعتذرون كذبا فقبل منهم عليه السلام علانيتهم ووكل ضمائرهم الى الله واستغفر لهم

(حديث الثلاثة الذين خلفوا)

وجاءه كعب بن مالك الخزرجي ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية الاوسيان مقرين بذنوبهم فلما دخل عليه كعب تبسم تبسم الغضب وقال ماخلفك فقال يارسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ولقد أوتيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخط على فيه ولئن حدثتك حديث صدق تغضب علي فيه اني لارجو فيه عفو الله والله ما كان لى من عذر فقال عليه السلام أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك وقال صاحباه مثل قوله فقال لهما عليه السلام كما قال لكعب ونهي المسلمين عن كلامهم فاجتنبهم الناس وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم واستأذنت زوج هلال بن أمية في خدمة زوجها لانه شيخ ضائع ليس له خادم فأذن لها ولم يزالوا كذلك حتي ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم فأرسل لهم عليه السلام من يبشرهم بهذه النعمة الكبرى فتلقاهم الناس أفواجاً أفواجاً يهنئونهم بتوبة الله فلما دخل كعب المسجد تلقاه رسول الله مسروراً فقال أبشر يا كعب بخير يوم يمر عليك منذ ولدتك أمك فقال من عندك يارسول الله أم من عند الله قال بل من عند الله فقال كعب يارسول الله ان من توبتي أن أنخلع من مالى صدقة لله

ولرسوله فقال عليه السلام امسك عليك بعض مالك فهو خير لك ثم قرأ عليه السلام الآيات التي فيها توبته هو وصاحباه في سورة براءة (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم)

(وفود ثقيف)

وعقب مقدمه عليه السلام من تبوك وفد عليه وفد ثقيف وكان من خبرهم انه لما انصرف رسول الله من محاصرتهم تبع أثره عروة بن مسعود الثقفي حتى أدركه قبل أن يصل الى المدينة فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه ويدعوهم الى الاسلام فقال له انهم قاتلوك فقال يارسول الله أنا أحب اليهم من أبكارهم فخرج إلى قومه يرجو منهم طاعته لمرتبته فيهم لانه كان فيهم محبباً مطاعاً فلما جاء الطائف وأظهر لهم ما جاء به رموه بالنبل فقتلوه وبعد شهر من مقتله ائتمروا فيما بينهم ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب فأجمعوا أمرهم على أن يرسلوا لرسول الله رجلا منهم يكلمه وطلبوا من عبد ياليل ابن عمرو أن يكون ذلك الرجل فأبى وقال لست فاعلا حتى ترسلوا معي رجالا فبعثوا معه خمسة من أشرافهم فخرجوا متوجهين الى المدينة ولما قابلوا رسول الله ضرب لهم قبة فى ناحية المسجد ليسمعوا القرآن ويروا الناس اذا صلوا وكانوا يغدون الى رسول الله كل يوم ويخلفون فى رحالهم أصغرهم سنا عثمان بن أبى العاص فكان اذا رجعوا ذهب للنبي واستقرأه القرآن واذا رآه نائما استقرأ أبا بكر حتى حفظ شيئا كثيرا من القرآن وهو يكتم ذلك عن أصحابه ثم أسلم القوم وطلبوا أن يعين لهم من يؤمهم فأمر عليهم عثمان بن أبي العاص لما رآه من حرصه على الاسلام وقراءة القرآن

وتعلم الدين

(كتاب أهل الطائف)

ثم كتب لهم كتابا من جملته (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله الى المؤمنين ان عضاه وج وصيده حرام لا يعضد شجره ومن وجد يفعل شيئاً من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه) ثم سألوا رسول الله أن يؤجل هدم صنمهم شهرا حتى يدخل الاسلام قلوب القوم ولا يرتاع السفهاء من النساء من هدمه فرضي بذلك عليه السلام ولما خرجوا من عنده قال لهم رئيسهم أنا أعلمكم بثقيف اكتموا عنهم اسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال وأخبروهم أن محمدا طلب أمورا عظيمة أبيناها عليه سألنا ان نهدم الطاغية وان نترك الزنا وشرب الخمر والربا فلما حلوا بلادهم جاءتهم ثقيف فقال الوفد جئنا رجلا فظاً غليظاً قد ظهر بالسيف ودان الناس له فعرض علينا أمورا شديدة وذكروا ما تقدم فقالوا والله لا نطيعه أبداً فقالوا لهم أصلحوا سلاحكم ورموا حصونكم واستعدوا للقتال فأجابوا واستمروا على ذلك يومين أو ثلاثة ثم ألقى الله الرعب فى قلوبهم فقالوا والله مالنا بحربه من طاقة ارجعوا اليه وأعطوه ما سأل فقال الوفد قد قاضيناه وأسلمنا فقالوا لم كتمتم علينا ذلك قالوا حتى تذهب عنكم نخوة الشيطان فاسلموا

﴿ هدم اللات ﴾

ولما بلغ رسول الله اسلام ثقيف أرسل أبا سفيان والمغيرة بن شعبة الثقفي لهدم اللات صنم ثقيف بالطائف فتوجهوا وهدموه حتى سووه بالارض

(حج أبي بكر)

وفى أخريات ذى القعدة أرسل عليه السلام أبا بكر ليحج بالناس فخرج فى ثلاثمائة رجل من المدينة ومعه الهدى عشرون بدنة أهداها رسول الله وساق أبو بكر خمس بدنات ولما سافر نزل على رسول الله أوائل سورة براءة فأرسل بها عليا ليبلغها الناس فى يوم الحج الاكبر وقال لا يبلغ عني الا رجل منى فلحق أبا بكر فى الطريق فقال الصديق هل استعملك رسول الله على الحج قال لا ولكن بعثنى أقرأ أو أتلو براءة على الناس فلما اجتمعوا بمنى يوم النحر قرأ عليهم على ثلاث عشرة آية من أول سورة براءة تتضمن نبذ العهود لجميع المشركين الذين لم يوفوا عهودهم وامهالهم اربعة أشهر يسيحون فيها فى الارض كيف شاؤوا واتمام عهد المشركين الذين لم يظاهروا على المسلمين ولم يغدروا بهم الى مدتهم ثم نادي لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكان علي يصلي فى هذا السفر وراء أبى بكر رضي الله عنهما

(وفاة ابن أبى)

وفى ذى القعدة مات عبد الله بن أبى وقد صلى عليه رسول الله صلاة لم يطل مثلها وشيع جنازته حتى وقف على قبره وانما فعل ذلك تطييبا لقلب ولده عبد الله بن عبد الله وتأليفا لقلوب الخزرج لمكانة عبد الله بن أبى فيهم وقد نزع ربقة النفاق كثير من المنافقين بعد هذا اليوم لما رأوه من أعمال السيد الكريم صلى الله عليه وسلم وقد نهي الله رسوله بعد ذلك عن الصلاة على المنافقين فقال جل شأنه فى سورة براءة (ولا تصل على احد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره)

﴿ وفاة أم كلثوم ﴾

وفي هذه السنة توفيت أم كلثوم بنت رسول الله وزوج عثمان رضي الله عنهما

(السنة العاشرة)

(سرية)

فى ربيع الآخر أرسل عليه السلام خالد بن الوليد فى جمع لبنى عبد المدان بنجران من أرض اليمن وأمره أن يدعوهم الى الاسلام ثلاث مرات فان أبوا قاتلهم فلما قدم اليهم بعث الركبان فى كل وجه يدعون الي الاسلام ويقولون أسلموا تسلموا فأسلموا ودخلوا فى دين الله أفواجا فأقام خالد بينهم يعلمهم الاسلام والقرآن وكتب الى رسول الله بذلك فأرسل اليه أن يقدم بوفدهم ففعل وحين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم قال لهم بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحدا بظلم قال صدقتم وأمر عليهم زيد بن حصين

(سرية)

وفى رمضان أرسل عليه السلام علياً في جمع الى بني مذحج (قبيلة يمانية) وعممه بيده وقال سر حتي تنزل بساحتهم فادعهم الى قول لا اله الا الله فان قالوا نعم فمرهم بالصلاة ولا تبغ منهم غير ذلك ولان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس ولا تقاتلهم حتى يقاتلوك فلما انتهى اليهم لقي جموعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل فصف على أصحابه وأمرهم بالقتال فقاتلوا حتي هزموا عدوهم فكف عن طلبهم قليلا ثم لحقهم ودعاهم الي الاسلام فأجابوا وبايعه رؤساؤهم وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله ففعل ثم رجع الى رسول الله فوافاه بمكة فى حجة الوداع

﴿ بعث العمال على اليمن ﴾

ثم بعث عليه السلام الى اليمن عمالا من قبله فبعث معاذ بن جبل على الكورة العليا من جهة عدن (١) و بعث أبا موسي الاشعرى على الكورة السفلى و وصاهما صلى الله عليه وسلم بقوله (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا) وقال لمعاذ (انك ستأتي قوماً أهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله فان أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى اليوم والليلة فان أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوا لك بذلك فاياك و كرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب) وقد مكث معاذ باليمن حتى توفى رسول الله أما أبو موسى فقدم على الرسول صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع

« حجة الوداع »

وفى السنة العاشرة حج صلى الله عليه وسلم بالناس حجة ودع فيها المسلمين ولم يحج غيرها وخرج لها يوم السبت لخمس بقين من ذي الحجة وولى على المدينة أبا دجانة الانصاري وكان مع الرسول جمع عظيم يبلغ تسعين ألفا وأحرم للحج حيث انبعثت به راحلته ثم لبي فقال لبيك اللهم لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ولم يزل صلى الله عليه وسلم سائراً حتي دخل مكة ضحى من الثنية العليا وهى ثنية كداء ولما رأى البيت قال اللهم زده تشريفا وتعظيما ومهابة وبراً ثم طاف

جبل عملا قمكة

بالبيت سبعا واستلم الحجر الاسود وصلى ركعتين عند مقام ابراهيم ثم شرب من ماء زمزم ثم سعي بين الصفا والمروة سبعاً راكباً على راحلته وكان اذا صعد الصفا يقول لا إله الا الله الله اكبر لا إله الا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وفى الثامن من ذى الحجة توجه الى منى فبات بها

﴿ خطبة الوداع ﴾

وفى التاسع منه توجه الى عرفة وهناك خطب خطبته الشريفة التي بين فيها الدين كله أسه وفرعه وهاك نصها (الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذى هو خير أما بعد أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم فاني لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفى هذا أيها الناس ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم فاشهد فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها ان ربا الجاهلية موضوع وان أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب وان دماء الجاهلية موضوعة وأول دم ابدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث وان مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد قود وشبه العمد ماقتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية أيها الناس ان الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من

أعمالكم أيها الناس ان النسيء (١) زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق الله السموات والارض منها أربعة حرم ثلاث متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) ان لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم الا باذنكم ولا يأتين بفاحشة فان فعلن فان الله أذن لكم ان تعضلوهن (٢) وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وانما النساء عندكم عوان لا يملكن لا نفسهن شيئاً أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيراً ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) انما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرىء مال أخيه الا عن طيب نفس منه ألا هل بلغت اللهم اشهد فلا ترجعن بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فاني قد تركت فيكم ما ان أخذتم به لم تضلوا بعده كتاب الله ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب

---

(١) كانت العرب تحرم اربعة أشهر ثلاثة متواليات وهى ذو القعدة وذوالحجة والمحرم وشهر رجب وكانوا ربما استطالوا هذه الاشهر المتوالية لحاجتهم الى الحرب والقتال فأحلوا المحرم وحرموا صفرا من العام المقبل فهذا هو الذى عابه القرآن عليهم لاتباعهم الهوي فى عقيدتهم

(٢) العضل هو الحبس والتضييق

أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى ألا هل بلغت اللهم اشهد فليبلغ الشاهد منكم الغائب (أيها الناس) ان الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا تجوز لوارث وصيته ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر من ادعي الى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل والسلام عليكم ورحمة الله) وفي هذا اليوم امتن الله على المؤمنين بقوله في سورة المائدة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) فلا غرابة ان اتخذه المسلمون عيداً ويوماً سعيداً يظهرون فيه شكر الله على هذه النعمة الكبرى (ثم) انه عليه السلام أدى مناسك الحج من رمى الجمار والنحر والحلق والطواف وبعد ان أقام بمكة عشرة أيام قفل الى المدينة ولما رآها كبر ثلاثاً وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده)

﴿ الوفود ﴾

في هذه السنة والتي قبلها كان وفود العرب الى رسول الله ليبايعوه على الاسلام وكانوا يقدمون أفواجا ولما في اخبار هذه الوفود من التعاليم الحميدة التي يحتاج ذو الادب أن يعرفها رأينا أن نذكر لك منها ما يزيدك يقينا وينير بصيرتك فنقول

﴿ وفود نجران ﴾

ومن الوفود وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكبا دخلوا المسجد

وعليهم ثياب الحبرة وأردية الحرير مختمين بالذهب ومعهم بسط فيها تماثيل ومسوح جاؤا بها هدية للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبل البسط وقبل المسوح ولما جاء وقت صلاتهم صلوا في المسجد مستقبلين بيت المقدس ولما أتموا صلاتهم دعاهم عليه السلام للاسلام فأبوا وقالوا كنا مسلمين قبلكم فقال عليه السلام يمنعكم من الاسلام ثلاث عبادتكم الصليب وأكلكم لحم الخنزير وزعمكم أن لله ولدا قالوا فمن مثل عيسي خلق من غير أب فأنزل الله فى ذلك فى سورة آل عمران (إن مثل عيسي عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وليظهر الله لهم أنهم في شك من امرهم أنزل (فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فدعاهم صلى الله عليه وسلم لذلك فامتنعوا ورضوا باعطاء الجزية وهي ألف حلة فى صفر وألف حلة في رجب مع كل حلة أوقية من ذهب ثم قالوا أرسل معنا أمينا فارسل لهم أبا عبيدة عامر بن الجراح وكان لذلك يسمى أمين هذه الامة

(وفود ضمام بن ثعلبة)

ومن الوفود ضمام بن ثعلبة بينا رسول الله بين أصحابه متكئا جاء رجل من أهل البادية ثائر الرأس يسمع دوى صوته ولا يفقه مايقول فأناخ جمله فى المسجد ثم قال أيكم ابن عبد المطلب فدلوه عليه فدنا منه وقال انى سائلك فمشدد عليك المسألة فلا تجد (١) على فى نفسك فقال سل ما بدا لك فقال أنشدك بالله آلله أرسلك الى الناس كلهم فقال نعم فقال أنشدك بالله آلله أمرك ان نصلي خمس

---

(١) اى لا تغضب

صلوات في اليوم والليلة قال اللهم نعم فقال أنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ من أموال أغنيائنا فترده على فقرائنا قال اللهم نعم قال أنشدك بالله آلله أمرك ان نصوم هذا الشهر من اثنى عشر شهرا قال اللهم نعم قال انشدك بالله آلله أمرك أن يحج هذا البيت من استطاع اليه سبيلا قال اللهم نعم قال فاني قد آمنت وصدقت وأنا ضمام بن ثعلبة ولما ولي قال عليه السلام فقه الرجل ثم ذهب ضمام الى قومه ودعاهم الاسلام وترك عبادة الاوثان فأسلموا كلهم

وفود عبد القيس

ومن الوفود عبد القيس وكان من خبرهم أن الرسول كان جالسا بين اصحابه يوما فقال لهم سيطلع عليكم من هنا ركب هم خير أهل المشرق لم يكرهوا على الاسلام قد انضوا الركائب وأفنوا الزاد اللهم اغفر لعبد القيس فلما أتوا ورأوا النبي صلى الله عليه وسلم رموا بانفسهم عن الركائب بباب المسجد وتبادروا الى رسول الله يسلمون عليه وكان فيهم عبدالله بن عوف الاشج وكان أصغرهم سنا فتخلف عند الركائب حتى أناخها وجمع المتاع وأخرج ثوبين أبيضين فلبسهما ثم جاء يمشي هونا حتى سلم على رسول الله وكان رجلا دميما ففطن لنظر الرسول الي دمامته فقال يارسول الله انه لا يستقي في مسوك جلود الرجال وانما الرجل باصغريه قلبه ولسانه فقال صلى الله عليه وسلم ان فيك خلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة وقد قال صلى الله عليه وسلم لهذا الوفد مرحبا بالقوم غير خزايا ولا ندامى فقالوا يارسول الله انا نأتيك من شقة بعيدة (١) وانه يحول بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وانا لا نصل اليك الا في شهر حرام فمرنا بامر فصل فقال

---

(١) لان ديارهم كانت بساحل الخليج الفارسي وهي ديار ربيعة وبينهم وبين الحجاز ارض نجد

آمركم بالايمان بالله أتدرون ما الايمان بالله شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس وأنهاكم عن الدباء(١) والحنتم(٢) والنقير (٣) والمزفت (٤) والمراد بذلك ما ينبذ فى هذه الاواني فقال الاشج يارسول الله ان أرضنا ثقيلة وخمة وانا اذا لم نشرب هذه الاشربة عظمت بطوننا فرخص لنا فى مثل هذه واشار الى يده فأومأ عليه السلام بكفيه وقال ياأشج ان رخصت لك فى مثل هذه شربته فى مثل هذه وفرج بين يديه وبسطها حتى اذا ثمل أحدكم من شرابه قام الى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف وانما خص عليه السلام نهيهم عما ذكر لكثرة الاشربة بينهم

(وفود بنى حنيفة)

ومن الوفود بنو حنيفة وكان معهم مسيلمة الكذاب وكان مسيلمة يقول ان جعل لى الامر من بعده اتبعته فأقبل عليه السلام ومعه قيس بن شماس وفى يد رسول الله قطعة من جريد حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه فقال ان سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها واني لاراك الذي منه رأيت وكان عليه السلام قد رأى فى منامه أن فى يده سوارين من ذهب فاهمه شأنهما فاوحي الله اليه أن انفخهما فنفخهما فطارا فاولهما صلى الله عليه وسلم كذابين يخرجان من بعده فكان مسيلمة أحدهما والثانى الاسود العنسى صاحب صنعاء وقد أسلم بنو حنيفة

(وفود طيىء)

ومن الوفود وفد طيىء وفيهم زيد الخيل رئيسهم وقد قال صلى الله عليه وسلم

---

(١) القرع (٢) هو جرار مدهونة بدهان اخضر (٣) هو اصل النخلة ينقر (٤) ماطلى بالزفت

في حقه ماذكر لي رجل من العرب ألارأيته دون ماقيل فيه الا زيد الخيل وسماه صلى الله عليه وسلم زيد الخير

﴿ وفود كندة ﴾

ومنهم وفد كندة وفيهم الاشعث بن قيس وكان وجيها مطاعا في قومه ولما دخلوا على رسول الله خبؤا له شيئاً وقالوا أخبرنا عما خبأناه لك فقال سبحان الله انما يفعل ذلك بالكاهن وان الكاهن والتكهن في النار ثم قال ان الله بعثني بالحق وأنزل على كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالوا أسمعنا منه فتلا عليه السلام (والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) ثم سكت وسكن ودموعه تجرى على لحيته فقالوا انا نراك تبكي أفمن مخافة من أرسلك تبكي قال ان خشيتي منه أبكتني بعثني على صراط مستقيم في مثل حد السيف ان زغت عنه هلكت ثم تلا (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا) ثم قال لهم عليه السلام ألم تسلموا قالوا بلى قال ما بال هذا الحرير في أعناقكم فعند ذلك شقوه وألقوه

وفود أزدشنوءة

ومنهم وفد أزدشنوءة ورئيسهم صرد بن عبد الله الازدى فأسلموا وأمره عليهم وأمره ان يجاهد بمن اسلم من كان يليه من أهل الشرك

وفود رسول ملوك حمير

ومنهم وفد رسول ملوك حمير وهم الحارث بن عبد كلال والنعمان

ومعافر وهمدان وكانوا قد أسلموا وأرسلوا رسولهم بذلك فكتب اليهم النبى صلى الله عليه وسلم

(كتاب ملوك حمير)

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن عبد كلال والى النعمان قيل ذى رعين ومعافر وهمدان أما بعد فانى أحمد الله اليكم الذي لا اله الا هو أما بعد فانه قد وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم فلقيناه بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين وان الله قد هداكم بهداه ان أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبى وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة أما بعد فان محمدا النبي أرسل الي زرعة بن ذى يزن اذا أتاكم رسلى فاوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك ابن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرة وأصحابهم وان اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم وأبلغوها رسلى وان اميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن الا راضيا أما بعد فان محمدا يشهد أن لا اله الا الله وأنه عبده ورسوله ثم ان مالك بن مرة الرهاوي قد حدثنى أنك قد اسلمت من أول حمير وقتلت المشركين فابشر بخير وآمرك بحمير خيرا ولا تخونوا ولا تخاذلوا فان رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لاهل بيته انما هى زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل وان مالكا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب وآمركم به خيرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)

(وفود همدان)

ومنها وفد همدان وفيهم مالك بن نمط وكان شاعرا مجيدا فلقوا رسول الله مرجعه من تبوك عليهم مقطعات من الحبرات اليمنية والعمائم العدنية وقد أنشد مالك لرسول الله صلى الله عليه وسلم

حلفت برب الراقصات الى منى * صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق * رسول أتي من عند ذي العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها * أشد على اعدائه من محمد

وقد أمره صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وقد قال الرسول في حق همدان نعم الحي همدان ما أسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد وفيهم ابدال وفيهم أوتاد

﴿ وفود تجيب ﴾

ومنها وفد تجيب قبيلة من كندة وفد على رسول الله ثلاثة عشر رجلا منهم معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم فسر بهم عليه السلام وأكرم مثواهم وقالوا يارسول الله انا سقنا اليك حق الله في أموالنا فقال عليه السلام ردوها فاقسموها على فقرائكم) فقالوا يارسول الله ماقدمنا عليك الا بما فضل عن فقرائنا قال أبو بكر يارسول الله ماقدم علينا وفد من العرب مثل هذا فقال عليه السلام ان الهدى بيد الله فمن أراد به خيرا شرح صدره للايمان وجعلوا يسألونه عن القرآن فازداد صلى الله عليه وسلم رغبة فيهم ثم أرادوا الرجوع الى اهليهم فقيل لهم مايعجلكم قالوا نرجع الى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله ولقائنا اياه ومارد علينا ثم جاؤا الى رسول الله فودعوه فاجازهم بأفضل ما كان يجيز به الوفود ثم قال لهم هل بقي منكم

احد قالوا غلام خلفناه في رحالنا وهو أحدثنا سنا قال فأرسلوه الينا فأرسلوه فاقبل الغلام وقال يارسول الله انا من الرهط الذين أتوك آنفا فقضيت حاجتهم فاقض حاجتي قال وما حاجتك قال تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني ويجعل غناى في قلبي فقال عليه السلام اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه ثم أمر له بمثل ماأمر به لرجل من أصحابه

(وفود ثعلبة)

(ومنها) وفد ثعلبة وفد على رسول الله أربعة منهم مقرين بالاسلام فسلموا عليه وقالوا يارسول الله انا رسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالاسلام وقد قيل لنا انك تقول لا اسلام لمن لا هجرة له فقال عليه السلام (حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم) ثم قال لهم كيف بلادكم فقالوا مخصبون فقال الحمد لله ثم أقاموا في ضيافته أياما وحين ارادتهم الانصراف أجاز كل واحد منهم بخمس أواق من فضة

(وفود بني سعد بن هذيم)

(ومنها) وفد بني سعد بن هذيم من قضاعة قال النعمان منهم قدمت على رسول الله وافداً في نفر من قومي وقد أوطأ رسول الله البلاد وأزاح العرب والناس صنفان اما داخل في الاسلام راغب فيه واما خائف السيف فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتي انتهينا الى بابه فوجدنا رسول الله يصلي على جنازة في المسجد فقمنا خلفه ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم وقلنا حتى يصلي رسول الله ونبايعه ثم انصرف رسول الله فنظر الينا فدعا بنا فقال ممن أنتم فقلنا من بني سعد ابن هذيم فقال أمسلمون أنتم قلنا نعم فقال هلا صليتم على أخيكم قلنا يارسول الله

ظننا أن ذلك لا يجوز حتى نبايعك فقال عليه السلام أينما أسلمتم فأنتم مسلمون قال فأسلمنا وبايعنا رسول الله بأيدينا ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث عليه السلام في طلبنا فأتى بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه صلى الله عليه وسلم على الاسلام فقلنا يارسول الله انه أصغرنا وانه خادمنا فقال سيد القوم خادمهم بارك الله عليه قال النعمان فكان خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم له ثم أجازهم وانصرفوا

(وفود بنى فزارة)

ومنها وفد بنى فزارة وفد على رسول الله جماعة منهم مقرين بالاسلام وهم مسنتون فسألهم عليه السلام عن بلادهم فقال رجل منهم يارسول الله أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا وجاعت عيالنا فادع لنا ربك يغثنا واشفع لنا الى ربك وليشفع لنا ربك اليك فقال عليه السلام سبحان الله ويلك هذا أنا أشفع الى ربى فمن ذا الذى يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العلى العظيم وسع كرسيه السموات والارض فهى تئط (١) من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الحديث أى من ثقل الحمل ثم صعد عليه السلام المنبر ودعا الله عز وجل حتى أغاث بلاد هذا الوفد بالمطر الغزير والرحمة التامة

(وفود بنى أسد)

ومنها وفد بنى أسد وفيهم ضرار بن الازور وطليحة بن عبد الله الذى ادعى النبوة بعد ذلك فأسلموا وقالوا يارسول الله أتيناك نتدرع الليل البهيم فى سنة شهباء ولم تبعث الينا فانزل الله فى ذلك (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا

---

(١) اى تصوت

على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين) وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كانوا يفعلون في الجاهلية من العيافة (١) والكهانة (٢) وضرب الحصباء فنهاهم عن ذلك كله ثم سألوه عن ضرب الرمل فقال عليه نبي فمن صادف مثل علمه فذاك والافلا ثم اقاموا أياماً يتعلمون الفرائض وبعد ذلك ودعوا وانصرفوا بعد أن أجيزوا

(وفود بنى عذرة)

(ومنها) وفد بني عذرة ووفد بنى بلىّ ووفد بنى مرة ووفد خولان وهى قبائل باليمن وقد أمرهم عليه السلام بالوفاء بالعهد وأداء الامانة وحسن الجوار لمن جاوروا وأن لا يظلموا أحدا فان الظلم ظلمات يوم القيامة

(وفود بنى محارب)

(ومنها) وفد بنى محارب وكانوا من الذين ردوا الرد القبيح حينما كان رسول الله بعكاظ يدعو القبائل الى الله فما أعظم منة الله الذى أتى بهؤلاء وكانوا ألد الاعداء مسلمين منقادين

(وفود غسان)

ومنها وفد غسان ووفد سلامان ووفد بنى عبس ووفد النخع وكان عليه السلام يقابل هذه الوفود بما جبله الله عليه من البشاشة وكرم الاخلاق ويجيزهم بما يرضيهم ويعلمهم الايمان والشرائع ليعلموا من وراءهم وكانت هذه الوفود أعظم وصلة لاظهار الدين بين الاعراب فى البوادى

---

(١) هى زجر الطير والتخرص على الغيب

(٢) هى الاخبار عن الكائنات فى المستقبل

(وفاة ابراهيم بن النبي عليه السلام)

وفي هذه السنة توفي ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(السنة الحادية عشر)

(سرية)

لاربع بقين من صفر جهز عليه السلام جيشاً برياسة أسامة بن زيد الى أبني (١) حيث قتل زيد بن حارثة والد أسامة وقال له (سر الى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فأغر صباحاً على أهل أبني وحرق عليهم وأسرع السير لتسبق الاخبار فان أظفرك الله فأقل اللبث فيهم وخذ الادلاء وقدم العيون والطلائع معك) وكان مع أسامة في هذا الجيش كبار المهاجرين والانصار منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد ثم عقد عليه السلام لاسامة اللواء وقال له اغز باسم الله في سبيل الله وقاتل من كفر بالله وقد انتقد جماعة على تأمير أسامة وهو شاب لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره على جيش فيه كبار المهاجرين فأبلغ الرسول هذه المقالة فغضب غضباً شديداً وخرج فقال أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تاميري أسامة ولئن طعنتم في تاميري أسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله وايم الله ان كان لخليقاً بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بها وان كان لمن أحب الناس الي وأنهما لمظنة لكل خير فاستوصوا به خيراً فانه من خياركم ولم يتم لهذا الجيش الخروج في عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم لان المرض بدأه فاختاره الله للرفيق الاعلى وسيرى القاريء إن شاء الله خروج هذا الجيش متمماً في كتابنا اتمام الوفاء بسيرة الخلفاء

---

(١) محل قريب من مؤتة

(مرض الرسول صلى الله عليه وسلم)

لما تم عليه الصلاة والسلام ما كلف به وأدى ما أؤتمن عليه وهدى الله به أمته اختاره الله للرفيق الاعلى فجلس على المنبر مرة وكان فيما قال (ان عبداً خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده) فبكى أبو بكر وقال يارسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا فقال عليه السلام (ان أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر فلو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن اخوة الاسلام لا يبقى في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة أبى بكر) وقد بدأه عليه السلام مرضه فى أواخر صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة فى بيت ميمونة واستمر مريضاً ثلاثة عشر يوماً كان فى خلالها ينتقل الى بيوت أزواجه ولما اشتد عليه المرض استأذن منهن أن يمرض فى بيت عائشة الصديقية فأذن له ولما دخل بيتها واشتد عليه وجعه قال هريقوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلى أعهد الى الناس فأجلس فى مخضب وصب عليه الماء حتى أشار بيده أن قد فعلتن وكان هذا الماء لتخفيف حرارة الحمي التى كانت تصيب من يضع يده فوق ثوبه

(صلاة أبى بكر بالناس)

ولما تعذر عليه الخروج الى الصلاة قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فرضيه عليه السلام خليفة له فى حياته ولما رأت الانصار اشتداد وجع الرسول أطافوا بالمسجد فدخل العباس وأعلمه بمكانهم واشفاقهم فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئاً على على والفضل وتقدم العباس أمامهم والنبي معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس فى أسفل مرقاة المنبر وثار الناس اليه فحمد الله واثني عليه ثم قال (أيها الناس بلغنى أنكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث الله فاخلد فيكم ألا

اني لاحق بربي وانكم لاحقون بي فأوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا وأوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى يقول (والعصر إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) وان الامور تجرى باذن الله ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم) وأوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم أن تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم من الثمار ألم يوسعوا لكم فى الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ألا فمن ولى ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا وانى فرط لكم وأنتم لاحقون بي ألا فان موعدكم الحوض ألا فمن أحب أن يرده على غدا فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغى وبينما المسلمون فى صلاة الفجر من يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الاول وأبو بكر يصلى بهم اذا برسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف سجف حجرة عائشة فنظر اليهم وهم فى صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص أبو بكر رضي الله عنه على عقبه ليصل الصف وظن أن رسول الله يريد أن يخرج الى الصلاة وهم المسلمون أن يفتتنوا فى صلاتهم فرحا برسول الله فأشار اليهم بيده أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر

﴿ وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

ولم تأت ضحوة هذا اليوم حتى فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم دنياه وحق بمولاه وكان ذلك فى يوم الاثنين ١٣ ربيع أول سنة ١١ (٨ يونيو سنة ٦٣٢) فيكون عمره عليه السلام ٦٣ سنة قمرية كاملة وثلاثة أيام وإحدى وستين شمسية وأربعة

وثمانين يوماً وكان أبو بكر غائبا بالسنح وهى منازل بني الحارث بن الخزرج عند زوجه حبيبة بنت خارجة بن زيد فسل عمر سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله وقال انما أرسل اليه كما أرسل الى موسى فلبث عن قومه أربعين ليلة والله انى لارجو أن يقطع أيدى رجال وأرجلهم فلما أقبل أبو بكر وأخبر الخبر دخل بيت عائشة وكشف عن وجه رسول الله فجثا يقبله ويبكي ويقول توفى والذي نفسي بيده صلوات الله عليك يارسول الله ما أطيبك حياً وميتاً بأبى أنت وأمى لا يجمع الله عليك موتتين ثم خرج فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (ألا من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت) وتلا قوله تعالى (إنك ميت وانهم ميتون) وقوله (وما محمد الا رسول قد خلت من من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) قال عمر فكأني لم أتل هذه الآية قط ثم مكث عليه الصلاة والسلام فى بيته بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويومه وليلة الاربعاء حتى انتهي المسلمون من إقامة خليفة عليهم فغسل ودفن وكان الذى يغسله علي بن أبى طالب ويساعده العباس وابناه الفضل وقثم وأسامة ابن زيد وشقران مولى رسول الله وكفن فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة ولما فرغوا من تجهيزه وضع علي سريره فى بيته ودخل الناس عليه أرسالا متتابعين يصلون عليه ولم يؤمهم أحد ثم حفر له لحد فى حجرة عائشة حيث توفى وأنزله القبر علي والعباس وولداه الفضل وقثم ورش قبره بلال بالماء ورفع قبره عن الارض قدر شبر

توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك للمسلمين ما ان اتبعوه لم يضرهم

شيء كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وترك أصحابه البررة الكرام يوضحون الدين ويتممون فتح البلاد ويظهرون فى الدنيا شمس الدين الاسلامي القويم حتى يتمم الله كلمته ويحق وعده وقد فعل فنسأل الله أن يقدرنا على أداء شكره على هذه المنة العظمى والنعمة الكبرى

(شمائله عليه السلام)

منح الله سبحانه نبيناً صلى الله عليه وسلم من كمالات الدنيا والآخرة مالم يمنحه غيره ممن قبله أو بعده ولا بد أن نأتى لك فى هذا الباب(١) بنبذة يسيرة من محاسن صفاته وأحاسن آدابه لتكون لك نموذجاً تسير عليه حتى تكون على قدم نبيك صلى الله عليه وسلم فتستحق الحمد فى الدنيا والذخر في الاخري. فاعلم أرشدنى الله وإياك وهدانا للصراط السوى أن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوى اقتضته الجبلة وضرورة الحياة ومكتسب دينى وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى فأما الضروري فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان فى جبلته عليه السلام من كمال الخلقة وجمال الصورة وقوة العقل وصحة الفهم وفصاحة اللسان وقوة الحواس والاعضاء واعتدال الحركات وشرف النسب وعزة القوم وكرم الارض ويلحق به ما تدعو ضرورة الحياة اليه من الغذاء والنوم والملبس والمسكن والمال والجاه (أما المكتسبة الاخروية) فسائر الاخلاق العلية والآداب من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع

(١) جل ماذكر فى الشمائل والمعجزات مختصر من كتاب الشفاء للقاضي عياض رحمه الله

والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة وأخواتها وهي التي يجمعها حسن الخلق فاذا نظرت رعاك الله الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته عليه السلام حائزاً لجميعها محيطاً بشتات محاسنها (فأما) الصورة وجمالها وتناسب أعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من أنه صلى الله عليه وسلم كان أزهر اللون (١) أدعج (٢) أنجل (٣) أشكل (٤) أهدب الاشفار (٥) أبلج (٦) أزج ٧ أقنى ٨ أفلج ٩ مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن عظيم الصدر عظيم المنكبين ١٠ ضخم العظام عبل ١١ العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف أنور المتجرد دقيق المسربه ١٢ ربعة القد ليس بالطويل البائن ١٣ ولا القصير المتردد ١٤ ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه أحسن الناس عنقاً ليس بمطهم ١٥ ولا مكلثم ١٦ متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء بن عازب ما رأيت من ذي لمة سوداء في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة

---

(١) نير اللون او حسنه (٢) شديد سواد الحدقة مع سعة فيها (٣) واسع العين مع حسن (٤) في بياض عينيه حمرة (٥) كثير شعر حروف الاجفان (٦) مضيء الوجه مشرقه (٧) دقيق الحاجبين في طول (٨) مرتفع قصبة الانف مع أحديداب يسير فيها (٩) مفرج بين الثنايا والرباعيات (١٠) المنكب مجمع رأس العضد والكتف (١١) ضخم (١٢) المسربة شعر دقيق من الصدر الي البطن (١٣) مفرط الطول (١٤) المتناهي في القصر (١٥) المطهم البائن الكثير اللحم (١٦) المكلثم صغير الذقن

ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله كأن الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلألأ في الجدر وفي حديث ابن أبي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم

(وأما) نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الإقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع قال عليه السلام بني الدين على النظافة وقال أنس ما شممت عنبراً قط ولا مسكا ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله وعن جابر انه عليه السلام مسح خده قال فوجدت ليده برداً وريحاً كانما أخرجها من جؤنة عطار قال غيره مسها بطيب أو لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها يضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها وروي البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه أحد الاعرف أنه سلكه من طيبه

وأما)وفور عقله صلى الله عليه وسلم وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسته للعامة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما أفاد من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سابق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وكان عليه السلام اذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من أمامه وبذلك فسر قوله تعالى (وتقلبك في الساجدين) وقالت عائشة كان

عليه السلام يرى في الظلمة كما يرى في الضوء وكان يعد في الثريا أحد عشر نجما وجاءت الاخبار انه صرع ركانة أشد أهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وقال أبو هريرة ما رأيت أحداً أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كانما الارض تطوي له انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث وفي صفته عليه السلام أن ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلعاً كأنما ينحط من صبب وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذى لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع وفصاحة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف أوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش ككلامه مع أقيال حضرموت وملوك اليمن وعظماء نجد بل يستعمل لكل قبيلة ما استحسنته من الالفاظ وما انتهجته من طرق البلاغة ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون

(وأما) كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها مالا يوازى فصاحة وبلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من أحب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن

ورحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم وقوله أسلم تسلم واسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان أحبكم الى وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه أو يبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون وجيهاً عند الله ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور أوسطها وقوله أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله في بعض دعائه اللهم انى أسألك رحمة تهدى بها قلبي وتجمع بها أمرى وتلم بها شعثى وتصلح بها رغائبي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدى وترد بها ألفتى وتعصمني بها من كل سوء اللهم انى أسألك الفوز فى القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى غير ذلك مما روته الكافة عن مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز سبقاً لا يقدر قدره وقد قال له أصحابه ما رأينا الذى هو أفصح منك فقال وما يمنعنى وانما نزل القرآن بلسانى لسان عربى مبين وقال مرة أخري بيد أنى من قريش ونشأت فى بنى سعد جمع بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد الالهى الذى مدده الوحى الذى لا يحيط بعلمه بشر (وأما) سرو نسبه وكرم بلده ومنشئه فمما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفى منه فانه نخبة بنى هاشم ونخبة قريش وصميمها وأشرف العرب وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه ومن أهل مكة أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده

وقد قدمنا لك في أول الكتاب ما فيه الكفاية في هذا المقام .

أما ما تدعوا اليه ضرورة الحياة فمنه ما الفضل في قلته ومنه ما الفضل في كثرته ومنه ما تختلف الاحوال فيه فالاول كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء قديما تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما أن النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب الكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته وكان عليه السلام قد أخذ من الاكل والنوم بالاقل وحض عليه قال عليه السلام (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب وقالت عائشة رضي الله عنها لم يمتلىء جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعاً قط وانه كان في أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب وفي صحيح الحديث (أما أنا فلا آكل متكئاً) والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي عليه السلام انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعياً ويقول انما انا عبد آكل كما يا كل العبد وكذلك نومه كان قليلا ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي

وأما ماالفضل فى كثرته فكالجاه وهو محمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال تعالى فى صفة عيسي عليه السلام (وجيهاً فى الدنيا والآخرة) وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد رزق الحشمة والمكانة فى القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه فى أنفسهم خفية حتى اذا واجههم أعظموا أمره وقضوا حاجته كما ذكرنا لك ذلك مراراً وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روى عن قيلة انها لما رأته أرعدت من الفرق فقال يامسكينة عليك السكينة وفى حديث أبي مسعود أن رجلا قام بين يديه فأرعد فقال له عليه السلام هون عليك فانى لست بملك

وأما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فأمر هو مبلغ النهاية ثم هو فى الآخرة سيد ولد آدم

وأما ما تختلف فيه الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكنه فى أغراضه والا فليس فضيلة فى نفسه فمتى كان بهذه الصورة وصاحبه منفقاً له في مهماته ومهمات من قصده وأمله يصرفه في مواضعه مشتريا به المعالى والثناء الحسن والمنزلة فى القلوب كان فضيلة فى صاحبه عند أهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وأنفقه فى سبيل الخير وقصد بذلك الله تعالى والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكاله غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل أوقعه فى وهدة رذيلة البخل ومذمة النذالة فالتمدح بالمال

ليس لذاته بل للتوصل به الى غيره وتصريفه فى متصرفاته ونبينا صلى الله عليه وسلم أوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد وأحلت له الغنائم وفتح عليه فى حياته بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلب اليه كثير من أخماسها وجزيتها وصدقاتها وهاداه جماعة من ملوك الاقاليم فما استأثر بشيء منه ولا أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال (ما يسرني أن لى أحداً ذهباً يبيت عندى منه دينار الا ديناراً أرصده لديني) وأتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات ودرعه مرهونة فى نفقة عياله واقتصر فى نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ماوجده فيلبس فى الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره أقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر فانت ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاز فضيلة المال بالزهد فيه وانفاقه على مستحقيه

وأما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة وهى المسماة بحسن الخلق فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء فى كمالها والاعتدال في غايتها حتي أثني الله تعالى عليه بذلك فقال (وانك لعلى خلق عظيم) قالت عائشة كان خلقه القرآن يرضي برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال أنس كان عليه السلام أحسن الناس خلقا وكانت له هذه الآداب الكريمة كما كانت لاخوانه من الانبياء جبلة خلقوا عليها ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق أنوار المعارف

في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة دون نهاية ولا ممارسة وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكنا نذكر أصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه عليه السلام بها ان شاء الله

فأصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها العقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد بلغ عليه السلام منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه يعلم ذلك من تتبع مجارى احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلمه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وأيامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه فيها قدوة واشارته حجة كالطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي أمي لا يعرف شيئا من ذلك حتى شرح الله صدره وأبان امره وعلمه وبحسب عقله كانت معارفه عليه السلام الى سائر ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال تعالى (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)

وأما الحلم والاحتمال والعفو والقدرة والصبر على ما يكرهه فمما أدب الله به نبيه فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقد سأل عليه

السلام جبريل عن تأويلها فقال يا محمد ان الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له (واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الامور) وقال (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) وقال (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الامور) وقد تضافرت الاخبار على اتصافه عليه السلام بنهاية هذه الاوصاف فما من حليم الا عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة ونبينا لا يزيد مع كثرة الايذاء إلا صبراً وعلى اسراف الجاهل الا حلما قالت عائشة رضي الله عنها ما خير عليه السلام في أمرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه وما انتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله ولما فعل به المشركون مافعلوا في احد وطلب منه ان يدعو عليهم قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وحسبك في هذا الباب مافعله مع مشركي قريش الذين آذوه واستهزؤا به وأخرجوه من دياره هو واصحابه ثم قاتلوه وحرضوا عليه غيرهم من مشركي العرب حتى تمالأ عليه جمعهم ثم لما فتح الله عليه مكة مازاد على أن عفا وصفح وقال ماتقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن اخ كريم فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء) وعن أنس كنت مع النبي عليه السلام وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه اعرابي بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عنقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك فسكت النبي ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافىء بالسيئة السيئة فضحك عليه السلام ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة

مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب بيده شيئاً قط الا أن يجاهد فى سبيل الله وما ضرب خادماً ولا امرأة فصلى الله تعالى عليه وأقر عينه باتباع المسلمين سنته

(وأما) الجود والكرم والسخاء والسماحة فكان عليه السلام لا يوازى فى هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى وصفه بهذا كل من عرفه قال جابر رضي الله عنه ما سئل عليه السلام عن شيء فقال لا وقال ابن عباس كان عليه السلام أجود الناس بالخير وأجود ما كان فى شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة وقالت خديجة فى صفته عليه السلام مخاطبة له انك تحمل الكل وتكسب المعدوم وحسبك شاهداً فى هذا الباب ما فعله مع هوازن من رد السبى اليها وما فعله يوم تقسيم السبي من إعطاء المؤلفة قلوبهم عظيم الأعطية وقد استوفينا ذلك فى موضعه وحمل اليه عليه السلام تسعون ألفاً فوضعها على حصير وأخذ يقسمها فما قام حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندى شيء ولكن ابتع على فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله مالا تقدر عليه فكره ذلك عليه السلام فقال له رجل من الانصار يارسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا فتبسم عليه السلام وعرف البشر فى وجهه وقال بهذا أمرت والاخبار بجوده وكرمه عليه السلام كثيرة يكفي منها لتعليمك ماذكرناه

(ومنها) الشجاعة والنجدة فكان عليه السلام منهما بالمكان الذى لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو

ثابت لا يبرح . ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما من شجاع الا أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه وحسبك ما فعله في حنين وأحد مما ذكرناه مستوفى وقال ابن عمر ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي انا كنا اذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله فما يكون أحد أقرب الى العدوّ منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً وقال أنس كان عليه السلام أشجع الناس وأحسن الناس وأجود الناس لقد فزع أهل المدينـة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم عليه السلام راجعاً قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا

(وأما) الحياء والاغضاء فكان عليه السلام أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء قال أبو سعيد الخدرى كان عليه السلام أشد حياء من العذراء فى خدرها وكان اذا كره شيئاً عرفناه فى وجهه وكان عليه السلام لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحداً بما يكرهه حياء وكرم نفس قالت عائشة كان عليه السلام اذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا وكذا بل يقول ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ينهي عنه ولا يسمي فاعله وقالت رضي الله عنها لم يكن عليه السلام فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح

(وأما) حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه مع أصناف الخلق فمما انتشرت به الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنـه كان عليه السلام أوسع الناس

صدراً وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة وكان عليه السلام يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه ويتفقد أصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان أحداً أكرم عليه منه من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الخلق سواء بهذا وصفه ابن أبى هالة وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهى ولا يؤيس منه قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر) وقال تعالى (ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) وكان عليه السلام يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعاً ويكافئ عليها وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويلاعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى فى أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر وقال أنس ما التقم أحد أذن النبى يحادثه فنحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذى ينحى رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ولم ير قط ماداً رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد يكرم من يدخل عليه وربما يبسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التى تحته ويعزم عليه فى الجلوس عليها ان أبى ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم

تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهى أو قيام وكان أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب

(وأما) الشفقة والرأفة والرحمة بجميع الخلق فقد وصفه الله بها في قوله (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) وقال (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) روى أن اعرابياً جاءه يطلب منه شيئاً فأعطاه ثم قال أأحسنت اليك قال الاعرابي لا ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فأشار اليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل اليه وزاده شيئاً ثم قال أأحسنت اليك فقال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً فقال عليه السلام انك قلت ما قلت وفي أنفس أصحابي من ذلك شيء فان أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد أو العشي جاء فقال عليه السلام ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً فقال عليه السلام مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفوراً فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني أرفق بها منكم وأعلم فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وقال عليه السلام لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئاً فاني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر وكان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته وعن ابن مسعود كان عليه السلام يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا

(وأما) خلقه عليه السلام في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فروي

عن عبد الله بن أبي الحمساء قال بايعت النبي عليه السلام ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها بمكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك وكان اذا أتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة وكان عليه السلام يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ووفد عليه وفد فقام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لأصحابنا مكرمين واني أحب أن أكافئهم وفي حديث خديجة أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق

(وأما) تواضعه عليه السلام على علو منصبه ورفعة رتبته فكان أشد الناس تواضعاً وأقلهم كبراً وحسبك انه خير بين ان يكون نبياً ملكاً او نبياً عبداً فاختار ان يكون نبياً عبداً وخرج عليه السلام مرة على أصحابه متوكئاً على عصا فقاموا فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضاً وقال انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم حيث انتهى به المجلس جلس وقال عليه السلام (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) وحج عليه السلام على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجاً لا رياء فيه ولا سمعة . هذا وقد فتحت عليه الارض وأهدى في حجه هذا مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ

على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعاً لله تعالى. وعن أبي هريرة رضي الله عنه دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوازن زن وأرجح ثم قال فوثب الي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما أنا رجل منكم ثم أخذ السراويل فذهبت لأحمله قال صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله

(وأما) عدله عليه السلام وأمانته وعفته وصدق لهجته فكان آمن الناس وأصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وأعداؤه وكان يسمى قبل نبوته الامين وقد قدمنا ذلك في سيرته عليه السلام قبل النبوة . وفي الحديث عنه عليه السلام ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها قال أبو العباس المبرد قسم كسرى أيامه فقال يوم الريح يصلح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للهو والشرب ويوم الشمس للحوائج ولكن نبينا عليه السلام جزأ نهاره ثلاثة أجزاء جزء لله وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزأ جزأه بين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول (أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي فان من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله يوم الفزع الاكبر) وكان عليه السلام لا يأخذ أحداً بذنب أحد ولا يصدق أحداً على أحد

(وأما) وقاره عليه السلام وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه فكان عليه السلام أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه وكان اذا جلس احتبي بيديه وكذلك كان أكثر جلوسه محتبياً وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكان كلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان يضحك أصحابه عند التبسم توقيرا

له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير . وقال ابن أبي هالة كان سكوته صلى الله عليه وسلم على أربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر . وقالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه وكان يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيراً ويحض عليهما ومن مروءته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب (مواصل الاصابع من ظاهر الكف وباطنها)

(وأما) زهده عليه السلام فقد قدمنا لك فيه ما فيه الكفاية وحسبك شاهداً على تقلله من الدنيا وإعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها أن توفى عليه السلام ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً وقالت عائشة رضي الله عنها ما شبع عليه السلام ثلاثة أيام تباعاً من خبز حتى مضى لسبيله وقالت ما ترك عليه السلام ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي وقال اني عرض علي أن تجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب أجوع يوماً وأشبع يوما فأما اليوم الذى أجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك وقالت عائشة ان كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً ان هو إلا التمر والماء وعن أنس ما اكل عليه السلام على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطاً قط وفى حديث

عائشة كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحاً نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه ليلة بأربع فلما أصبح قال ما فرشتم لي فذكرنا له ذلك فقال ردوه بحاله فان وطأته منعتني الليلة صلاتي وقالت عائشة لم يمتلئ جوف النبي عليه السلام شبعاً ولم يبعث شكوى الى أحد وكانت الفاقة أحب اليه من الغني وان كان ليظل جائعاً يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت أبكي رحمة له مما أرى به وأمسح بيدي على بطنه مما أرى به من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا ما يقوتك فيقول يا عائشة مالي وللدنيا اخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذ فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحي ان ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غداً دونهم وما من شيء أحب الي من اللحوق باخواني وأخلائي قالت فما أقام بعد الا أشهراً حتى توفي صلوات الله عليه وسلامه

(وأما) خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه ولذلك قال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً أرى مالا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت (صوتت) السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجداً لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى لوددت أني شجرة تعضد وكان عليه السلام يصلي حتى ترم قدماه فقيل له أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر

قال (أفلا اكون عبداً شكورا) وقالت عائشة رضي الله عنها كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة الا وقف فسأل ولا مرّ بآية عذاب الا وقف وتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وقال بعضهم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كازيز المرجل وفى وصف ابن أبي هالة كان متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وعن علي رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلي الله عليه وسلم عن سنته فقال (المعرفة رأس مالى والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله أنيسي والثقة كنزى والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائى والرضا غنيمتي والعجز فخرى والزهد حرفتي واليقين قوّتى والصدق شفيعى والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني فى الصلاة وثمرة فؤادي فى ذكره وغمى لاجل أمتي وشوقى الى ربي) فجزاه الله من نبي عن أمته خيراً ورحم الله عبداً تأمل فى هذه الشمائل الكريمة والخصال الجميلة فتمسك بها واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحوز شفاعته يوم الفزع الاكبر ويرضى الله عنه فنسألك اللهم التوفيق لما فيه الخير بمنك وكرمك ياأرحم الراحمين

﴿ معجزاته عليه السلام ﴾

اذا تأمل المتأمل ماقدمناه من جميل أثر هذا السيد الكريم وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر فى صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد فى إسلامه والايمان به كعبد الله بن سلام فانه قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب . وروى مسلم أن ضماداً لما وفد عليه قال له صلى الله عليه وسلم (ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له وأشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله) فقال له ضماد أعد علىّ كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك بايعك ولما بلغ ملك عمان أن رسول الله عليه السلام يدعوه الى الاسلام قال والله لقد دلنى على هذا النبي الامي لا يأمر بخير الا كان أول آخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان أول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر أويفي بالعهد وينجز الموعود وأشهد انه نبي وقال ابن رواحة

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... لكان منظره ينبيك بالخبر

كيف وقد أظهر الله على يده تصديقاً لدعوته من المعجزات مالا يفي به العد فهو اكثر الانبياء آية وأظهرهم برهاناً وسنذكر لك في هذا الفصل من الآيات ما تقر به عينك ويزداد به يقينك مما رواه الجم الغفير من الصحابة رضوان الله عليهم وأثبته المحدثون فى صحاحهم ونبدأ منها بأظهرها شأناً وأوضحها بياناً وهو القرآن الشريف واعجازه (اعلم) أن كتاب الله العزيز

منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها فى أربعة
(اولها) حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة
عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا
من البلاغة والحكم بما لم يخص به غيرهم من الامم وأوتوا من ذرابة اللسان
ما لم يؤت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك طبعاً
وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل
سبب فيخطبون بديهاً فى المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن
والضرب ويمدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من
ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل فيخدعون
الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان
ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل
والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوى ومنهم الحضري
ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف
فى القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلاهما له فى البلاغة
الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون أن
الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها
ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلوا صرحاً لبلوغ أسبابها فقالوا فى الخطير
والمهين وتفننوا فى الغث والسمين وتقاولوا فى القل والكثر وتساجلوا فى
النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت

بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتضافر إيجازه وإعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت فى الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان مجامعه وبدائعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم أفسح ما كانوا فى هذا الباب مجالا وأشهر فى الخطابة رجالا وأكثر فى الشعر والسجع ارتجالا وأوسع فى الغريب واللغة مقالا بلغتهم التى بها يتحاورون ومنازعهم التى عنها يتناضلون صارخا بها فى كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس الملأ أجمعين (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا). (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) فلم يزل يقرعهم اشد التقريع ويوبخهم اشد التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم فى كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاعتزاز بالافتراء وقولهم (ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين) والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم (قلوبنا غلف وفى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) والادعاء مع العجز كقولهم (لو نشاء لقلنا مثل هذا) وقد قال لهم (ولن تفعلوا) فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخافهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه

من فصيح كلامهم والا لم يخف على أهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين وأتوا اليه مذعنين وانت اذا تأملت قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة) وقوله (ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب) وقوله (ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم) وقوله (وقيل ياأرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين) وقوله (فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) واشباهها من الآي بل اكثر القرآن حققت ما بينته من ايجاز ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها (الوجه الثاني) من اعجاز القرآن صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آية وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم

وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله فى جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر والاعجاز بكل واحد من النوعين والايجاز والبلاغة بذاتها أو الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها (الوجه الثالث) من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذى اخبر كقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) وقوله عن الروم (وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) وقوله (ليظهره على الدين كله) وقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) وقوله (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) فكان جميع هذا كما اخبر فغلبت الروم فارس ودخلت الناس فى الدين افواجا واتسع ملك المسلمين حتى كان لهم فى وقت من أقصى بلاد الاندلس غربا الى أقاصى الهند شرقا ومن بلاد الاناضول شمالا الى أقاصي السودان جنوبا وقوله (انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فكان كذلك الى الآن والحمد لله وقوله (سيهزم الجمع ويولون الدبر) فكان كذلك فى بدر والآية نزلت بمكة وقوله (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) فكان كذلك مما اطلع عليه قاريء هذه السيرة ومافيه من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم فى حلفهم كقوله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله (يخفون فى انفسهم مالا يبدون لك) وقوله (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا

واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين) الى غير ذلك من الآيات البينات (الوجه الرابع) ما أنبأ به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من اخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده عليه السلام على وجهه و يأتي به على نصه فيقر العالم بذلك على صحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مجالسة لم يغب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم وكثيرا ما كان يسأله كثير من اهل الكتاب عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء وبدء الخلق وما في الكتب السابقة مما صدقه فيها العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها ولم يؤثر أن واحدا منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ولا أبدي صحيحا ولا سقيما من صحفه بعد أن قرعهم ووبخهم بقوله (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) ومما يدل على ان أهل الكتاب يعلمون صدقه ما يجداهم فيه الله بقوله (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) ثم حتم عدم اجابتهم بقوله (ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم) فما سمع من احد منهم انه تمنى ذلك ولو بلسانه مع انهم كانوا أحرص الناس على تكذيبه ومثل ذلك ما فعله اهل نجران حينما دعاهم للمباهلة فأبوا وقد قدمنا ذلك في فصل وفودهم ومما يدل على ان هذا القرآن ليس من كلام البشر الروعة التي تلحق قلوب سامعيه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان القرآن صعب مستصعب على من كرهه

وهو الحكم وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه اقبالا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) وقال تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) ومن وجوه اعجاز القرآن كونه آية باقيه لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) وسائر معجزات الانبياء لم يبق الا خبرها والقرآن الى وقتنا هذا حجة قاهرة ومعارضة ممتنعة والاعصار كلها طافحة بأهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجها بذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعاند للشرع عتيد فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته ولا ألف كلمتين فى مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه ولنختم لك هذا الباب بحديثه عليه السلام في القرآن قال ان الله انزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبؤكم وخبر من كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضى عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن حكم به أقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج

فيقوم ولا يزيغ فيستنقب

(ومن) معجزاته صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر وقد قدمنا حديثه مستوفى

(ومن) معجزاته صلى الله عليه وسلم نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته وقد روي هذا الجم الغفير من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود قال انس رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حانت صلاة العصر فالتمس الناس ماء للوضوء فلم يجدوه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع في الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا عن آخرهم فقيل كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وقال ابن مسعود بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء فأتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابعه وقال جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله بين يديه ركوة فتوضأ منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون قيل كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروى هذه القصة جمع عظيم من الصحابة ومثل هذا في هذه المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه نفوسهم من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر عليهم احد من الناس ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم لهم

ومما يشبه هذا تفجير الماء ببركته وابعاثه بمسه ودعوته كما ورد عن

معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي تلمع بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل عليه السلام فيه وجهه ويديه وأعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس وفي رواية ابن اسحاق فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة أن ترى ما هنا قد ملئ جناناً وقد قدمنا ذلك في غزوة تبوك وروى عن البراء وسلمة بن الاكوع تكثير عين الحديبية بدعوته عليه السلام . وروى أبو قتادة أن الناس شكوا الى رسول الله العطش في بعض أسفاره فدعا بالميضأة فجعلها في صبنه (ما بين الكشح الى الابط) ثم التقم فمها فالله أعلم أنفث فيها أم لا فشرب الناس حتى رووا وملؤا كل أناء معهم فخيل لي انها كما أخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا . ورويت قصص مشابهة لهذه عن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم في محال مختلفة بحيث لا يشك أحد في صدقها بعد تضافر الثقات على روايتها

(ومن) ذلك تكثير الطعام ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم روى طلحة انه عليه السلام أطعم ثمانين أو سبعين رجلا من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت إبطه فأمر بها عليه السلام ففتتت وقال فيها ما شاء الله أن يقول وروى جابر انه عليه السلام أطعم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر فأقسم بالله لا كلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان عليه السلام قد بصق في العجين والبرمة وبارك : وروى أبو أيوب أنه صنع لرسول الله وأبي بكر طعاماً يكفيهما فأطعم منه عليه السلام مائة وثمانين رجلا . وروى مثل ذلك كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن أبي بكر وسلمة بن

الاكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب وأنس بن مالك رضوان الله عليهم أجمعين

(ومن) معجزاته عليه السلام قصة حنين الجذع قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفاً على جذوع نخل فكان عليه السلام اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوه به وفي رواية المطلب وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال عليه السلام ان هذا بكى لما فقد من الذكر زاد غيره والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة تحزناً على رسول الله فأمر به فدفن تحت المنبر وهذا الحديث خرجه أهل الصحة ورواه من الصحابة كثيرون ورواه عنهم من التابعين ضعفهم ومن دون عدتهم يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب . والله المثبت على الصواب

(ومن) معجزاته عليه السلام إبراء المرضى وذوي العاهات فقد أصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها عليه السلام فكانت أحسن عينيه وأحدهما وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي قرد فما ضرب عليه ولا قاح وأصاب ابن ملاعب الاسنة استسقاء فبعث الى النبي عليه السلام فأخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها يرى انه قد هزىء به فأتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وتقدم حديث علي ورمده في غزوة خيبر وغير ذلك كثير مما يعجز قلمنا عن عده ورواه ثقات المسلمين الاعلام

(أما) ما منحه الله إياه من إجابة دعواته فروي عن أنس بن مالك قال

قالت أمي أم سليم يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته قال أنس فوالله ان مالي لكثير وأن ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم نحو المائة ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة فكان نصيب كل زوجة من زوجاته الاربع من تركته ثمانون ألفاً وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها

(ودعا) لمعاوية بالتمكين في الارض فنال الخلافة ودعا لسعد باجابة الدعوة فما دعا على أحد الا استجيب له وتقدم دعاؤه لعمر بن الخطاب أن يعز الاسلام به وقال لابي قتادة أفلح وجهك اللهم بارك في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة كانه ابن خمس عشرة ودعواته عليه السلام المستجابة اكثر من أن تحصى يطلع عليها قارىء سيرتنا هذه

(أما) ما أطلعه الله عليه من علم ما لم يكن فمما صارت به الركبان فمن حذيفة رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه وما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه والله ما ترك عليه السلام من قائد فتنة الى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً الا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته وقد خرج أهل الصحيح والائمة ما أعلم به أصحابه مما وعدهم به من الظهور على أعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الامن

حتى تظعن المرأة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله وأن المدينة ستغزى ويفتح خيبر على يد علي فى غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وقد قدمنا كثيراً من ذلك في هذه السيرة وقدمنا مافى القرآن من ذلك وهذا يغنينا عن الاطالة فى هذا المقام فحسبك ماسمعت

(ومما) ينير بصيرتك أيها القارئ مامنّ الله به على رسولنا من عصمته له من الناس وكفايته من آذاه قال تعالى (والله يعصمك من الناس) وقال (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) وقال (أليس الله بكاف عبده) وقال (انا كفيناك المستهزئين) ولما نزل (والله يعصمك من الناس) صرف حجابه وقال انصرفوا فقد عصمني الله وقد قدمنا حديث دعثور وإرادته قتل النبى صلى الله عليه وسلم وعصمة الله لنبينا وذكرنا كثيراً مما حصل من أبى جهل لما أراد بالرسول المكايد فكفاه الله شره وما منّ الله به عليه ليلة الهجرة وحديث سراقة فى الطريق وعلى الجملة فيكفينا من هذا الباب أنه عليه السلام مكث بين أعداء ألداء بمكة ثلاث عشرة سنة وبين مشابهيهم من المنافقين واليهود عشر سنين فما تمكن أحد من إيصال أذى اليه صلى الله عليه وسلم بل كفاه مولاه شر أعدائه حتى أظهر الدين وتممه والحمد لله حمداً يوافى نعمه ويكافيء مزيده ونسأله أن يوفق قارئي هذه السيرة الى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وأنصاره

(قد تم بحمده تعالى طبع كتاب نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين)

(فهرست كتاب نور اليقين في سيرة سيد المرسلين)

صحيفة

صحيفة

﴿تمت﴾